

تم القبول وحفظاً
 وزارة المعارف
 د. محمد عبد الله
 د. محمد عبد الله
 د. محمد عبد الله
 د. محمد عبد الله

المملكة العربية السعودية
 وزارة التعليم العالي
 جامعة أم القرى - مكة المكرمة
 كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
 قسم الدراسات العليا والتاريخية والحضارية

أشرف العثمان في تاريخ الإسلام في أواخره

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث



إعداد
 فائقة محمد عمر عبد الحميد بحري

إشراف الأستاذ الدكتور
 يوسف علي الربيع البقفي

١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م



الوقوف

إلى أمي الغالية متعباً الله بالصحة والعافية
أهدي ثمرة جهدي .

الموسم

" بسم الله الرحمن الرحيم "

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن أهدى بهداه إلى يوم الدين ، وسبحانه الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم .

أما بعد : فإن الدولة العثمانية ، كان لها دورها العظيم في حمل رؤية الدين الحنيف ، إلى جنوب شرق أوروبا ، ورعايتها للمسلمين في تلك المناطق ، وتوفير جميع السبل التي سهلت نشر الإسلام في أوروبا ، فالدولة العثمانية انبثقت من امارة صغيرة في شرق الأناضول ، ولم تلبث أن اتسعت في قارات ثلاث وأصبحت دولة لها وزنها ، وعملت على نشر الإسلام ، بماقامت به من مجهودات عظيمة في ذلك المجال ، من بناء المساجد ، وكفالتها للحرية الدينية ، مما أدى إلى اتساع نطاق الاسلام .

ولذلك فان اختيار موضوع (أثر الدولة العثمانية في نشر الاسلام في أوروبا) لهذه الدراسة التي أتقدم بها لنيل درجة الماجستير له أهمية عظيمة لاسيما وأن المكتبة العربية تعاني من قلة ماكتب عن الدولة العثمانية في هذا المجال ، إضافة إلى أن مثل هذه الدراسة ستلقى الضوء على كثير من المواقف والحقائق والمفتريات ، ضد الدولة العثمانية ، وتحليل تلك المواقف على أساس من الموضوعية والبعد عن الأهواء الشخصية .

وهذه الدراسة - التي أرجو الله أن أكون قد وفقت في اختيارها - تشتمل على أربعة فصول على النحو التالي :-

الفصل التمهيدي : بعنوان " النشأة والتكوين " ويتضمن ثلاثة مباحث يتضمن الأول منها أصل الاتراك العثمانيين ، وأقوال المؤرخين في ذلك كما جاء في الكثير من المصادر والمراجع ، العربية وغير العربية

أما المبحث الثانى من هذا الفصل فيتعلق بإسلام العثمانيين ، وإسلام زعيمهم ، ثم انتشار الإسلام بعد ذلك بين القبائل التركية ، ووصولهم إلى الأناضول - من أواسط قارة آسيا - تحت زعامة أرطغرل واستقرارهم بها ، ومن ثم عملهم على القيام بالفتوحات في شبه جزيرة الأناضول والجانب الشرقى من أوروبا ، وتمكنهم من فتح عدد من المناطق الخاضعة للدولة البيزنطية ، والمبحث الثالث فهو بعنوان " العثمانيون يوسعون رقعة بلادهم " منذ تأسيس إمارتهم على يد السلطان العثماني ، المؤسس الأول للدولة العثمانية ، إلى اتساع الدولة على أيدي سلاطين آل عثمان - وما قاموا به من فتوحات في الأناضول وأوروبا حتى تطورت الإمارة الصغيرة إلى دولة واسعة ضمت ممالك متعددة في آسيا وأفريقيا وأوروبا .

أما الفصل الذي يلي الفصل التمهيدي فهو الفصل الأول وهو بعنوان " الوجود الإسلامى العثماني في أوروبا " ويتضمن أربعة مباحث الأول منها حول دخول الإسلام إلى شرق أوروبا بطرق مختلفة ، مثل طريق الرحلات التجارية إلى تلك البقاع ، والفتوحات العثمانية ، أما المبحث الثانى فهو عن الأوضاع السائدة في المناطق الأوربية " مثل تفكك الوحدة السياسية في البلقان ، والحروب بين صغار الأمراء على الحكم وانهيار البنى - الإقتصادى ، والاجتماعى في تلك البلاد ، والمنافسة الدينية التي كانت على أشدها بين الكنيستين الشرقية والغربية ، والمبحث الثالث في هذا الفصل فهو يتعلق " بالنظم العثمانية في الولايات الأوربية " وما قام به السلاطين العثمانيون من إصلاحات ونظم ، ونشر الإسلام ، وحماية المسلمين ، وتعبيد الطرق ، وإقرار الأوضاع هناك ، أما المبحث الرابع فهو عن " أثر سياسة الدولة العثمانية في نشر الإسلام في شرق أوروبا " .

والفصل الثانى في هذه الدراسة عنوانه " موقف الدول الأوربية من

الدولة العثمانية " وهو ينقسم أيضاً الى أربعة مباحث : الأول منها يتعلق بموقف روسيا من الدولة العثمانية " ، خاصة فيما يتعلق بأطماعها في المضائق ومحاولاتها الحصول على امتيازات خاصة بها في المناطق الأوربية التابعة للدولة العثمانية ، وإشارة القلاقل والغتن ، ضد الدولة العثمانية ، ويشمل المبحث الثاني " موقف دولة النمسا من الدولة العثمانية " ، ذلك الموقف العدائي - على الرغم من عدم وجود حدود مباشرة بينها وبين الدولة العثمانية - ولكنها على الرغم من ذلك خوفاً وحرصاً على مصالحها كانت تثير دول البلقان وتمدها بالأسلحة والأموال للثورة ضد العثمانيين ، أما " موقف فرنسا من الدولة العثمانية " فقد كان موضوع المبحث الثالث ، وفيه تناولت العلاقات بين فرنسا والدولة العثمانية ، سلباً وإيجاباً ، لأن فرنسا - مثلها مثل الدول الأوربية الأخرى - تنظر الى أملاك الدولة العثمانية - وبخاصة تلك القريبة منها في الشمال الأفريقي - نظرة أطماع ومصالح ، والمبحث الرابع يتضمن " موقف بريطانيا من الدولة العثمانية " ، ذلك الموقف الذي لا يختلف عن مواقف الدول الأوربية الأخرى ، وذلك لأنها لا تشارك الدولة العثمانية في الحدود ، لهذا كانت أطماعها لا تخرج عن تحقيق مناطق نفوذ في الشرق الأوسط ، إضافة الى منافسة بعض الدول الأوربية الأخرى في تحقيق ما يخدم مصالحها التجارية في المنطقة .

أما الفصل الثالث فهو بعنوان : " ردود الفعل الأوربية على الوجود العثماني في أوربا " فقد عالجت فيه : الرأي الأوربي العام وآراء المؤرخين في الدولة العثمانية ، حيث انقسموا الى فئتين : الفئة الاولى هي فئة معتدلة - بعض الشيء - فسي موقفها من الدولة العثمانية ولكن وراء ذلك الاعتدال بعض

الأمر التي لاتخلو من نوايا الحقد والخبث ،والفتنة الثانية فهي التي أعلنت الحرب ضد الدولة العثمانية ، فأشاعت بأن الدولة العثمانية وصلت إلى ماوصلت إليه بالبطش والدمار والإرهاب ،وتسليط السيوف على الرقاب ،وأرجعت انتصارات الدولة العثمانية إلى الضعف الذي انتاب ممالك أوروبا في تلك الفترة ،وعالجت في هذا الفصل أيضاً بعضاً من حملات التشهير ضد الدولة العثمانية المدفوعة بالحقد والبغضاء على الدولة العثمانية ،لأنها وصلت إلى أوروبا باسم الإسلام ،وحملت رؤية الجهاد حتى دقت أبواب فيينا في عهد السلطان سليمان القانوني سنة ٩٣٥هـ / ١٥٢٩م . وكان من بعض الحملات التي ناقشتها ،إطلاق بعض المسميات للتشهير بالدولة العثمانية كسمى " الرجل المريض " الذي لايرجى شفاؤه ، والزعم بأن الدولة العثمانية عملت على " عزلة العالم العربي " والقول بأن " الدولة العثمانية حرمت البلاد العربية من علمائها البارزين "،وعالجت أيضاً في هذا الفصل التضاؤل العثماني في أوروبا وكيف بدأ التراجع ؟ نتيجة لأسباب داخلية وخارجية أدت في النهاية إلى ضياع ممتلكات الدولة واحدة إثر الأخرى ،حتى لم يبق سوى ما آلت إليه الدولة من دولة أناضولية ،بعد أن كانت تمتد فــــي قارات ثلاث .

وأخيراً ذيلت الفصول السالفة الذكر بخاتمة موجزة تضمنت ما أثبتته هذه الدراسة من نتائج ،وكذلك بعدد من الملاحق الهاممة .

أما مراجع الدراسة فقد اعتمدت على مجموعة من المخطوطات والوثائق والمصادر والمراجع العربية ،والتركية والإنجليزية التي لها صلة بالموضوع ،وقد حصلت على البعض منها من مكتبة الحرم المكي ومكتبة جامعة أم القرى ،ودارة الملك عبد العزيز ،كما زرت

مكتبة الطوب قابى سراى باسطنبول ، ومكتبة جامعة اسطنبول والمكتبة
السليمانية ، والمكتبات الخاصة بتركيا ، كما قمت بزيارة معهد
المخطوطات بالقاهرة ، ودار الوثائق القومية ، والهيئة العامة
للكتاب ، وساقنى البحث إلى الوصول إلى لندن والإطلاع على المصادر
في الوزارة الهندية (India Office) حيث حصلت منه على
بعض المراجع الهامة التى لها علاقة بموضوع الدراسة .

ولأننى فى هذا المقام حصولى على الكثير من المصادر التى زودنى
بها المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور / يوسف الثقفى فله منى
الشكر على ما بذله من مجهود يشكر فى هذا المجال ، وله منى الشكر
والعرفان على توجيهه وإرشاده خلال سير البحث . وأشكر المسؤولين فى
كلية الشريعة وقسم الدراسات العليا للتاريخ والحضارة الإسلامية .

كما أشكر جميع المؤسسات العلمية التى زودتنى بالمادة العلمية
وأخص بالشكر الدكتور / عابد ياشاة بمركز البحث العلمى بجامعة
أم القرى على ما قدمه لي من المساعدة النافعة ، كما أشكر الدكتور
نبيل رضوان على تعاونه معي وإسهامه ببعض المراجع ، كما أشكر أخى عبد
الصمد بحري ، على ما بذله من جهد فى جلب الكثير من المصادر الإنجليزية
ومساعدتى فى إنجاز البحث ، كذلك أشكر أخى عادل وأختى نجاح لمرافقتهم
لي فى رحلاتى إلى تركيا ومصر ولندن وباقي أفراد أسرتي على جهودهم
الطيبة والموفقة . وأخيراً أشكر عضوي المناقشة لإسهامهما معي فى
قراءة هذه الرسالة العلمية وإبداء ملاحظاتهما وملاحظاتهما القيمة
وأسأل الله العلى القدير أن يديم عزة الاسلام ويوفقنا جميعاً إلى ما فيه
خدمة الدين والوطن .

" والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل "

فائقة محمد حمزة بحري

الفصل العاشر

الشهادة والتكوير

- ١- أصل الأتراك العثمانيين.
- ٢- إسم لام العثمانيين.
- ٣- العثمانيون يوسعون رقعة بلادهم.

قال الحسن البصري : رض الله عنه : (أصل الترك من ولد يافث بن نوح عليه السلام ، فيافث هو أبو الترك ، ويأجوج ومأجوج بنوعم الترك ، وسبب تسمية الترك تركاً : أن الإسكندر ذا القرنين لما بنى السد على يأجوج ومأجوج كان منهم طائفة غائبة وقت بناء السد ولم يعلموا ببنائه فتركوا خارجاً عنه ، فسميت هذه الطائفة تركاً لكونهم تركوا خارج السد) (١) ، ولكن مؤرخي الدولة العثمانية من الاتراك - وهم بلاشك - أعلم بأصل سلاطينهم من غيرهم من المؤرخين مثل جودت باشا في مؤلفه (تاريخ جودت) (٢) ، وطه زاده عمر فاروق في تاريخ (أبو الفاروق) (٣) ، وغير أولئك من مؤرخي الترك ، كلهم أجمعوا إلى أن أصل شجرة آل عثمان - التي ابتدأت سلطنتهم من عهد الغازی عثمان خان - يتصل فرعها بيافث بن نوح عليه السلام ، (لان عثمان هو ابن الأمير أرطغرل بن سليمان شاه ، بن قیالب ، بن قزل بوغاس ، بن باتيمور ، ابن قايلعة ، بن طغرا ، بن قرانيو ، بن ماينفر ، بن يولعاي بايسنقور ، بن توفتحور ، بن ياسان ، بن حميده ، بن افئلق ، ابن قاري جلتيمور ، بن طورج ، بن قزل بوغاس ، بن باشبوی ، بن جورمز ، بن بايو ، بن طغرا ، بن سونج ، بن جارينا ، بن تورلست ، بن فورخان ، بن بالحق ، بن خاس ، بن قراعلان ، بن سليمان شاه ، بن فرحلو ، بن بورلوعان ، بن تيمور - بن تورمن بن كولوالب ، بن ادعون بن مورخان بن قايي خان ، ابن ابوالجای ، بن ماجية بن أبي الحارث ، بن يافث بن نوح . (٤)

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، القسم الأول ، ص ٢٨ .

(٢) جودت باشا تاريخ جودت (شمس مطبعة س مخطط مصور رقم ١٣٢٨ / ١٣٢٦ ،

ص ٣٢ .

(٣) طه زاده عمر فاروق ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الاول ، ص ٧ - ١٠ .

(٤) اسماعيل سرهنك ، حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٢ - ٤٨٣ .

هذا وقد ورد الحديث عن أصل شجرة الأتراك العثمانيين في الكثير من المصادر كالمقطبي في (الإعلام بأعلام بيت الله الحرام) الذي يري بأن أصل الأتراك يعود إلى يافث بن نوح عليه السلام حيث يذكر (أن عثمان يتصل نسبه بيافث بن نوح عليه السلام وهو الجد الأربعون للسلطان سليم خان بن بايزيد خان يرحمهم الله ..)^(١) وكذلك ورد مثل هذا القول في كتاب (التحفة السنية)^(٢)

هذا وقد ورد ذكر أصل آل عثمان في كثير من المراجع وأن أصلهم من قبيلة أو عشيرة تركية هي قبلي خان ، وروى ذلك العديد من المؤرخين مثل ساطع الحمري^(٣) ، والسعيد سليمان^(٤) ، ومحمود زيادة^(٥) وكارل بروكلمان^(٦) ، كما أثبت هذا النسب عدد من المصادر الأوروبية .^(٧)

واستناداً لما سبق ذكره في المصادر والمراجع مؤيداً بما ورد في المصادر التركية ، فإن أصل الأتراك العثمانيين يعود إلى يافث بن نوح عليه السلام ومن المصادر التركية التي أثبتت هذا الأصل كتاب محمد فؤاد كوبرلي^(٨) ، وابن فضلان الذي يقول : (وأفضينا إلى قبيلة

(١) قطب الدين النهروالي ، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص : ١١٤ - ١١٥ .

(٢) سليمان خليل جاويش ، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية ، ج ٢ ،

ص ٤٢ ، كامل باشا ، دولت عليه المجلد الأول ص ٢ .

(٣) ساطع الحمري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ١٣ - ١٦ .

(٤) أحمد السعيد سليمان ، تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة

ج ٢ ، ص ٤٤١ .

(٥) محمود محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ١٣ - ١٤ .

(٦) كارل بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ١٣ .

(٧) Robinson, Stewart, The Traditional Near Feast, PP, 97-98.

(٨) محمد فؤاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ص ١١٩ .

من الاتراك يعرفون بالغزيرة (١) مما يجعل ما أوردته المصادر المعاصرة حول نسب آل عثمان شيئاً مقبولاً متفقاً مع الحقيقة .

وهذه القبيلة التركية هاجرت من موطنها الأصلي في أواسط آسيا إلى الأناضول نتيجة لضغط المغول (٢) واستوطنوا بها تحت سلطان السلاجقة ، وقد سنحت الفرصة أمام زعيمهم عثمان بن أرطغرل بعد وفاة علاء الدين السلجوقي حيث أخذ يضم إليه ما قرب من المناطق ويواصل فتوحاته على حساب جيرانه إلى أن توسعت الدولة . (٣)

-
- (١) أحمد بن فضلان (رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والمقالبة سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م) ص ٩١ .
- (٢) مجلة الاوقاف ، نشریات مديرية الاوقاف العامة العدد الثاني - أنقرة ١٩٤٢ م ، ص ٥٩ - ٦١ .
- (٣) محمد فريد بك . تاريخ الدولة العلية ، ص ١١٨ .

أما عن إسلام الأتراك العثمانيين فهو ما سنتطرق إليه في الصفحات التالية فقد تهيأ للمسلمين في منتصف القرن الثاني الهجري أن يبسطوا نفوذهم على البلاد ما وراء النهر، وبذلك اعتنق الكثيرون من أهلها الإسلام، وقد تعاون من أسلم من أهل تلك البلاد مع المسلمين لنشر الإسلام ورد اعتدائهم من لم يسلم من الترك أنفسهم .

كان قائد الجيوش الإسلامية في تلك البلاد، القائد المسلم قتيبة ابن مسلم الباهلي، ووجد من الترك الكثير من العناد والصمود، حيث عرفوا بالشدة والقوة، ولكن المسلمين بفضل الله ثم بالإيمان بمبدأ الجهاد في سبيل الله ونشر دعوة الإسلام، استطاعوا فتح عدد من المدن مثل سمرقند، وبخارى، المغد، وفرغانة، وعندما شرح الله قلوب الترك للإسلام، تركوا ما كانوا فيه من خزعبلات وأباطيل، وأضحى للحياة مفاهيم جديدة. حيث أصبحوا هم أنفسهم من المدافعين عن الإسلام، بعد أن كانوا بعيدين عنه، ومنذ القرن الثالث الهجري خرجت أمور المسلمين من يد العرب لتكون طوع يد الترك، الذين حسن إسلامهم وكانوا على المذهب السني وتركوا المذاهب المبتدعة . (١)

لم يمض على ظهور الإسلام نحو قرن، حتى خفقت آيات الإسلام على مقربة من حدود الصين، مما كان له أثر عظيم في انتشار الإسلام في مناطق واسعة . (٢)

(١) حسن مجيب المصري، صلات العرب والفرس والترك دراسة تاريخية ص ٢٢٨ - ٢٣٠ .

(٢) أحمد راسم، عثمانلي تاريخي، ص ٣، عبد الرحمن زكريا، المسلمون في العالم اليوم، ص ١٢١ .



أن العثمانيين أراد الله لهم أن يحملوا لواء الإسلام
ويتجهوا في فتوحاتهم نحو القسطنطينية (عاصمة الدولة البيزنطية)
ويتمكنوا من فتحها ، ورفع راية الإسلام خفاقة في أجوائها .

وعلى العموم فالأتراك نزحوا من موطنهم الأصلي في أواسط
قارة آسيا ، ثم نزلوا في بلاد فارس حيث اعتنقوا الإسلام ، وهناك
اندمجوا مع السلاجقة الذين ينتمون اليهم بالنسب ، والمراجع الأوروبية^(١)
توضح ذلك ، فبينما كان السلاجقة مسلمين منذ قرون كان العثمانيون
لا يزالون على دينهم القديم ، وأسطورة زواج زعيمهم عثمان ابن رئيسهم
أرطغرل يجعلنا نعلم أن الأتراك العثمانيين لم يعتنقوا الإسلام إلا بعد
وصولهم إلى آسيا الصغرى حيث وجدوا بيئة إسلامية في ظل الأتراك^(٢)
السلاجقة وسلطانهم علاء الدين السلجوقي .

(١) فيليب حتى ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٢٩ ، أحمد راسم ،

عثماني تاريخي ، ص ٣ .

(٢) Robinson, Op., Cit., PP. 97 - 98 .

أما عن توسع العثمانيون ، فقد استقروا أولاً في آسيا
المغرى في ظل السلطان السلجوقي علاء الدين ، آخر سلاطين السلاجقة ،
تحت زعامة أرطغرل ، وبعد وفاة (أرطغرل) تولى الحكم ابنه عثمان ،
(١)
مؤسس الدولة العثمانية وإليه تنسب .

ولد عثمان بن أرطغرل سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) وتولى زمام
(٢)
الحكم سنة (٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م) وكانت وفاته سنة (٧٢٥ هـ / ١٣٢٦ م) ،
(٣)
أو في عام (٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) وفي تاريخ جودت المجلد الأول إشارة
(٤)
إلى أنه كان على فراش الموت عند فتح بورصة سنة (٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) ،
وهذا هو الأرجح .

وقد انفتح المجال أمام عثمان بعد مقتل علاء الدين
السلجوقي (٥)
فاستأثر بجميع الأراضي المقطعة له ، واتخذ من مدينة
(يكي شهر) قاعدة لملكه ، وعمل على تحصينها وتجميلها ، ومن ثم
(*)
واصل توسيع رقعة بلاده ، وبعث إلى جميع الأمراء من الروم يخبرهم بين
الإسلام أو الجزية أو الحرب كعادة المسلمين دائماً في حروبهم ، فأنضم
إليه البعض وأسلم من أسلم ، واستعان عليه البعض الآخر بالتتار ، ولكن

-
- (١) تاريخ جودت ، المجلد الأول ، ص ٣٣ .
(٢) قطب الدين النهر والي ، الإعلام ، ص ١١٤ ؛ تاريخ نعيما ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .
(٣) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ١٢٢ .
(٤) تاريخ جودت ، المجلد الأول ، ص ٣٣ .
(٥) إبراهيم أفندي الطيب ، مصباح الساري ونزهة القاري ، ص ٨١-٨٢ ؛ أحمد
مختار ، فتح جليل قسطنطينية ، ص ٤ .
(*) يكي شهر : تلفظ الكاف نون فهي يني شهر معناها البلد الحديث
ويكتبها الأتراك Yenisehir وتقع إلى الشمال الشرقي من بورصة
(محمد فريد بك ص ١١٨ ؛ تاريخ نعيما ، ج ١ ، ص ٣ - ٤) .

(١) عثمان ندب اليهم ابنه ، أورخان فشئت شملهم ، وتمكن من الانتصار على الأعداء ، وأصبحت هذه المدينة الحصينة من أملاك الدولة العثمانية — وقد دام حصار السلطان أورخان لمدينة بورصة ما يقرب من عشرين سنوات فيكون فتحها على الأرجح في عام (١٣٢٦هـ/١٣٢٦م) وذلك لأنها فتحت ووالده على فراش الموت حيث توفي عثمان سنة (١٣٢٦هـ/١٣٢٦م) هذا وقد اتخذ أورخان من بورصة بعد ذلك مقراً وعاصمة له ، وقد تميزت مدينة بورصة بحصانتها وقوتها ، مما جعلها تستعصي على الفتح ، فصمدت في وجه الحصار ما يقرب من عشرين سنوات حتى سقطت أخيراً في يد أورخان . (أنظر الخريطة ص ١٤)

إن الدولة العثمانية منذ قيامها اتخذت من الشريعة الإسلامية نبراساً لها ، وأقامت شرع الله في أحكامها ، وكان سلاطينها الأواثـل ابتداءً من عثمان يولون الشريعة الإسلامية إهتماماً كبيراً ، ووضعوا نصب أعينهم القيام بمهمة الفتوح باسم الإسلام .

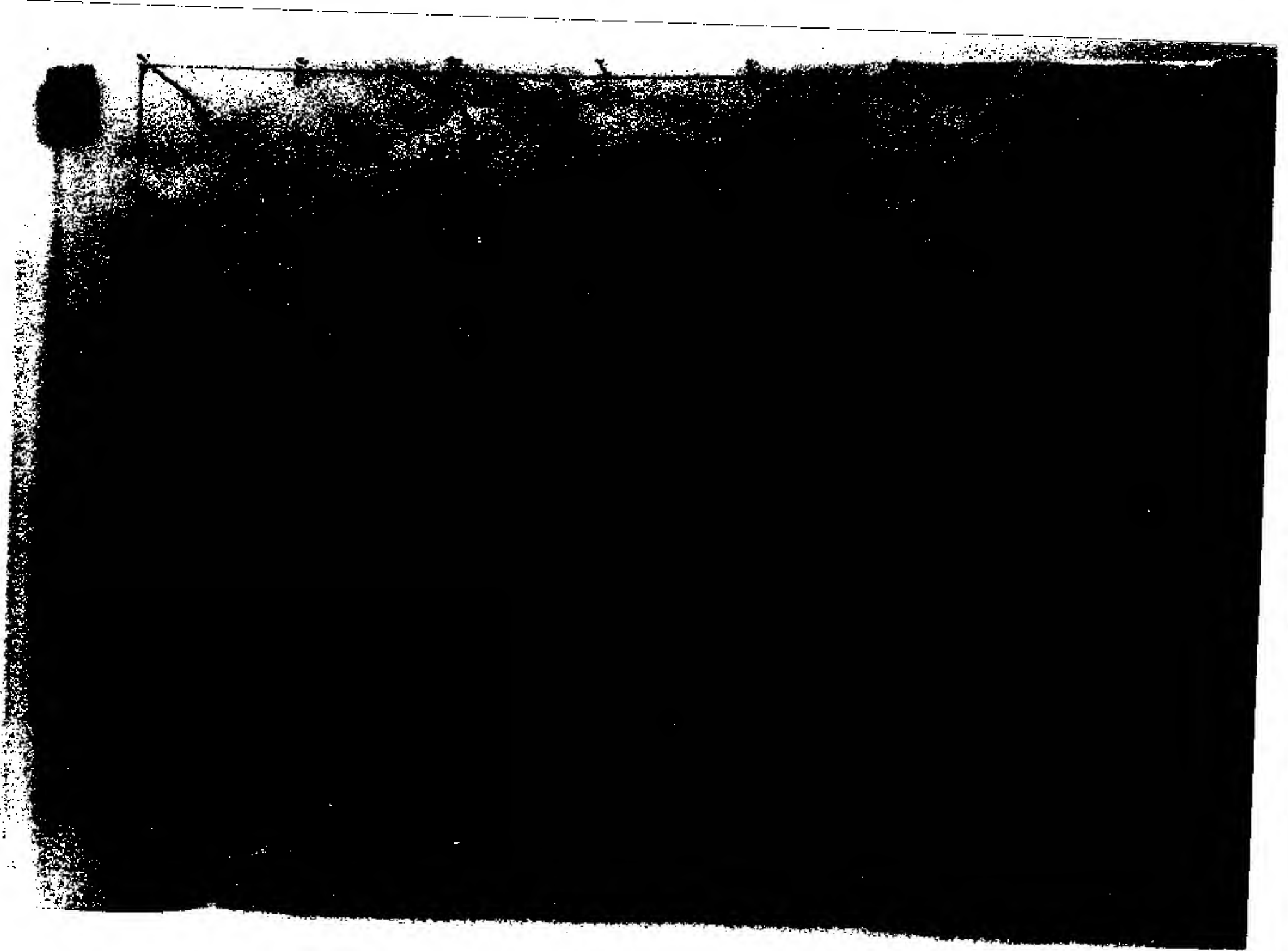
واستمرت مسيرة الفتح والعمران في عهد خليفة أورخان ، الذي آل إليه الحكم في عام (١٣٢٦هـ/١٣٢٦م) على أثر وفاة والده ، وقد كان قبل ذلك على رأس الجيوش الفاتحة في عهد والده ، حيث فتح بورصة وأزينق ، وفي عهده وبعد أن تولى الحكم بعث جيشاً بقيادة ابنه سليمان إلى بلاد الروم

Robinson, Op, Cit., P, 98.

- (١) بشأنجي محمد باشا ، سير أنبياي عظام وأحوال خلفاء كرام ، ص ١٠١ .
- (٢) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ١١٩ - ١٢٠ .
- (٤) زبيدة عطا ، الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم العثمانيون ، ص ١٥٨ .

(*) عرف السلطان عثمان بتقريب العلماء والفقهاء إلى مجلسه ، ومن جلسائه ، الشيخ أده بالي ، وهو شيخ جليل ، تفقه على مشايخ الشام ، وقرأ التفسير والحديث ، وكان السلطان يرجع إليه في شئون الدولة الدينية ، (طاشكيري زاده ، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، مخطوط تحت رقم ١٥٠٨ دار الكتب المصرية ، ص ٦) .

- (٥) نفس المخطوط السابق ص ٦ ؛ إبراهيم أفندي ، مصباح الساري ونزهة القاري ، ص



(١) ففتح كلا من قلعة ملعزة ، وأبسالة ويولاير، ووزه ، كما أن السلطان أورخان هو أول من سك العملة من الفضة ، فكتب على أحد وجوهها محمدرسول الله (٢) وعلى الوجه الآخر اسمه في بورصة سنة (٥٧٢٨هـ / ١٣٢٧م) ، وهو أول من رتب طبقات الجند في جيشه ، (٣) وجعل الجيش داثماً ، بعد أن كان يجمع وقت الحرب ثم يصرف ، وقد سمي هذا الجيش (يني تشاري) أي الجيش الجديد ثم عرف فيما بعد بالإنكشارية (٤) وهي أول فرقة من المشاة يشكل منها جيش شرقي ، وهم من رعايا الدولة المسيحيين من الأطفال الذين يؤخذون وهم صفار السن ويوضعون في ثكنات خاصة ، ويعلمون طبقاً لادق قانون إسلامي ويدربون تدريباً عسكرياً ، ويحاربون بالقوس والسيف ، ويتمتعون ببينية متينة ، ولم يعرف عن أحد منهم أنه اعتزل أو ارتد إلى المسيحية . (٥)

يذكر بعض المؤرخين أن السلطان مراد هو أول من اتخذ المماليك وسماهم ينكجارية (العسكر الجديد) (٦) أو يكي جري (٧) ولكن كل المصادر تجمع على أن أورخان هو أول من اتخذ الإنشكارية ، وقد يكون تطور نظام الإنشكارية وتقدمه في عهد السلطان مراد .

ونلاحظ أن الجيش الإنكشاري ، كان من أكبر عوامل النصر في عهد قوة الدولة ، وتروى ماري باتريك في كتابها (سلاطين آل عثمان) أن هذا الجيش هو جيش الأرقاء لخدمة السلاطين (٨) فتمفهم بهذه الصفة لأنهم

(١) عبد الملك بن حسين العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي في أنبياء

الأوائل والتوالي ، ج ٤ ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٢) Halil Inalick, The Ottoman Empire, P, 88.

(٣) تاريخ جودت ، المجلد الأول ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(٤) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٥) أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٤٨ .

(٦) قطب الدين النهروالي ، الإعلام ص ١١٧ ؛ أحمد زيني دحلان ، الفتوحات الإسلامية ،

ج ٢ ، ص ١٣٢ .

(٧) طه زاده عمر فاروق ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الأول ، ص ٧٠ - ٧١ .

(٨) ماري ملزباتريك ، سلاطين آل عثمان الخمسة ، ص ٢٣ .

ليسوا من أبناء الشعب التركي ، وإنما هم أبناء أسر مسيحية ، ينخرطون في خدمة الدولة ، وهذا ليس مبتدعاً ، فقد اتخذت الدول السابقة للدولة العثمانية الجنود من غير شعوبها ، كالفرس والترك وغيرهم ، كذلك فإن الدولة عندما تشرف على الضعف أو الإنهيار فإنها تتخذ جنوداً من غير جلدتها حفاظاً على استمرارها ، وهذا ما أورده ابن خلدون في مقدمته حيث قال : " إن الدولة إذا طرقها الهرم والضعف تتخذ جنوداً من غير جلدتها ، ممن تربوا على الخشونة ، فيكونون أصبر على الحرب من غيرهم ممن تربوا في نعيم العيش " (١) .

من ذلك نستدل على أن معظم الدول والممالك ، قد اتخذت الجنود من غير شعبها للخدمة في الجيش والحرب وليس ذلك بدعة ، ولم يقتصر ذلك على الدولة العثمانية بل فعلت ذلك الدول الأوروبية ، فقد اتخذت المرتزقة والمأجورين للانخراط في سلك الجندية .

واستكمالاً لأعمال السلطان أورخان الحربية ، نلاحظ أن ابنه سليمان باشا تمكن من الإستيلاء على قلعة تراقيا ، وأعقب ذلك زلزال في هذه المنطقة أدى إلى تلف جزء من أسوار مدينة غاليبولي ، فانتهر سليمان تلك الفرصة ودخل غاليبولي سنة (٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م) دون مقاومة ، واستدعى على الفور جماعة من العثمانيين من شبه جزيرة آسيا الصغرى

(١) عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .
 (*) غاليبولي مدينة واقعة على الشاطئ الأوربي ، وتابعة لولاية أدرنة وتبعد عن القسطنطينية ب ٢١٢ كم جنوباً وهي أول مدينة استولى عليها المسلمون في أوربا ، وقد شيد فيها السلطان بايزيد برجاً عظيماً ، (إسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٦٤) .

(١)
للاستقرار بها وتبع ذلك احتلال كل من ملاقرا ، بولار ، والسهل الأوربي
(٢)
المطل على بحر مرمرة .

ومجمل القول فان مدينة غاليبولي على الشاطئ الأوربي هي
أول مدينة على البر الأوربي تطأها الجيوش العثمانية في أوربا ، عن
طريق هذه المدينة فتح المجال أمام المسلمين لنشر آيات الإسلام خفاقة
في شرق أوربا ، وبسط قواعد الدين الإسلامي أمام شعوب تلك البلاد لأن
فتح غاليبولي كان قبيل سقوط القسطنطينية ، لذلك أصبحت قاعدة الانطلاق
الإسلامية الأولى لنشر الإسلام في تلك الأصقاع ، ويقول في ذلك محمد فؤاد
كوبرلي : وقد كانت إقامتهم في غاليبولي عاملاً من عوامل تقوية بنيان
الدولة ، وذلك أن كثيراً من العناصر البدوية وفقراء الدولة جاءوا
ليتوطنوا الأراضي الخصبة الخالية . (٣)

ومما قام به أورخان أيضا ، بناء مدرسة في أزنيسق وعين للتدريس
بها الشيخ داود القرمانلي ، الذي تفقه على يد علماء مصر وأخذ عنهم
التفسير والحديث والأصول ، وتبرز أهمية هذا السلطان (أورخان) إلى
أنه شهد أول استقرار إسلامي للعثمانيين في أوربا من جهة البلقان ،
وأول من وضع أساس نظام عسكري جديد أرب أوربا لمدة أربعة قرون
وشبت كيان إمارة قوية امتدت من أنقرة إلى تراقيا ، وبعده هذه
(٥)

-
- (١) محمد فؤاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ص ١٨٧ .
(٢) محمد أنيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٢٨ - ٢٩ .
(٣) محمد فؤاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ص ١٨٧ ، طه زاده عمر
فاروق ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الأول ، ص ٨٢ - ٨٤ .
(٤) طاشكيري ، الشقائق النعمانية ، مخطوط رقم ١٥٠٨ ، ص ٨ .
(٥) عبد العزيز نوار ، الشعوب الإسلامية - الأتراك العثمانيون - الفرس ومسلموا
الهند ، ص ٢٤ .

الانتصارات توفي أورخان سنة (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) في بورصة بعد أن أنجز ما أنجز من الأعمال وآل الحكم بعده إلى ابنه مراد سنة (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) في بورصة وكان له من العمر ٣٤ عاماً، واستمرت مدة حكمه ٣١ عاماً حيث كانت وفاته (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) وفي عهد السلطان مراد ، كانت الإمارات المتاخمة له تنظر إليه بعين الخوف نظراً لنمو إمارته العثمانية ، على هذا النحو السريع ومنها إمارة قرمان التركية ، ولكن شجاعة السلطان مكنته من أن يوجه إلى خصومه ضربات موجعه ، أقعدتهم عن التحرك ضده ، وفي القسطنطينية كان الإمبراطور البيزنطي أمانويل باليولوج يسعى للإنقضاء عليه ، ولكن السلطان لم يمهلهم واستولى على أدرنة سنة (٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) ، وجعل منها عاصمة له ، وكان لذلك مدى سيئاً في أنحاء العواصم الأوربية ، خاصة لدى البابا أربانوس الخامس في روما الذي دعى إلى قيام حروب صليبية ضد العثمانيين ، وقد تمكن السلطان من الاستيلاء على سالونيك وكان ذلك سبباً في تحالف صليبي ضد القوى العثمانية ، وبفضل الله تمكن السلطان مراد الأول في معركة قوصوه سنة (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) من صد هذا التحالف واستولى قبل نهاية القرن الرابع عشر الميلادي على معظم ممتلكات بيزنطية في أوروبا (أنظر الملحق رقم ١)

(١) العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي ، ج ٤ ، ص

٦٠ - ٦١ .

(٢) نشأجي باشا ، سير أنبياي عظام ، ص ٧٠٥ - ٧٠٧ .
 (*) سالونيك: أو سلانيك هي مقر ولاية تعرف باسمها ، تبعد عن القسطنطينية ٥٢٠ كم من الثغور المهمة تجارياً ، واشتهرت بحسن المنظر ، وجمال جوامعها ، وبها آثار قديمة ، وذات تجارة واسعة ، يخرج منها خط حديدي يتصل بالأستانة وقد وسعها الإسكندر المقدوني سنة (٣١٥ ق م) وسماها سالونكي على اسم زوجته ، وفتحها السلطان مراد الثاني ٨٢٥ هـ وهي أهم ثغر تجاري بعد القسطنطينية . (إسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار ج ١ ، ص : ٤٦٦) .

(٣) عبدالعزيز نوار ، الشعوب الإسلامية - الأتراك العثمانيون - الغرب ومسلموا

الهند ، ص ٢٤ .

- باستثناء القسطنطينية - حيث تم فتح بلغاريا وجزء من صربيا والبوسنة،
 ووصل إلى هنغاريا وتمكن العثمانيون في نيقوبولس في بلغاريا سنة
 (٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م) من هزيمة جيش أوربي ضم ملك البلغار سيسمان
 ولازار ملك الصرب (١) ، هذا وقد سقط السلطان شهيداً بعد معركة قوصوة سنة
 (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) ، بعد أن عين الولاة والقضاة حيث عين على قضاء
 بورصة القاضي المولى محمود وكان عالماً ، صالحاً ، ورعاً ، أحبه الناس
 لزهده وعلمه ، وقد سار على هذه العادة ، من تعيين الولاة والقضاة
 كل سلاطين آل عثمان لإقامة الشريعة الإسلامية ومساندة السلاطين . (٤)

توالت بعد ذلك الفتوحات الإسلامية العثمانية ، وسيطرتها على
 مناطق البلقان ، إلى أن كان الفتح العظيم الذي تحقق على يد
 السلطان محمد الفاتح بن مراد بن بايزيد بن عثمان محي الدين ، وصاحب
 القسطنطينية وفاتها (٥) والذي أنشد الشيخ شهاب الدين الكوراني فيه
 قصيدة منها :-

لَمِیَاءٌ اِذْ سَفَسَرَتْ عَنْ ثَغْرِهَا الشَّنْبُ
 سَارَتْ بَلْبَسِي وَأَسْرَى بَعْدَهُ أَدْبِي
 فَهَذِهِ حَالَتِي بِالْعَيْنِ تَنْظُرُهَا
 الْقَلْبُ فِي مَفْدٍ وَالْعَيْنُ فِي حَلْبِ
 سُلْطَانِنَا الْبَاهِرُ لَهُ شَرَفٌ
 يَسْمُو عَلَى الْبَدْرِ وَالْجُوزَاءِ وَالشَّهْبِ

(١) عبد الكريم رافق ، العرب والعثمانيون ، ص ٣٤ ، محمد فريد بك ، ص ١٢٤-١٢٥

(٢) قطب الدين النهروالي ، الإعلام ، ص ١١٧ .

(٣) طاشكبري ، الشقائق النعمانية ، مخطوط رقم ١٥٠٨ ، ص ١٢ .

(٤) نفس المخطوط السابق ، ص ١٢ .

(٥) جلال الدين السيوطي ، نظم العقيان في أعيان الأعيان ، مخطوط رقم ١١١١ ،

مُحَمَّدٌ أَنْتَ فَخْرُ الْقَوْمِ قَاطِبَةٌ
 سُمِّيَتْ بِدُرِّ السَّمَامِنِ أَنْجُمُ الْعَرَبِ
 رياض مدحك أزهار مفتحة"
 (١) وَصَوْتُ شِعْرِي لَهَا كَالْبُلْبُلِ الطَّرِبِ

وقد تعرضت القسطنطينية للحصار تسعاً وعشرين مرة ، وأخذت سبع
 مرات ، آخرها عندما سقطت في يد السلطان محمد الثاني ، الذي ضمها
 إلى ممتلكاته ، وأصبحت قصبة المملكة ، وقد تمتعت القسطنطينية بأهمية
 كبرى منذ أن أنشأها قسطنطين الأول (٣٠٦ هـ / ٣٣٧ م) ونقل كرسي
 الإمبراطورية من روما على ضفاف التيبر ، إلى روما الجديدة التي
 شيدت على ضفاف البسفور ، وقد شيد عاصمته الجديدة محل بلدة
 بيزنطة القديمة . أنظر الشكل (٢١) .
 (٢)

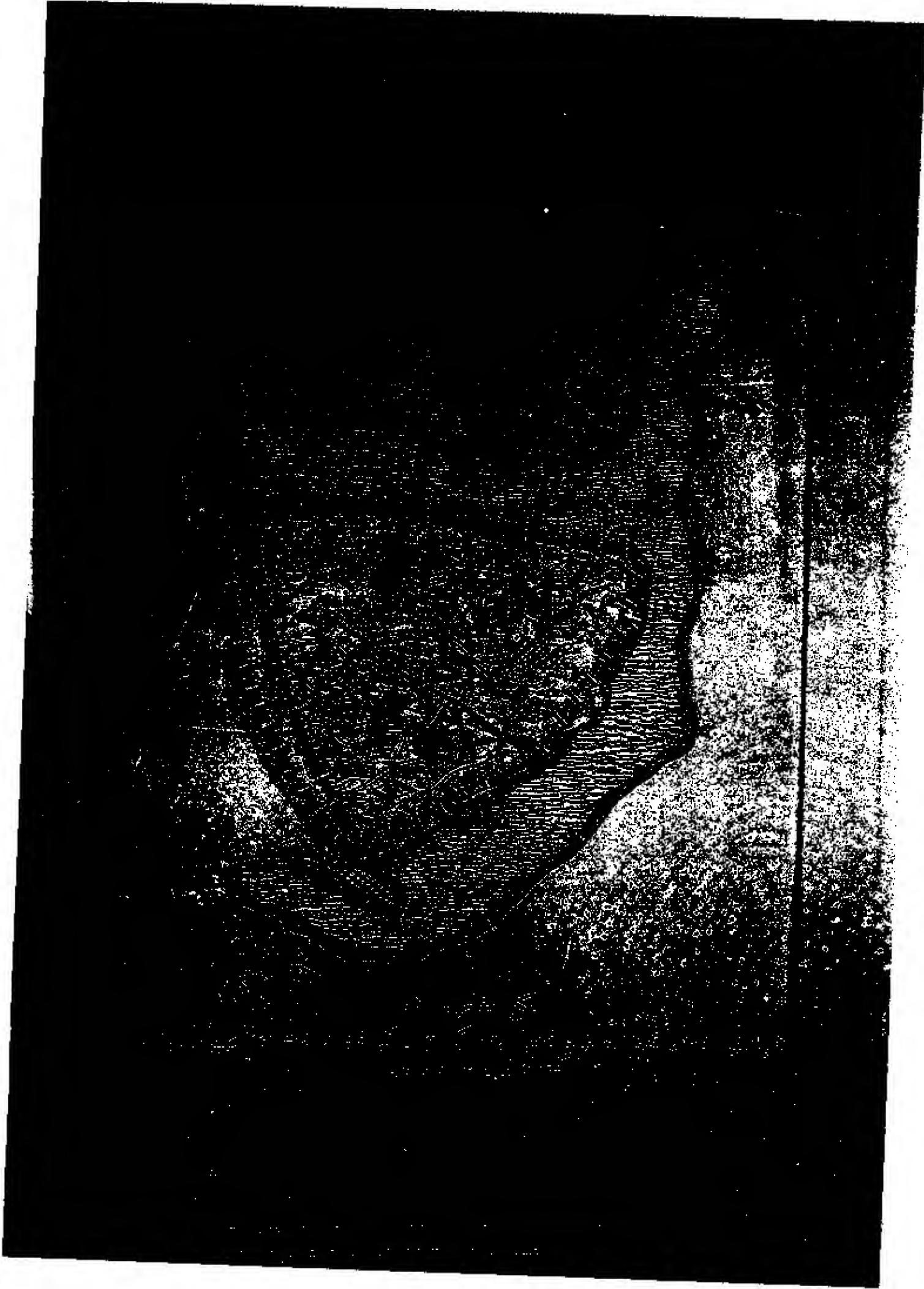
وقد تمتعت القسطنطينية بحصانة كبيرة حيث كانت تحيط بها
 المياه من ثلاث جهات ، من الشمال مياه القرن الذهبي ، ومن الشرق
 مياه البسفور ، ومن الجنوب بحر مرمرة ، فكانت بذلك على درجة كبيرة
 من المنعة لسيطرتها على المضايق التي تربط البحر الأسود بالبحر
 المتوسط ، وقد أطلق عليها قسطنطين اسمه ، وعمل على تجميلها حيث
 شيد بها القصر الإمبراطوري وسوقاً ومحاكم ، وحمامات وملعباً .
 (٤)

(١) نفس المخطوط السابق ، ص ١٧٣ .

(٢) سليمان بن خليل جاويش ، التحفة السنية ، ج ١ ، ص ١٠ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٧ .

(٤) نفس المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧ - ٢٩ .



خارطة اسطنبول القديمة :

إن النسخة الأصلية من هذه الخارطة التي تصور أحوال اسطنبول المسمى ببيزنطة قديما
في عهد القياصرة . محفوظة في باريس .

أحمد مختار : فتح جليل قسطنطينية .

وكان للمسلمين محاولات عديدة لفتح تلك المدينة (القسطنطينية) منذ العهد الأموي إلى العهد العثماني ، فكانت أولى هذه المحاولات في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان عام (٥٠ هـ / ٦٧٠ م) حيث سير إليها جيشاً بقيادة سفيان بن عوف ، ثم أمده بجيش قاده يزيد بن معاوية وبمعيته عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير وأبو أيوب الأنصاري ^(١) الذي استشهد تحت أسوار القسطنطينية بعد أن قال قولته المشهورة : (إذ مت فاركب بي ، ثم سغ بي في أرض العدو ما وجدت مساعاً ، فإذا لم تجد مساعاً فادفني ثم ارجع ، فلما مات ركب به يزيد بن معاوية في أرض العدو ما وجد مساعاً ثم دفنه ورجع) ، ودفن أبو الأنصاري هناك بعد أن استشهد وعاد بعد ذلك الجيش دون أن يحقق نصراً ^(٢) .

ثم حدث أن حاول المسلمون فتح القسطنطينية في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، الذي وجه جيشاً لفتحها سنة (٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٤ م) وكان على رأس ذلك الجيش مسلمة بن عبد الملك ، ولقد ظل الجيش الذي أرسله الوليد محاصراً للقسطنطينية إثني عشر شهراً ، ولاقى الكثير من المصاعب ، بسبب دخول الشتاء ، ونقص المؤن واستخدام الروم للنار الإفريقية ، وبعد وفاة الخليفة ، سليمان

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٣ ، ص ٤٨٤ - ٤٨٥ ؛ ابن كثير

البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٦٤ .

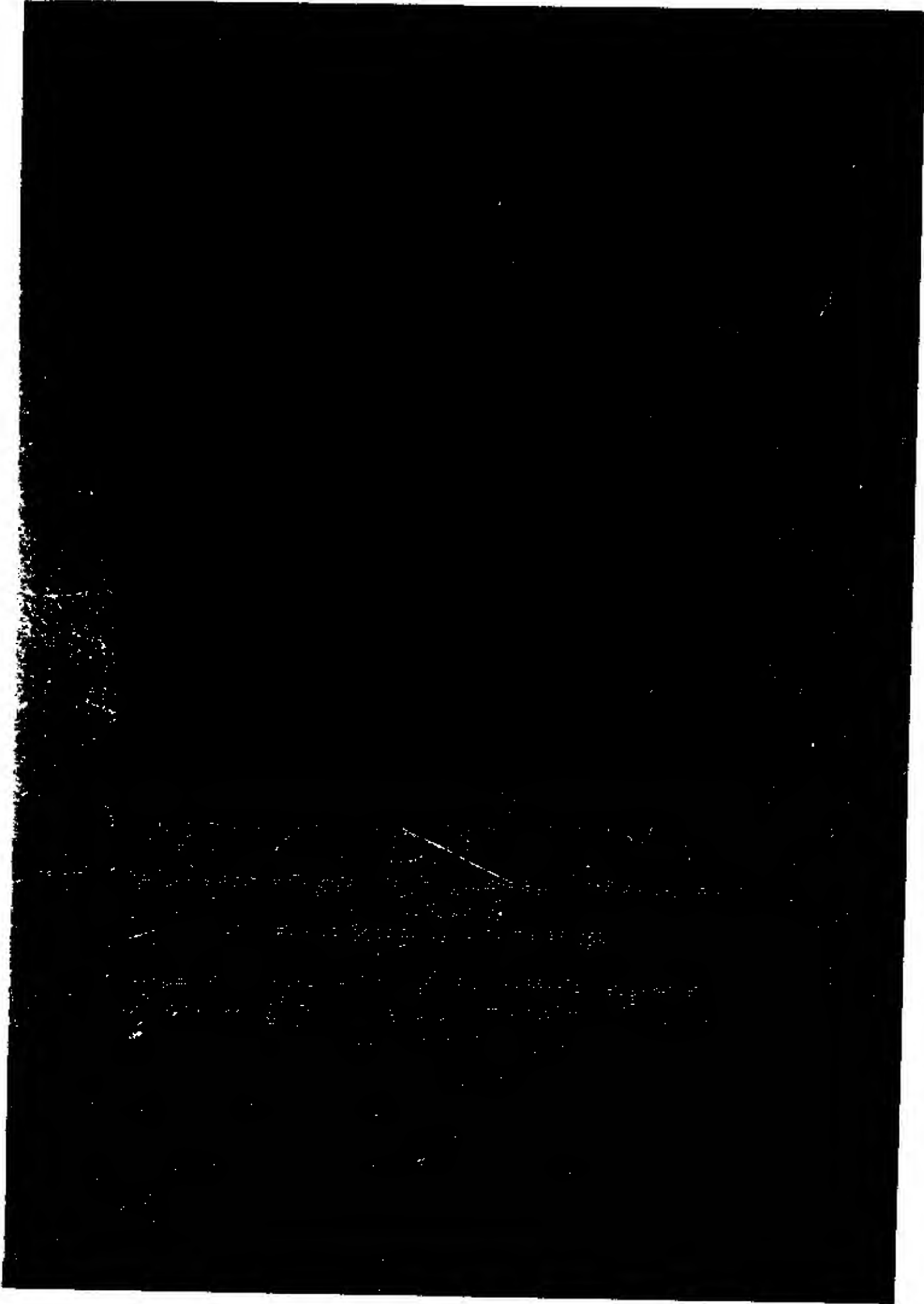
بن عبد الملك أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز برفع الحصار
(١)
وعودة الجيش .

كذلك واصل العباسيون الجهاد ضد القوى البيزنطية ،
ونالوا منهم الكثير ، فقد تمكن الخليفة هارون الرشيد
من جعل الملكة إيريني تدفع الجزية للخلافة العباسية ،
كما أنه خرج على رأس جيش لمحاربة خليفتهما نقفور فوقاس ،
وهزمه وأجبره من جديد على دفع جزية مضاعفة لخليفة
المسلمين ، وقد أكمل السلاجقة - الذين ظهرُوا على مسرح
الأحداث والذين قاموا بدور عظيم في الجهاد ضد البيزنطيين -
المسيرة فقد تمكن ألب أرسلان (٥٥٥ - ٥٦٥ هـ / ١١٦٠ -
١١٦٩ م) من هزيمة الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجنيوس
في موقعة ملاذكرد وأسرهُ ، كما قام في قونية فرع آخر من
السلاجقة سمووا بسلاجقة الروم وكان لهم الفضل
في تفتيت قوة الدولة الرومانية الشرقية ، حيث وصلوا
إلى سواحل بحر أيجه . (٢) أنظر شكل ص (٢٤) .

وفي العهد العثماني كانت هناك محاولات لفتح
القسطنطينية قبل عام (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) وهو عام
الفتح ، قبل ذلك حاصر السلطان بايزيد الأول

(١) عماد الدين اسماعيل بن أيوب ، تقويم البلدان ، ص ٢٠٠ ، عبد السلام فهمي ،
السلطان الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم ، ٨٣٣ هـ - ١٤٢٩ م ، ١٤٨١ م ،
ص ٦٦ - ٦٨ .

(٢) عبد السلام فهمي ، السلطان محمد الفاتح ، ص ٦٨ .



الأحوال القديمة القسطنطينية :

الخارطة التي تصور لنا أحوال اسطنبول وتقسيماتها الداخلية وماحولها وذلك في القرون الوسطي (اثناء محاصرتها الأخيرة) • (١) القصر الملكي على رأى (HERTZBERG)
(٢) آيا صوفيا • (٣) هيبودروم (ملعب الخيل والسباق) • (٤) كنيسة سن سه رزثة بافكوس
(٥) كنيسة الحواريين • (٦) باب سينة كوم يقع على الخليج • (٧) عمود قسطنطين •

أحمد مختار : فتح جليل قسطنطينية •

(١) (٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م) القسطنطينية وكادت أن تقع في يده لولا قدوم تيمور لنك لقتاله وفي ذلك يورد ابن عربشاه : (فعندما علم ابن عثمان (بايزيد) بقدوم تيمور لنك وأنه قادم لقتاله ، استعد لاستقباله وكان على رأس استانبول محاصراً أشامها وكفارها ، وقد قسارب على أن يفتحها لولا أن دهم خطر التتار . . ولكن نزلت به الهزيمة على يد تيمور لنك وقبض عليه وبعث به إلى بورصة بطائفة من الجند والأعوان عملوا على أخذ ما بها من أموال ابن عثمان وخدمة . . .) (٢)

لولا هذا الخطر المفاجئ الذي لم يحسب حسابه ، والذي داهم السلطان بايزيد ، أثناء حصاره للقسطنطينية لفتح ، منذ تلك الفترة ولما تأخر ذلك الفتح إلى سنة (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) .

وجاءت اللحظة الحاسمة ، ودقت ساعة الفتح ، وكانت الخطوة الجرئية الفعالة والتي دكت أسوار القسطنطينية دكاً ، وأسقطت ذلك الحصن الذي استعص على الغزاة والفاحين ، ولم يصمد أمام قوة الإيمان ، وتصميم الرجال ، وخر ذلك الحصن على يد السلطان محمد الثاني يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة . (٣)

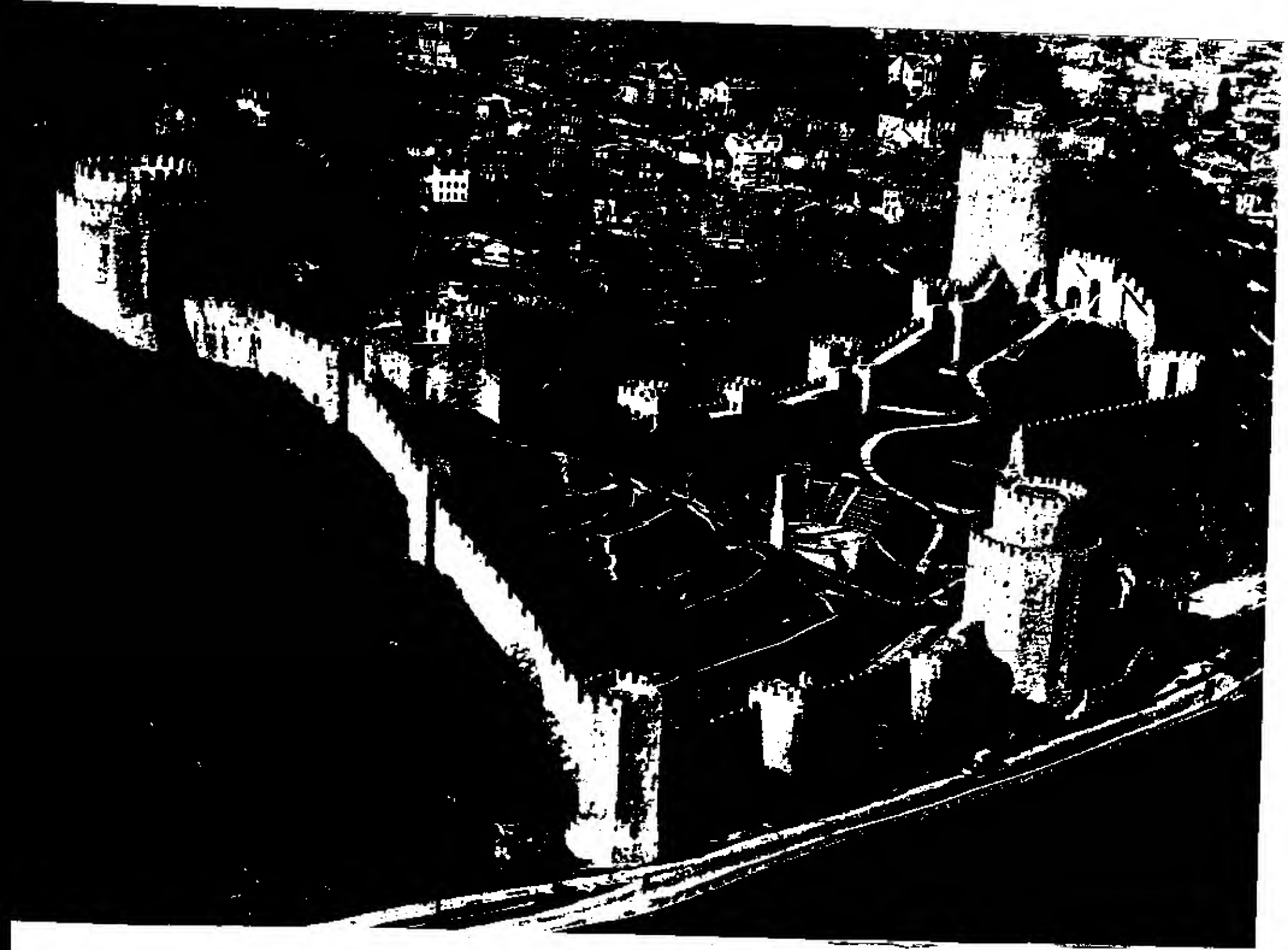
-
- (١) سليمان خليل جاويش ، التحفة السنية ، ج ١ ، ص ١٥ ؛ أحمد مختار ، فتح جليل قسطنطينية ص ٥ ، تاريخ تيمور لنك ، ص ١٤٧ .
- (٢) ابن عربشاه محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي ، عجائب المقدور في نوائب تيمور ، ص ١٩٢ - ١٩٥ ، ١٩٨ ، تاريخ تيمور ، ص ١٤٧ .
- (٣) جمال الدين أبي المحاسن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١٦ ، ص ٧٠ ؛ أحمد مختار ، فتح جليل قسطنطينية ص ٢٨٨ .

يعتبر المؤرخون سقوط القسطنطينية من أهم الأحداث في القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري، ويمثل هذا الحدث نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة، والقسطنطينية هي عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، التي فقدت معظم أراضيها وممتلكاتها أمام ضربات المسلمين وغدت من أصغر الدول القائمة في شبه جزيرة البلقان. (١)

وكان أول عمل قام به السلطان محمد الفاتح هو بناء قلعة روم حصار الحصينة على بعد سبعة كيلو مترات من أبواب القسطنطينية (أنظر الشكل ص ٢٧) وقد حاول قسطنطين الحادي عشر استنفار أوروبا ودعم البابا بيوس الثاني، للوقوف أمام الفتح العثماني، ونجدة المدينة الوحيدة المتبقية في أيدي المسيحيين، وكرد فعل لذلك فقد شرع السلطان محمد في عقد المعاهدات والاتفاقيات مع كل من المجر وصربيا وولاشيا والبندقية وجنوة، وذلك لضمان عدم تدخلهم، ولتأمين القوات العثمانية عند مهاجمتها للقسطنطينية، وكان السلطان محمد على رأس الجيش. (٣)

ومن أجل تحقيق النصر، لجأ السلطان لخطة ذكية وهي أنه تمكن من إنزال ما يقرب من ثمانين سفينة عثمانية إلى مياه القرن الذهبي، والذي كانت تحميه سلسلة ضخمة، حيث مهد طريق من الخشب دهنه بالشحوم

-
- (١) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٢٤٥.
 - (٢) إدورد جيبون، إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ج ٣، ص ٣٤٤.
 - (٣) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٢٤٥.



حصار بوغاز كسن:ن:

هورة عن روم ايلي حمارى المسمى ببوغازكسن حمارى وقد أنشأها السلطان
محمد خان الثاني الفاتح ، على أن يسد مضيق البحر الأسود ، وأنشئ هذا
الحصار في ساحل روم ايلي .

يسهل إنزال السفن فتصل إلى مياه القرن الذهبي، وبينما كان هو يقوم
 بهذه المهمة كانت القوات البرية مشتبكة مع الجيش البيزنطي وبعض
 ذلك بدأت القوات البرية والبحرية في قصف المدينة براً وبحراً
 واندفع المقاتلون العثمانيون نحو المدينة، وقد ورد ذكر الفتح
 في تاريخ أبو الفاروق على النحو التالي : (أحطنا بهم وحاربناهم
 وحاربونا، وقتلناهم وقتلونا، وجرى بيننا وبينهم القتال أربعة
 وخمسين يوماً وليلة .. فمتى طلع الصبح الصادق من يوم الثلاثاء يوم
 العشرين من جمادى الأولى هجمنا مثل النجوم رجوماً لجنود الشياطين، سخرها
 الحاكم الصديقي ببركة العدل ...) (٣)

وفي أثناء القتال قتل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين، كما قتل
 الآلاف من جنده، وقد حافظ السلطان على المدينة ولم يدمرها، أو يقتل
 أهلها، كما حدث عندما استولى الصليبيون على بيت المقدس، فقد قاموا
 بمذبحة رهينة ضد المسلمين فيها، بل أن السلطان محمد الفاتح أظهر
 الكثير من التسامح، ودخل المدينة في موكب النصر مع جنده وتفقد
 أحوالها . ومن أهم أعمال السلطان محمد الفاتح تحويل كنيسة أياصوفيا
 إلى مسجد، فأقام على أركانها الأربعة أربع مآذن بأذنة الطول، وأضاف
 إلى بنائها أبنية ذات طابع إسلامي جميل، ووشق جدرانها بآيات من

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص: ١٤٨، بسام العسلى الفاتح

القائد، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) أحمد مختار، فتح جليل قسطنطينية، ج ١، ص ٢٩٥ .

(٣) طه زاده عمر فاروق، تاريخ أبو الفاروق، المجلد ٢، ص ١١ - ١٤ .

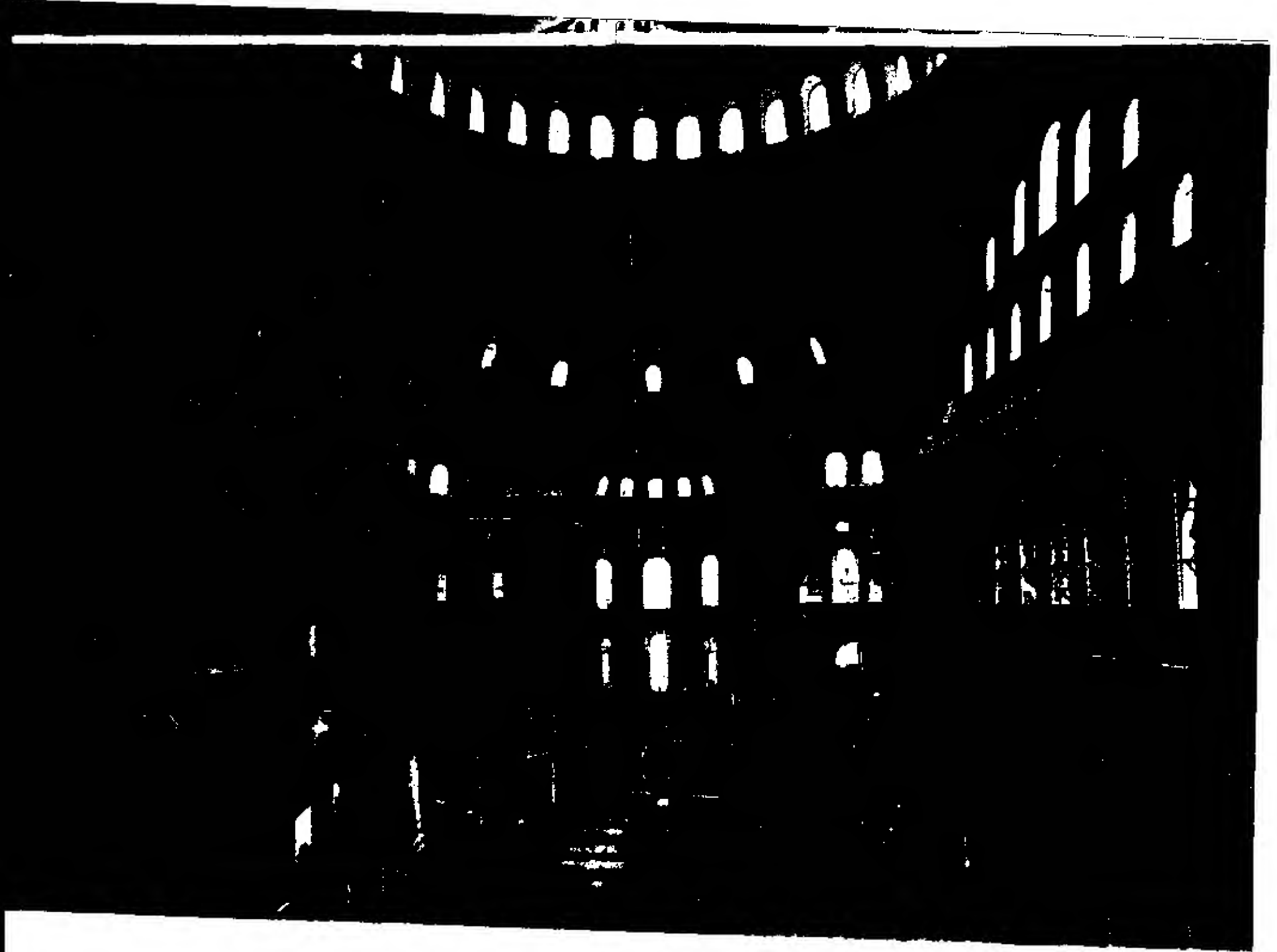
(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٢٤٥ .

(٥) طاشكيري، الشقائق النعمانية، مخطوط رقم ١٥٠٨، ص ٧٠ .

(٦) كامل باشا . تاريخ سياسي دولته عثمانية، ج ١، ص ٨٧ .

(١) القرآن الكريم ، (أنظر الشكل ص : ٣٠) ووضع على قضاء القسطنطينية المولى حضر بك ، ولما توفي أعطى قضاءها مع خواصها وقضاء غلظة لمونا خسرو وضم إليه التدريس في مدرسة أيا صوفيا وقد كان عالما وقوراً حميد الأخلاق ، وقد قال السلطان عنه : " أنظروا هذا أبو حنيفة زمانة " (٢) وحولت العديد من الكنائس إلى مساجد ، واتخذ السلطان من القسطنطينية عاصمة للدولة العثمانية ، وأصبح إسمها (إسلام بول) أي مدينة الإسلام وأعطى الحرية الدينية للمسيحيين وأعاد مآتهم من أسوار المدينة أثناء الحصار ، وبنى عند بحر مرمرة قلعة عظيمة اشتهرت باسم قلعة الأبراج ، كما أنه عني بالأسطول فأنشأ داراً لصناعة السفن ، كما شيد مدرسة القصر ، وللسلطان مآثر عديدة من مدارس وزوايا وجوامع ، وقد بعث السلطان بالبشرى إلى سلاطين العالم الإسلامي ، ومنهم الشريف بركات بن الحسن شريف مكة ، كما أرسل بالبشرى إلى سلطان مصر المملوكي ، وقد أورد ابن إياس نص الرسالة المرسلة لسلطان مصر حيث يقول : (وصل قاصد ملك الروم محمد بن عثمان ، يخبر السلطان بفتح القسطنطينية ، العظمى وقد صنع المكائد في فتحها وكان يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى من هذه السنة (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) فلما بلغ السلطان ذلك دقت البشائر في القلعة ونودي في القاهرة بالزينة ، ثم أن السلطان عين برشباي أمير أخور ثاني رسولاً إلى ابن عثمان يهنئه بهذا الفتح العظيم فخرج برشباي وتوجه إلى بلاد إبن عثمان) ، وقد تناقل المسلمون أخبار هذا النصر ، (٧)

- (١) مجلة عالم السعودية ، العدد الأول ، المجلد الثامن يناير ١٩٨٩ م ، ص ٣٤٠
- (٢) طاشكبرى زاده ، الشقائق النعمانية مخطوط رقم ١٥٠٨ ، ص ٧٠ - ٧١ .
- (٣) محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٣٣ - ٤٣٧ .
- ٤١ - ٤٦ ؛ إدورد جيبون ، ج ٣ ، ص ٣٤٥ .
- (٤) السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج ١٠ ، ص ٤٧ .
- (٥) فريد بك ، منشآت الملوك والسلاطين ، ج ١ ، ص ٢٣٩ ؛ أحمد دحلان ، خلاصة الكلام في أمراء بلد الله الحرام ، ج ١ ، ص ٤٣ ؛ إبراهيم رفعت مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٣٦٣ .
- (٦) فتح جليل قسطنطينية ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ؛ كامل باشا ، تاريخ سياسي ، ج ١ ، ص ٨٧ .
- (٧) ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ٢ ، ص ٣١٦ .



صورة من الداخل لمسجد أيا صوفيا •

حيث يذكر ابن تغرى بردي أن القاهرة دقت الباشر وزينت أياماً، وأشار^(١)
المؤرخ العثماني فريدون بك أحمد إلى عدد من رسائل التهنئة التي
وصلت إلى السلطان محمد من الدول المجاورة لدولته إنذاك تعبيراً عن
تأييدهم ومؤازرتهم للدولة العثمانية .^(٢) (أنظر الملحق رقم (٢)) .

أتاح فتح القسطنطينية للقوى الإسلامية العثمانية أن تتجه إلى
باقي أوروبا ، إلى رومانيا ، وبلغاريا ، واليونان ، ويوغسلافيا ، وألبانيا
والمجر وبذلك قلبت الدولة العثمانية ميزان القوى ، فبعد أن كان
العالم الإسلامي يقف موقف الدفاع ، والعالم الأوروبي يتخذ موقف الهجوم
انعكس الوضع حيث ظلت أوروبا منذ ذلك التاريخ (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) وإلى
ثلاثة قرون متصلة تقف موقف الدفاع في وجه الفتح العثماني .^(٣)

بهذا الإنجاز الباهر العظيم ، سقط أهم معاقل المسيحية في الشرق
(القسطنطينية) التي صمدت ما يقرب من ألف عام أمام القوة الإسلامية
بعد سقوط الإمبراطورية الغربية سنة (٤٧٦ م) ، وبعد سقوط القسطنطينية
انفتح المجال أمام الفتح الإسلامي نحو أوروبا .

بعد هذا النصر المؤزر أخضع السلطان محمد الثاني كل من المورة
والصرب والبوسنة واقترب إلى كل من المجر ، وألمانيا ، وإيطاليا ، ودانت له^(٤)

-
- (١) ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ص ٧٠ - ٧١ .
(٢) فريدون بك ، منشآت الملوك والسلاطين ، ص ١٥٠ - ١٥٨ .
(٣) أنور الجندي ، الإسلام وحركة التاريخ ، ص ٣٠٧ .
(٤) طه زاده عمر فاروق ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الثاني ، ص ٤١
بسام العسلي ، الفاتح القائد ، ص ٨١ - ٨٣ .

(١)

طرابزون، والقرم في آسيا . (انظر خريطة ص : ٣٣) .

وفي سنة (٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م) سار السلطان محمد الفاتح إلى بغداد فخاف رئيسهم وهرب فدخل السلطان البلاد وأسر من أسر وأجبر ستيفان على دفع الجزية ، كما أنه في عام (٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م) خاصر رودس ثلاثة أشهر ولم يتمكن من فتحها لحصانتها ، وقد توفي السلطان بعد ذلك سنة ست وثمانين وثمانمائة عندما توجه إلى بورصة ثم نقل جثمانه إلى اسطنبول .^(٢)

تولى الحكم بعده ابنه بايزيد الثاني (٨٨٦ - ٩١٨ هـ / ١٤٨١ - ١٥١٢ م) وكان والياً على أماسيا عندما توفي والده ، وعندما وصل إليه الخبر توجه إلى اسطنبول ، فوجد الإنكشارية شقوا عصا الطاعة ، ونهبوا الكثير من المنازل ، فعندما وصل بايزيد عمل على تهدئتهم ووعدهم بالعطايا والهدايا ومن ذلك الوقت وجدت عادة العطايا والهبات عند تولية أي سلطان جديد ، وفي عهد السلطان بايزيد توقفت الفتوحات نظراً للمشاكل التي واجهته من جهة أخيه (جم) في داخل الدولة بالإضافة إلى مشكلات^(*)

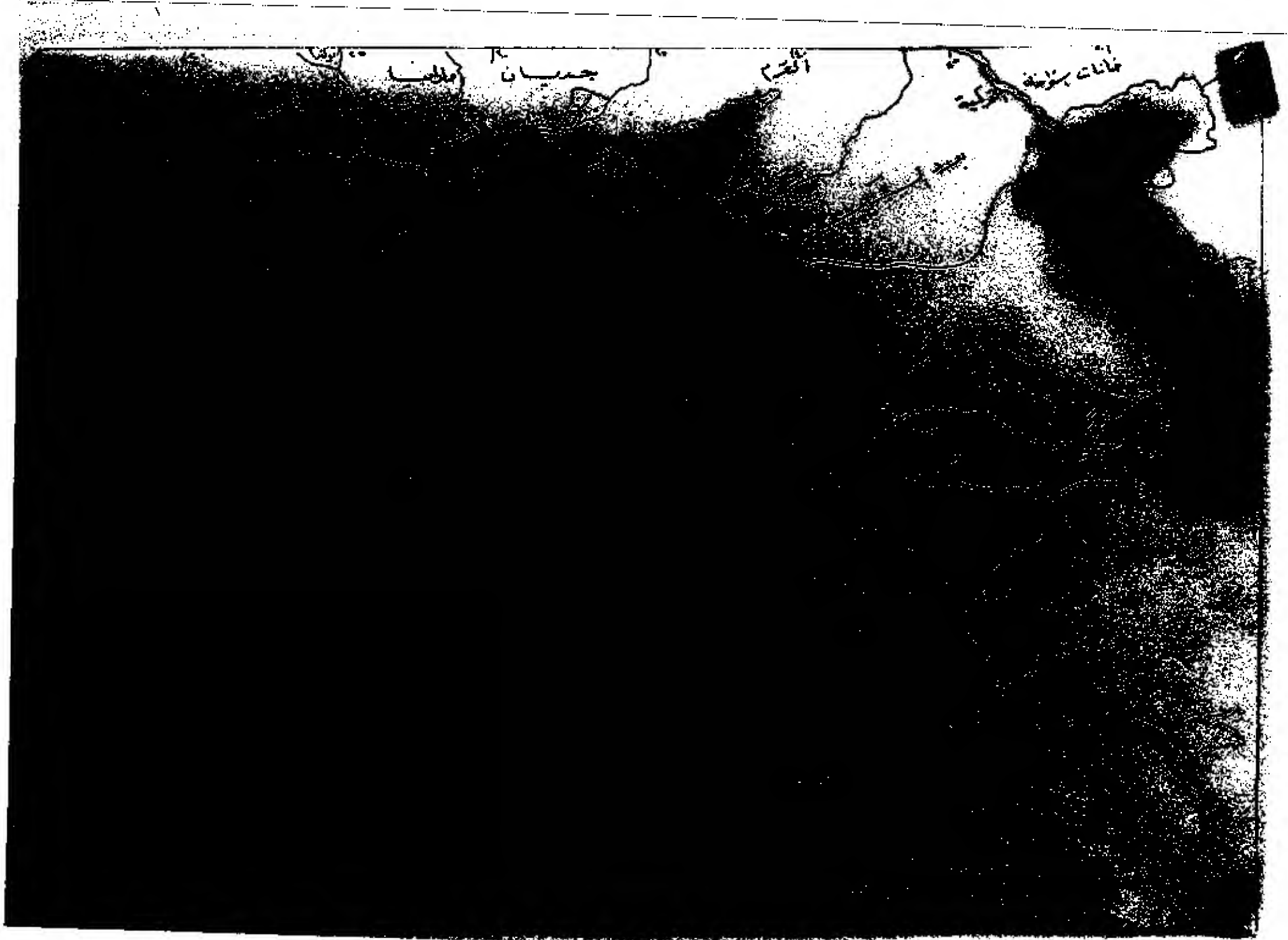
(١) موفق المرجة ، صحوة الرجل المريض ، ص ٤٠ .

(٢) أحمد زيني دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

(٣) السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج ١٠ ، ص ٤٧ .

(*) أماسيا : تقع في شمال شرق الأناضول جنوب صامسون ، الواقعة في شمال تركيا على البحر الأسود ، وهناك بلدة أخرى باسم أماسيا تقع إلى الجنوب الشرقي من أزمير والشانية هي المقصودة هنا لأن أماسيا الأولى لم تكن داخلة في ملك آل عثمان (محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٢٣) .

(*) جم أحد أخوة السلطان بايزيد ، وقد سار إلى بورصة بعد وفاة والده ، وهزم ألفي إنكشاري ثم أرسل إلى أخيه يعرض الملح ، بشرط تقسيم المملكه بينهما ، فيختص جم بولايات آسيا ، وبايزيد بأوربا ، فلم يقبل بايزيد ذلك ، فحاربه وهزمه ، فالتجأ جم إلى مصر ، وحاول بعد ذلك إثارة رئيس فرسان القديس حنا ضد أخيه ، ولكن فرسان القديس يوحنا بالاتفاق مع بايزيد قبضوا عليه ، مقابل مبلغ من المال يدفعه له السلطان بايزيد (محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٨٠ - ١٨٢) .



الحدود بينه وبين دولة المماليك وقد التزمت الدولة في عهده جانباً
 السلم ولم يخلو الأمر من الفتن والمشاكل الداخلية ، كما ابتدأت في^(١)
 عهده العلاقات مع دول أوروبا ، حيث قامت علاقة بينه وبين الروس ففسي
 سنة (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) وصل إلى القسطنطينية أول سفير روسي ومعه
 هدايا للسلطان بايزيد الثاني وبعد ذلك بأربع سنوات وصل سفير آخر
 حصل على امتيازات للتجار الروس كما ربطت الدولة العثمانية في
 عهده صداقة مع مملكة بولونيا ، حيث عقد بينهما معاهدة سنة (٨٩٦ هـ / ١٤٩٠ م)
 وتجددت تلك المعاهدة سنة (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) .^(٢)

وابتدأت الإتمالات في عهده بين البابا إسكندر السادس
 وملك نابولي ، ودولة ميلانو ، وجمهورية فلورنسا ، وقد تكسدر صفو
 حياة السلطان بسبب عصيان أبنائه فاستقال في ثمانية من صفر سنة
 (٩٨١ هـ - ١٥١٢ م) ، متنازلاً لابنه سليم بالحكم وكان سليم حاكماً^(٣)
 على أماسيا سنة (٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م) وجلس على عرش السلطنة سنة
 (٩١٨ هـ / ١٥١٢ م) وكانت مدة حكمه تسع سنوات ولقد قام بمحاربة
 الشاة إسماعيل الصفوي وهزمه في تبريز ، وأكمل مسيرة الفتح فحارب^(٤)
 المماليك في بلاد الشام وانتصر عليهم في معركة مرج دابق سنة
 (٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م) حيث هزم السلطان الغوري وبعد أن استتب الأمر له^(٥)
 في الشام ، سار إلى مصرفي أول محرم سنة (٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) وقصد

-
- (١) إسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار ، ج ١ ، ص ٥١٩ - ٥٢٣ .
 (٢) نشانجي باشا ، سير أنبياي عظام ، ص ١٦١ .
 (٣) تاريخ جودت باشا ، المجلد الأول ، ص ٣٨ - ٣٩ .
 (٤) نفس المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٣٩ .
 (٥) ابن زنبيل ، آخر المماليك واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني ،
 مخطوط رقم ٤٨ ، ص ١٤١ .

اجتمع المماليك الجراكسة في مصر على طومان باي الذي هُزم في الريدانية وألقي القبض عليه وأمر السلطان العثماني بشنقه على باب زويلة، وبقتلة انتهت دولة الجراكسة في مصر والشام، وابتدأ نجم العثمانيين يـلـوح في الأفق، وقد دعى للسلطان سليم على المنابر، ولقب بخادم الحرمين الشريفين (٢).

وقد قام السلطان سليم بإجراء الرواتب للأيتام والشيوخ المقعدين وقرر المرتبات للأوقاف، والخيرات وغلل الحرمين الشريفين، وقد اضطرب السلطان معه من مصر من أصحاب الصنائع التي لم توجد في بلاده، بحيث أفقد مصر نيفاً وخمسين صنعة . (ولكن هؤلاء الصنائع الذين رحلهم السلطان إلى إسطنبول سنة (٩٢٣ هـ) لم يظل بعدهم عن مصر أكثر من ثلاث سنوات، هذه مدة قصيرة لا تؤثر على مستوى البلد المهني، حيث توفي السلطان بعد ذلك بثلاث سنوات، وأمر السلطان سليمان بن سليم بعودتهم إلى مصر وعندما رفض الصنائع العودة إلى مصر، أصدر قانوناً يقضي بعودتهم وفي ذلك يورد ابن اياس في حوادث شهر جمادي الأولى عام (٩٢٧هـ) حيث يقول : " وفي هذا الشهر حضر جماعة كبيرة من اسطنبول ممن كان السلطان سليم شاة أسرهم وأخرجهم من مصر، فلما مات سليم شاة بن عثمان واستقر ولده سليمان أصدر مرسوماً بعودة الأسرى قاطبة إلى بلادهم، ورأف عليهم وأظهر العدل فيهم " (٤).

(١) البكري، عيون الاخبار ونزهة الأبصار، مخطوط رقم ٧٢، ص ١٠٢ - ١٠٣

(٢) طه زاده عمر فاروق - تاريخ أبو الفاروق، المجلد ٢، ص ٢٩٦ .

(٣) عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والاخبار، ص ٦٤ - ٦٥

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٣٩٧ - ٩٧٤ .

وقد توفي السلطان سليم الأول سنة (٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م) وخلفه
 ابنه سليمان الثاني ، تولى الحكم سنة (٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م) وكان له
 من العمر ستة وعشرون عاماً وحكم لمدة ثمانية وأربعين عاماً وهي أطول
 فترة حكم قضاها سلطان عثماني وتوفي وله العمر أربعة وسبعين عاماً .^(١)

يعتبر عصر السلطان سليمان الأول من أزهى العصور في العهد
 العثماني^(٢) حيث وفق في فتوحاته في الجانب الغربي كما وفق في
 فتوحاته شرقاً ، واتبع هذا السلطان في سياسته مع أوروبا سياسة مخالفة
 لمن سبقوه ، فيما يتعلق باستمرار القتال بين المسلمين والمسيحيين
 وقد أطلق عليه العثمانيون اسم سليمان القانوني ، وذلك لكثرة القوانين^(٣)
 والنظم التي صدرت في عهده ، كما أطلق عليه الأوروبيون لقب العظم ، ويرجع
 السبب في ذلك إلى أنه بالإضافة لشجاعته ، فقد استطاع أن يحتفظ
 بهيبته في عصر كان يعيش فيه الكثير من المشاهير ، أمثال فرنسو الأول^(٤)
 ملك فرنسا ، وهنري الثامن ملك إنجلترا ، والإمبراطور شارل الخامس
 ملك أسبانيا وألمانيا ، وأمانويل ملك البرتغال ، وإيوان الثالث ملك
 روسيا ، وإسكيل الثالث .^(٥)

وقد واكب شهرة هؤلاء الملوك وجود شخصيات تركية ذات أهمية أمثال

-
- (١) سليمان خليل جاويش ، التحفة السنية ، ج ١ ، ص ١٥ ، كامل باشا ، تاريخ
 دولت عليية ، ج ١ ، ص : ١٦٣ .
 (٢) تاريخ جودت باشا ، المجلد الأول ، ص ٤٠ .
 (٣) طه زاده عمر فاروق ، تاريخ آوالفاروق ، المجلد ٣ ، ص ٦ - ٣ .
 (٤) محمود زيادة دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٥٧ ، يوسف آصاف سلاطين
 آل عثمان ص ٧٢ .
 (٥) السعيد سليمان ، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ج ٢ ، ص ٤٤٤
 (٦) على بك حليم ، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٩٥ .

سنان باشا ، وهو من أعظم رجال المعمار ، وكمال باشا زاده مفتي الدولة ومن رجال البحر أمثال طرغود ، وخير الدين بربروسا وأخوه عروج وصادفت أيام السلطان القانوني نهضة شاملة في أوروبا في القرن السادس عشر الميلادي ، وسائرهم العثمانيون في ذلك بل فاقوهم في هذا المضمـنـار الحربي ، ولم يوجد في أوروبا في عهده من يفوقه حربياً أو سياسياً أو إدارياً ، وقد أطنب الشعراء في الدول الأجنبية في وصف السلطان سليمان القانوني ، وما يدل عليه مظهره من أنه ولد ليكون سلطاناً لماتمتع به من الذكاء والثقافة العالية ، حيث كان ينظم الشعر بالفارسية وإن لم يمل إلى ما وصل إليه والده ، وكان ورعاً تقياً كتب ثمانية مصاحف بيـدة ولا تزال موجودة في الجامع السليماني باسطنبول . (١)

أما فتوحاته فلم تكن بأقل من فتوحات والده حيث تمكن من فتح بلغراد في (٢٦ رمضان ٩٢٦هـ / ١٥٢١م) (أنظر الملحق رقم (٣)) ، وفتح رودس من فرسان القديس يوحنا في (٥ صفر ٩٢٩هـ / ١٥٢٢م) كما غزا بلاد المجر ، والتقى بجيوشهم في معركة موهاكس (٩٢٢هـ / ١٥٢٦م) وقتل ملكهم لويس الثاني ، وفتح العديد من القلاع ، كما حاصر فينا عشرين يوماً عام (٩٣٥هـ / ١٥٢٩م) ولم يتمكن من فتحها ، فأرتد عنها ، وكان هذا أول فشل يلحق به في أوروبا ، وقد اتسعت البلاد في عهده ، حيث امتدت من بودابست على نهر الطونة إلى أسوان بالقرب من شلالات النيل ومن نهر الغرات إلى مسافة قريبة من جبل طارق كما أصبحت الجزائر في عهده

(١) تاريخ جودت ، المجلد الأول ، ص ٤٢ .

(٢) تاريخ بجـوي ، ص ٦٨ .

ولاية عثمانية تابعة لدولته ، وكان لخير الدين بربروسا وأخاه عروج دورهما في البحر المتوسط وحماية شواطئه ، وبلغ الحكم العثماني فسي (١) عهده أوجه . (أنظر خريطة ص ٢٩) . (٢)

جاء إلى الحكم بعده ابنه سليم الثاني سنة (٩٧٤ - ١٥٦٦ م) وله من العمر خمسة وأربعون عاماً ، وقد عمل السلطان سليم على إتمام فتح ممالك اليمن ، وكان والده قد بدأ في فتح اليمن فأكمل هو فتح ذلك القطر ، كما تمكن من الإستيلاء على جزيرة قبرص ، كما أرسل السلطان نجدة (٣) لمسلمي غرناطة - في الأندلس - الذين أرسلوا يستنجدوا بالسلطان سليم خان سنة (٩٧٧ هـ / ١٥٦٩ م) ضد مسيحي أسبانيا حيث لبى السلطان طلبهم بأن أرسل لأمير أمراء الجزائر بأن يبعث النجدة والمعونة لهم . (أنظر الملحق رقم ٤) . (٤)

وفي عهد السلطان سليم الثاني مني الأسطول العثماني بهزيمة بحرية في معركة ليبانتو عام (٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م) وعلى الرغم من سيطرت الدولة العثمانية على قبرص كما ذكرت آنفاً ، وهزيمتهم للنمساويين سنة (١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م) في سهل واج إلا أنهم لم يعودوا يشكلون خطراً على أوروبا . (٦)

(١) محمد باشا ، الدرة النيرة في بيان ماجرى حين أغارت على الجزائر جنوس الكفرة ، مخطوط رقم ٩٧٥١ ، ص ٣ .

(٢) Halil Inalick , Op, Cit., P, 35 .

(٣) عبد الواسع اليماني ، تاريخ اليمن ، ص ٢١٧ - ٢١٩ .

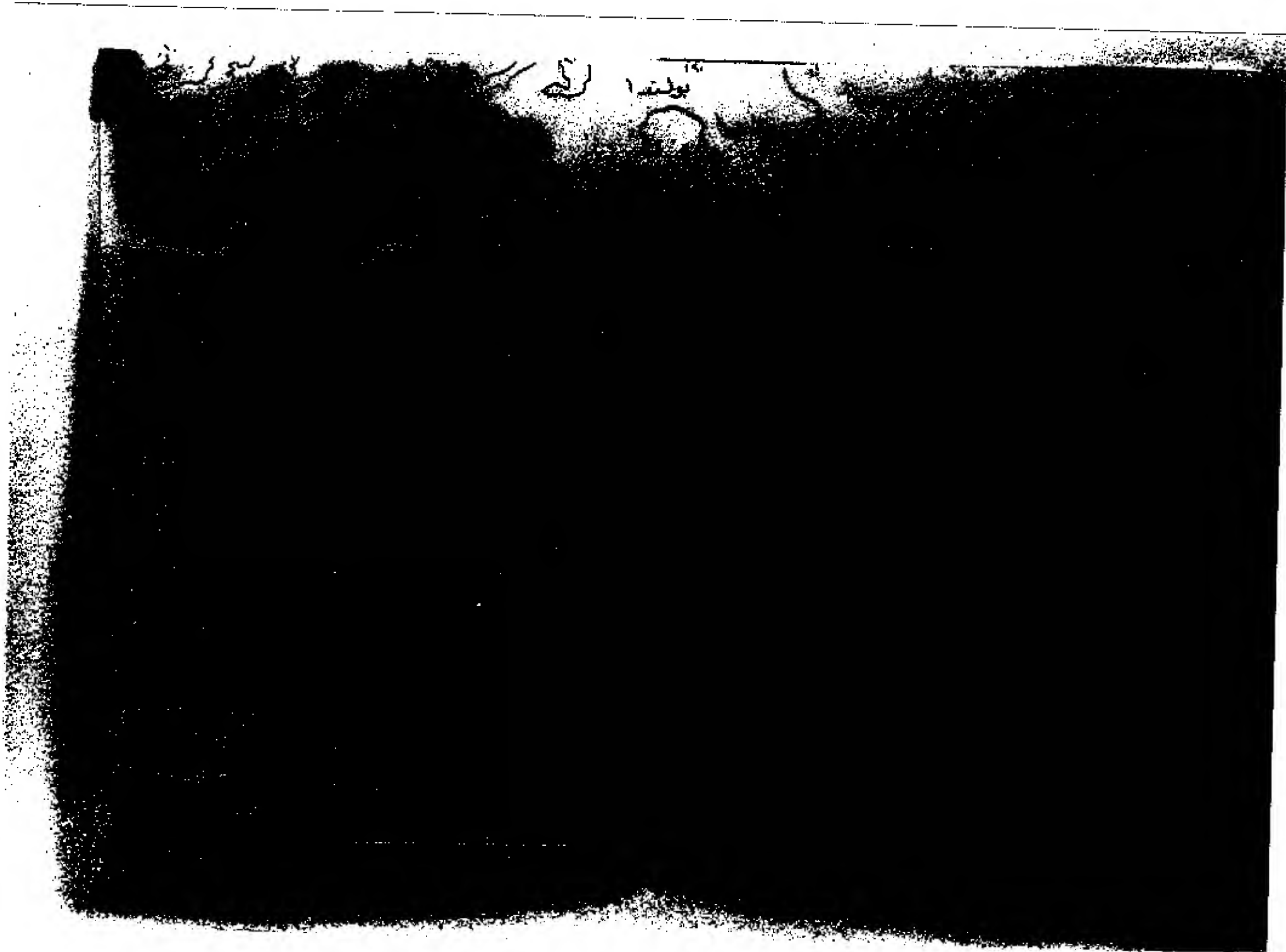
(٤) مهمة دفتری رقم ٩ صفحة ٧٧ حكم رقم ٢٠٤ بتاريخ ٢٣ شوال سنة ٩٧٧ هـ ؛

تاريخ سلانيك المجلد التاسع ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٥) مهمة دفتری رقم ٩ صفحة ٨٩ حكم رقم ٢٣١ بتاريخ ٢٤ شوال سنة ٩٧٧ هـ .

(٦) كامل باشا . تاريخ سياسي دولته عليه عثمانية ، المجلد الأول ص ٢٧٢ ؛

السعيد سليمان ، تاريخ الدول الإسلامية ، ص ٤٤٥ .



من خلال دراستنا للمفحات السابقة ، رأينا كيف أن الدولة العثمانية انبثقت من إمارة صغيرة في شرق الأناضول إلى أن اتسعت في ثلاث قسارات هي آسيا وإفريقيا ، والذي يهمنها هو فتوحاتها في القسارة الأوروبية وفي الجانب الجنوبي الشرقي الذي يضم الدولة الرومانية الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية) هذه الدولة التي استنزفت الكثير والكثير من جهود المسلمين وكانت معقلاً من معاقل الوثنية والشرك ، وظلت ألف عام تقريباً تدافع عن أوروبا ، وتحول دون انطلاق أنوار الحق إلى تلك البلاد ، فكانت بمثابة الحصن المنيع الذي حمى أوروبا كل تلك الفترة . ولكن شاعت عناية الله أن يدك ذلك الحصن ويسقط منهارة أمام ضربات المسلمين وبقوة الإيمان على يد السلطان محمد الفاتح حيث كان دعماً للإسلام الذي انطلق منها مبشراً بدين الحق والنور ، وأصبحت القسطنطينية معقلاً من معاقل الإسلام بعد أن كانت شوكة في جنب المسلمين ، وبؤرة فساد .

بعد ذلك توالى الفتوحات والإنجازات فد التكتلات والزعامات الأوروبية الصليبية ، وأخذ جند الإسلام يسرون والنصر في ركابهم ينشرون الإسلام في جنوب شرق أوروبا ووصلت الجيوش العثمانية إلى أبواب فينسا وكانت فينا هي أقصى اتساع للدولة العثمانية في أوروبا ، ولا يخفى أن أنتشار الإسلام رافق الفتوحات التي قام بها آل عثمان في أوروبا حتى أنهم لم يعرفوا في ذلك التاريخ بالترك لدى الشعوب الأوروبية بل جند الإسلام .

الفصل الأول

الوجود الإسلامي العثماني في أوربسا

- ١- دخول الإسلام إلى شرق أوربسا.
- ٢- الأوضاع السائدة في المناطق الأوربية.
- ٣- النظم العثمانية في الولايات الأوربية.
- ٤- أثر سياسة الدولة العثمانية في نشر الإسلام.

تحدثنا في الفصل السابق عن نشأة الدولة العثمانية، وأصل الأتراك ، وتوسيعهم لرقعة بلادهم .

بدأنا نسمع لأول مرة عن العثمانيين في بداية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، وذلك عندما نزحوا من بلادهم ، في قارة آسيا أمام غارات المغول ، ثم تقدموا نحو آسيا الصغرى ، وقسـد أسدوا خدمة للسلطان علاء الدين السلجوقي ، الذي أقطعهم ولاية في الشمال الغربي من آسيا الصغرى ، مكافأة لهم ، وقد كانت هذه الولاية (١) نواة للدولة العثمانية .

أما عن دخول الإسلام إلى جنوب شرق أوروبا ، فقد انتشر على مراحل متعددة المرحلة الأولى منها عن طريق التجار المسلمين ، الذين عرفوا برحلاتهم التجارية في مختلف أنحاء العالم ، فقد ارتادوا تلك الأماكن للتجارة تجارة الفراء وكافة السلع الأخرى التي كانوا يحصلون عليها من البلاد الشمالية ، وبفضل التجار المسلمين وتوغلهم في تلك البلاد واستقرار البعض كان له أثر في دخول المسيحيين في الإسلام ، إذ اجتذب التاجر المسلم بسبب أمانته وإخلاصه ، وصدقه في المعاملة ، وحسن الخلق الذي حض عليه الدين الإسلامي الحنيف ، اجتذب كثيراً من سكان تلك البلاد إلى الإسلام . (٢)

-
- (١) محمد السيد غلاب ، البلدان الإسلامية ، ص ٧٠٥ .
 (٢) محمد فريد بك الدولة العلية ، ص ١١٨ ؛ أحمد مختار ، فتح جليل قسطنطينية ، ص ٤ .
 (٣) أحمد بن عباس بن فضلان ، رحلة ابن فضلان ، ص ٩١ .

ففي نهاية القرن (الثالث الهجري وأوائل الرابع / التاسع الميلادي وأوائل العاشر) • عاش جماعة من قبائل البلغار على نهر الفولجا ووصل إليهم الدين الإسلامي ، عن طريق التجار المسلمين الذين يتاجرون بالفراء ، وهم أول جماعة اعتنقت الإسلام ، وقد أرسل إليهم الخليفة العباسي المقتدر ، قائده أحمد بن عباس المعروف بابن فضلان ليفقهم في الدين بعد أن وصلت جماعة منهم (البلغار) إليه تطلب ذلك وقد تحدث ابن فضلان عن تلك الرحلة ووصفها وصفاً دقيقاً ، وذكر بأن الغاية منها دعوة البلغار إلى الدين وتعليمهم الإسلام وشعائره ^(١) وأشار ابن فضلان في وصفه إلى اعتناق أحدهم ملوك السلاف " الطش بلطموور " الإسلام ، وذكر بأنه عندما وصل إلى بلاده خف لاستقبالهم ، فلما رأى ابن فضلان ومن معه ممن أوفدهم الخليفة العباسي المقتدر خر ساجداً شكراً لله عز وجل • ^(٢)

وقد كان لقبائل البلغار المسلمة دور في نشر الإسلام ، ففي جنوب شرق أوروبا ، في أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي حيث هاجر البلغار الذين اعتنقوا الإسلام إلى حوض نهر الفولجا ، وجنوب شرق أوروبا ، وانتشر أولئك المهاجرون في بلغاريا ، ويوغسلافيا ، وألبانيا ، والمجر ، وكانت نسبتهم ضئيلة إلى مجموع السكان • ^(٣)

(١) ابن فضلان ، رحلة ابن فضلان ، ص ٩١ •

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٩٣ - ٩٥ •

(٣) محمود شاكر ، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، ص ٣٩ •

أما عن المرحلة الثانية لانتشار الإسلام في شرق أوروبا فكانت عندما وصلت القبائل التترية في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي إلى تلك المناطق واستقرت بها ، وقد اعتنقت القبيلة الذهبية الإسلام ، وكان أوزبك الكبير القائد المغولي هو خان القبيلة الذهبية أو إمبراطورية الكبشان ، التي بلغت أوج عظمتها في عهده ، وقد اعتنق الإسلام ، وتحمس له بشدة ، واليه يرجع الفضل في ترسيخ دعائمه هناك ، وقد اشتقت قبائل الأوزبك التي عاشت في أواسط آسيا اسمها من اسمه تبركاً ، ويقال أنه وضع خطة لنشر الإسلام في كافة أرجاء روسيا ، وازدهرت الأسرة الذهبية في عهد عبدالله خان أوزبك (٧١٤ - ٧٤٢ هـ / ١٣١٤-١٣٤١ م)^(١)

كما اعتنقت القبيلة الذهبية الإسلام ، فقد اعتنقه خانوات الجفتاي من المغول ، اعتنقوا الإسلام طوعاً وعلانية ، وتحول رعاياهم من البدو إلى الإسلام ، كما استبدلوا الشريعة الإسلامية بقانونهم الوضعي ، لتنظيم حياتهم ، وبذلك دخل الأتراك المغول الإسلام بعد مدة قصيرة من وفاة مؤسس دولتهم جينكيز خان ابتداءً من تشكيل دولة القبيلة الذهبية المغولية في بلاد الروس التي كان زعماءها من المسلمين وانتهاءً بنشوء الدولة العثمانية^(٢) .

أما المرحلة الثالثة من مراحل دخول الإسلام إلى أوروبا فكان أهمها الفتوحات العثمانية في أوروبا . وبدأت هذه المرحلة منذ عهد السلطان أورخان بن عثمان حيث تمكن ابنه سليمان من فتح مدينة غاليبولي

(١) على حسون ، العثمانيون والروس ، ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٣٣ - ٣٤ .

على أثر زلزال أدى إلى سقوط أسوارها ^(١) ، وكان ذلك بداية للوجود
 العثماني في أوروبا عام (٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م) ^(٢) ، وقد قام سليمان باستدعاء
 جماعة من الأناضول للاستقرار في غاليبولي ، وعاملهم معاملة حسنة ،
 ووعدهم بالهدايا والمكافآت ^(٣) ، وقد تمكن من نقل جيشه إلى غاليبولي
 بواسطة الزوارق ^(٤) .

هذا وقد ترك السلطان أورخان أثراً عديدة ساهمت في نشر
 الإسلام في شرق أوروبا ومنها الجيش الإنكشاري الذي قام بتكوينه
 وبناءه ^(٥) ، من أبناء المسيحيين اليتامى الذين تربوا تربية إسلامية
 ودينية عميقة وتعلموا القرآن الكريم وحفظوه ، واتصفوا بالأخلاق
 والعادات والمعاملات الإسلامية الحميدة ، والنظم العسكرية التي
 توةلهم للعمل العسكري كذلك تعلموا اللغة التركية ، وعرفوا وخبروا
 التاريخ الإسلامي ، وتاريخ الدولة العثمانية ونظمها ^(٦) .

وقد كان ذلك الجيش الإنكشاري عوناً للدولة العثمانية ،
 لتجنيده فرقاً عسكرية كاملة من المشاة ، يضعون عقولهم وأجسامهم
 وخبراتهم في خدمة الإسلام والسلطان وميادين القتال ، إبتغاء إحراز
 الانتصارات العسكرية التي تحقق بها الدولة مزيداً من الفتوحات

-
- (١) أبو الفاروق ، تاريخ أبو الفاروق ، ص ٨٢ - ٨٤ .
 (٢) إسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩٠ .
 (٣) محمد فؤاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ص ١٨٧ .
 (٤) أحمد رفيق ، بيوك تاريخ عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٣٤٠ .
 (٥) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٤٢ .
 (٦) حسن ليب ، تاريخ الأتراك العثمانيين ، القسم الأول ، ص ١١ - ١٢ .

(١) في اتقارات الثلاث .

وضع السلطان أورخان قانوناً خاصاً بالإنكشارية جاء في أربع عشرة مادة تضمنت النظام الداخلي لهم وتنظم علاقات أفرادهم بعضهم ببعض ، كما نصت على الطاعة المطلقة والإنقياد التام للسلطان ، وكان الإنكشارية ينظرون إلى أعداء السلطان على أنهم أعداء لهم ، وكانت شجاعتهم مضرب الأمثال ، هذا وقد بارك ذلك الجيش الحاج بكتاشي حيث أعطى كل واحد منهم قطعة من عباءته ، وكان الضباط يعلقونها على رؤوسهم تبركاً .^(٣)

لقد كان للجيش الإنكشاري أثره الكبير في الفتوحات العثمانية التي خاضت غمارها الدولة في آسيا وأوروبا وأفريقيا ، حيث أحرز النصر خلال القرن الرابع عشر الميلادي والقرون التي تليه ، بالإضافة للجيش الإنكشاري الذي أنشأه السلطان أورخان فقد بني المدارس ، ومن تلك المدرسة مدرسة نيقية عام (٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) ، كما أنشأ العديد من المدارس والمساجد والمستشفيات في مختلف أنحاء مملكته

(١) حسن لبيب ، تاريخ الأتراك العثمانيين ، القسم الأول ، ص ١٢ .

(٢) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٤٢ .

(*) البكتاشية : من الطرق الصوفية التي انتشرت في الدول العثمانية ، حيث أولتها الدولة أهمية بالغة وأمدتهم بالعون والحققتهم بالجيش (من الطرق الصوفية النقشبندية والمولوية والرفاعية والأحمدية والرشيدية والخلوتية) وهذه الطرق شوهدت الإسلام وساعدت على إدخال البدع في صلب الدين (محمد فوءاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ص ١٦٨) .

(٣) عبد اللطيف البحر اوي ، حركة الإصلاح العثماني ، ص ٥١ .

(٤) أحمد رفيق ، بيوك تاريخي عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٢٤٢ .

(٥) Halil Inalick, Op, Cit., P, 8.

كما نظم أمور الدولة الداخلية والخارجية وقال عنه المؤرخ الروماني خالقفونديل : ان أورخان كان حليماً على الفقراء ، وأرباب الصنائع (١) والعساكر ، حيث أنه لم يتخلف عن إعطاء الصدقة لكل واحد من رعيته .

وقد كان لهذه المعاملة الحسنة الأثر العميق في دخول الكثير من المسيحيين في الدين الإسلامي ، وتوسيع قاعدة الإسلام في المناطق الأوربية ولم يكن أورخان هو السلطان الوحيد الذي عمل على تثبيت الإسلام في تلك النواحي من أوربا ، بل إن حكام آل عثمان وأثرياءهم كانوا يتبارون في تخليد أنفسهم ، ببناء المساجد ، التي أوقفوا عليها الأوقاف الواسعة فلم يكن الحاكم ، أو الثري يهتم بأن يبني داراً لنفسه أو أن يملك الضياع والعقارات ليورثها أبناءه من بعده ، بل كان يهتم بأن يبني مسجداً أو تكية ، أو مدرسة ، أو مستشفى ويوقف عليها الأوقاف لينتفع بها المسلمين ، ويشهد بذلك الآثار الإسلامية المنتشرة في أجزاء كثيرة من المناطق الجنوبية الشرقية من أوربا . (٢)

وهذا هو سر نجاح الدولة العثمانية في تقدمها نحو الغرب ، ووصولها إلى أسوار فيينا عام (٩٣٩ هـ / ١٥٢٩ م) مقارنة بالفترة المتأخرة التي لم يلتزم فيها سلاطين آل عثمان بالمبدأ الإسلامي .

ومن هؤلاء السلاطين الذين حرصوا على تقدم الإسلام في جنوب شرق أوربا السلطان مراد ، حيث قام بالتقدم السريع نحو أوربا ، فقد

(١) أحمد رفيق ، بيوك تاريخي عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٢٤٢ .

(٢) إحسان حقي ، المسلمون أمام التحدي العالمي ، ص ٢٥ .

ورث عن والده جيشاً منظماً ، وكان صاحب عزيمة وإرادة وتربية علمية عالية كما اتمف بالجرأة والشجاعة ، وأصبح المجال أمامه مفتوحاً لإظهار نشاطه وقدراته الحربية وقد تمكن السلطان من فتح أدرنة عام (٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م) واتخذها عاصمة له ، وهى الطريق المؤدى من القسطنطينية إلى الدانوب ، وأصبحت أدرنة مركز القيادة العامة لمراد في أوروبا ، (١) وسار نحو البلقان وفتح حصونها وعقد صلحاً بينه وبين ملك اليونان ، كذلك تمكن السلطان مراد من التمدد للبيزنطيين وأجبرهم على دفع الجزية واحتل نيس التابعة للصرب ، ثم أجرى صلحاً مع لازر ملك الصرب مقابل جزية سنوية يدفعها للسلطان ، ويبعث بألف جندي مقاتل لمساعدة العثمانيين حين الحاجة ، وقد أشار ذلك مخاوف ملك البلغار الذي أرسل وفداً للسلطان يطلب الصلح حيث قبل السلطان مراد ذلك ، ولم يغير عليه لعدة سنوات . (٢) (٣)

عاد السلطان إلى أدرنة بعد ذلك وعمل بعض الإصلاحات والتي تتضمن : تقوية حكم العثمانيين في الأماكن التي فتحتها الدولة من قبل ، وتطبيق النظام بالنسبة للجيش كما في عهد والده هذا في الروم إيلي ، إضافة إلى تشكيل فريق من الجيش مهمته نقل المعدات العسكرية الثقيلة إلى المناطق التي تحتاجها ، وتعيين تيمور طاش باشا مسوئلاً عن تنسيق الجيش في روم إيلي .

واعتباراً من هذا التاريخ فقد تم وضع تقسيمات للجيش العثماني: أمير الأمراء الأناضولي، وأمير الأمراء الروم إيلي واختار مدينة فلبة

Halil Inalick, Op, Cit, P, 8 .

(١)

(٢) أحمد رفيق ، بيوك تاريخي عمومي ، مجلد ٦ ، ص ٣٤٢ .

(٣) نفس المصدر السابق ، المجلد ٦ ، ص ٣٥٣ .

وأنقرة مركز لهذه المهمة ، وبجانب هذه الإصلاحات في الجيش فكر السلطان
(١)
بتوسع مملكته وكيفية الوصول إلى ذلك .

في الوقت الذي كان السلطان مشغولاً بتقوية نفوذه في أقطار
الأناضول كان أمراءه يعملون على تقوية نفوذ الدولة في بلاد الروم ،
ويركزون همتهم على منطقتين هما مقدونيا ، وصوفيا لذلك تمكن أمير
روملي من احتلال البانيا ، كما تمكن الجيش الآخر من احتلال قلعة صوفيا .

في هذا الوقت كان ملك البلغار يتأهب للانضمام إلى ملك الصرب
حينما فاجأت الجيوش العثمانية جيوش البلغار واحتلت ترنوه * وشوملة * ،
مما اضطر ملك البلغار للفرار والإحتماء بمدينة نيكوبلس ، ولكن
الجيوش العثمانية تمكنت من هزيمته ، وفي معركة قوصوة سنة (١٧٩٢هـ /
١٢٨٩م) أحرز العثمانيون نصراً على الصرب ووقع لازلر ملك الصرب أسيراً
في يد المسلمين الذين قاموا بقتله ، وبهذه الواقعة المهمة التي
بقي ذكرها شهيراً في أوروبا بأسرها زال استقلال الصرب ، كما فقدت
الروملي والأناضول والبلغار استقلالها من قبل ، وقد انتقم الصرب لمقتل
ملكهم بأن تمكن جندي صربي اسمه (ميلوك كابلوفتش) من قتل السلطان
مراد بعد أن ضم كثيراً من البلاد إلى ما تركه له والده ، هذا إضافة إلى
ما قام به قواد الدولة في عهده من تنظيم أمور البلاد المفتوحة ،
وتعيين قاضي لكل منهم ليحكم بينهم ، كما حولت العديد من الكنائس

(١) أحمد رفيق ، بيوك تاريخي عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٣٥٣ .

(*) ترنوه : هي تورنوفو (Turnovo) تقع إلى الجنوب الشرقي من بلغاريا .

(*) شوملة : هي شومن (Shumen) تقع إلى الشمال من تورنوفو .

(محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ١٢٤) .

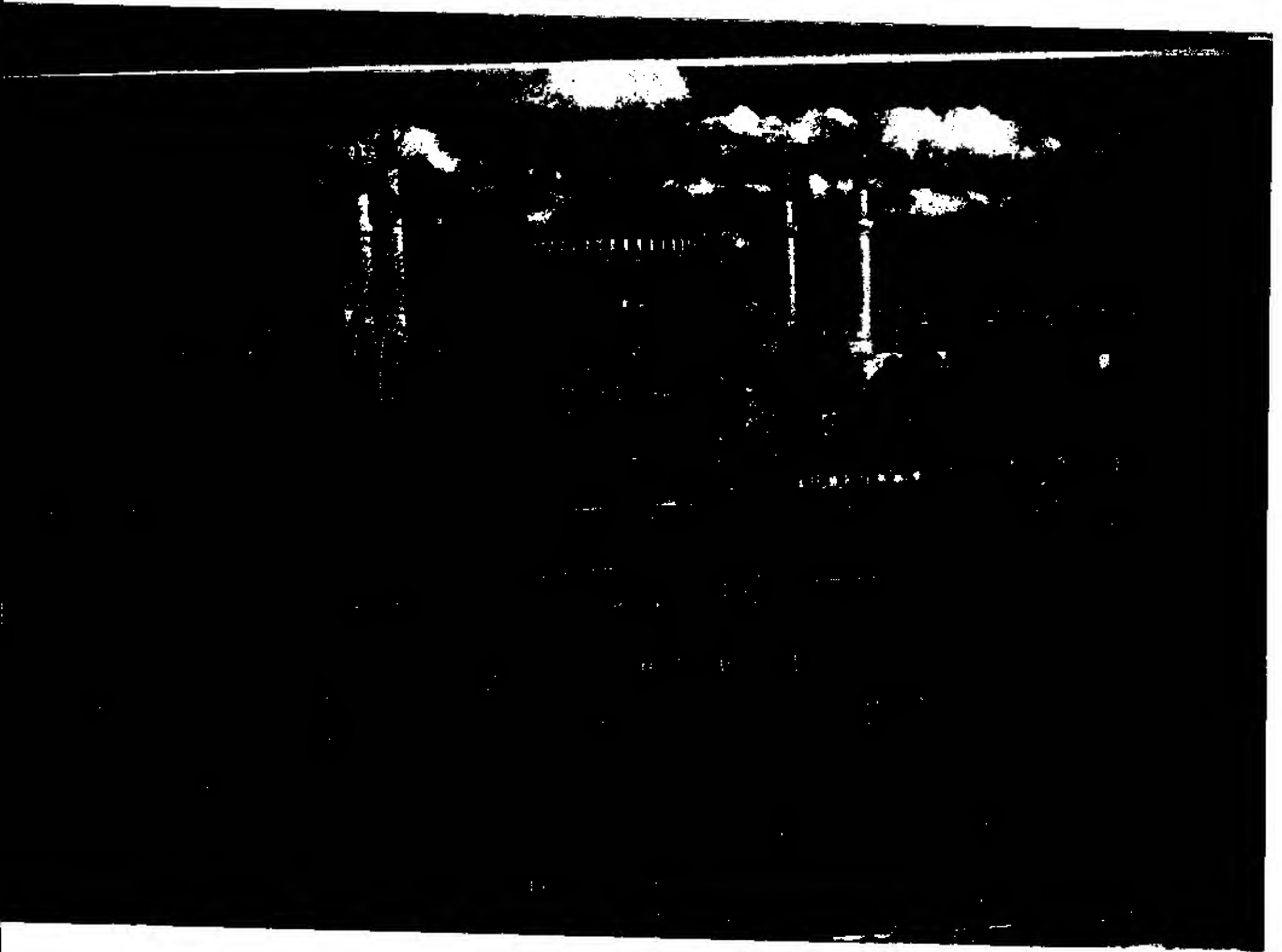
(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٢٤ - ١٢٦ .

إلى مساجد وبنيت مساجد جديدة ، هذا ونلاحظ أن الجيش لم يتعرض لأموال الناس كما أنهم لم يتدخلوا في شؤونهم التجارية ، أما البلاد المتمردة فقد أغاروا عليها وأخذوا منها الأسرى ومثيري الفتن .^(١)

ومن سلاطين آل عثمان الذين كانت لهم إنجازاتهم في داخل القسطنطينية وفي البلاد الأوربية السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح فبعد الفتح الكبير والإنجاز العظيم الذي حققه بفتح القسطنطينية سنة (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) فقد اتخذ منها مقراً لحكمة ، وأطلق عليها إسم إسلامبول ، وعمل على تحويل كنسية آيا صوفيا لتصبح جامع العاصمة الرئيسي ، وعمل فيها بعض التعديلات حيث قام بتغطية روائع الفسيفساء الذهبية التي كانت تزين العقود وتمثل الفن البيزنطي قام بتغطيتها بطبقة من الكلس ، أما القبة فقد أدخلت على تصميم البناء الكنسي بواسطة محراب ، وضع وسط جناح الكنيسة الجنوبي، وقد أقيم المنبر على عمود الكنيسة الجنوبي والشرقي ، وقد أنشأت من الخارج أربع مآذن رفعت أواها في عهد السلطان الفاتح ، ثم أضيفت الثلاثة الأخرى في عهد السلطان سليم الثاني وخلفائه . (أنظر الشكل ص ٥١) كذلك أنشأ السلطان الجامع المسمي باسمه (جامع محمد الفاتح) أو (الجامع المحمدي) في قلب العاصمة وعهد بإنشائه إلى المهندس اليوناني خريستو دولوس وقد بدأ العمل فيه من (٨٦٨ - ٨٧٤ هـ / ١٤٦٣-١٣٦٩ م) وكان هذا الجامع تحفة معمارية ، ومن أروع آثار العثمانيين في فن العمارة التي تشهد بأهتمام آل عثمان بيوت الله وقد هدمت الزلازل الجزء الأصلي من البناء ، والجزء الداخلي تعلوه قبة مركزية تقوم

(١) أحمد رفيق : بيوك تاريخي عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٣٥٢ .

(٢) فتح جليل قسطنطينية ، ص ٧٥ .



* مسجد آيا صوفيا •

كان في السابق كنيسة حيث أنشأت عام ٢٣٤م ثم احترقت وقام الإمبراطور الروماني جوستننيان ببنائه بالشكل الذي هو عليه الآن ،وقد تحول إلى مسجد على يد السلطان محمد الفاتح عند فتحه للقسطنطينية عام ٨٥٧ هـ /

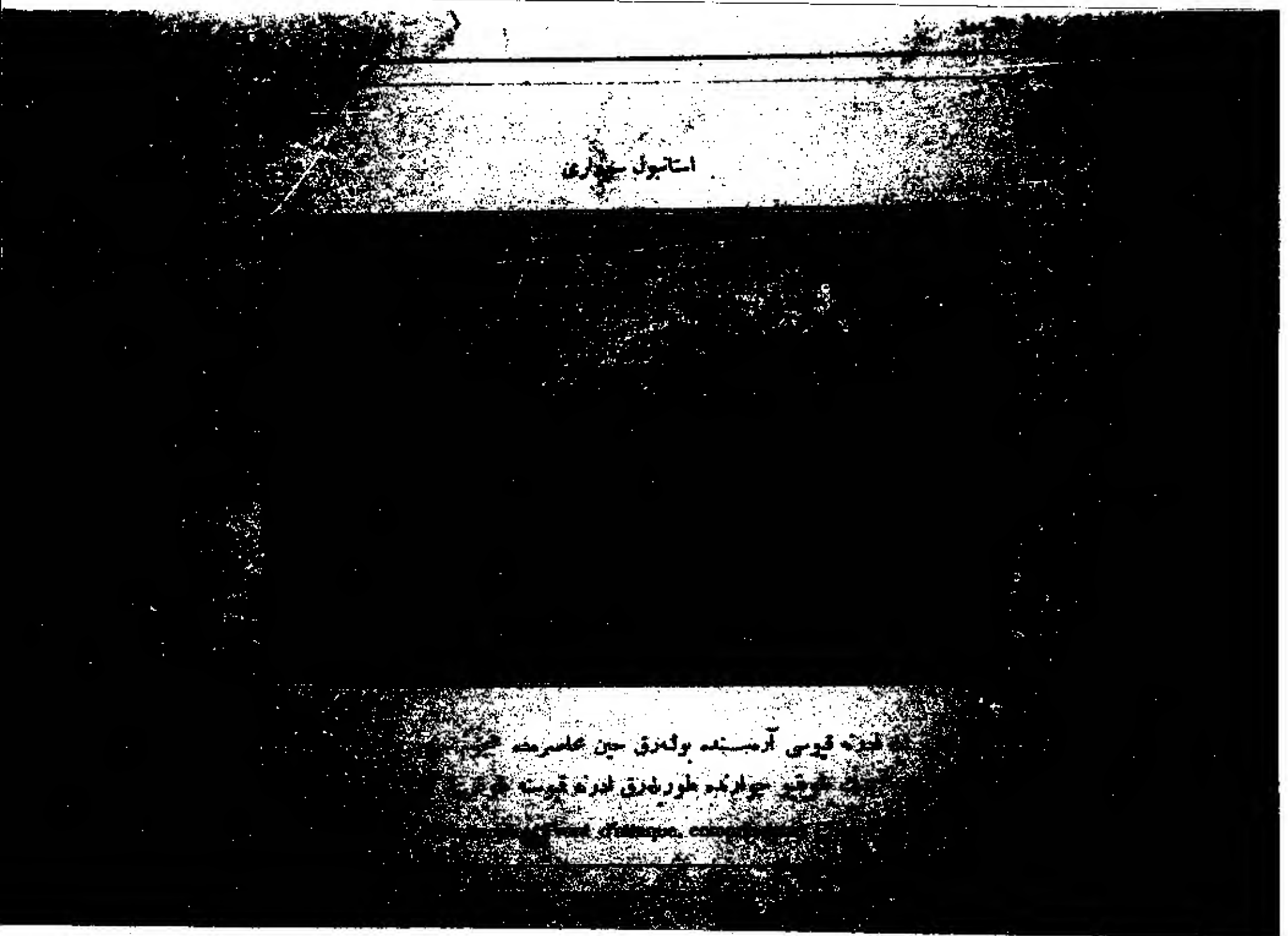
١٤٥٣م •

أحمد مختار ،فتح جليل قسطنطينية •

على أربعة أعمدة بين أربعة من أنصاف القباب المتماثلة في الإتساع وتظل الزوايا أربع من القباب أصغر حجماً ، ويدخل الضوء إلى الجزء الداخلي من صفوف النوافذ الستة القوائم بعضها فوق بعض وهناك
(١) مئذنتان ، ويلحق بالجامع المدارس والحمامات وخان لنزول الغرباء ،
(٢) وداراً للعجزة ، ومستشفى ، وإلى يمين الباب الرئيسي لوحة من الرخام كتب عليها بأحرف من ذهب الحديث النبوي (لتفتحن القسطنطينية
(٣) فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش) ، هذا بالإضافة إلى عشرة مساجد بناها السلطان في أنحاء مملكته ، كما قام ببناء مسجد قرب قبر أبي أيوب الأنصاري الذي لاقى وجه ربه أثناء حصار الجيش الأموي للقسطنطينية وتعلوا هذا المسجد قبة ، كما عمل السلطان على إعادة مآتهم من أسواء القسطنطينية وبنى قلعة الأبراج عام (٨٥٩هـ / ١٤٥٤م) كما قام ببناء قصره على ربوة مرتفعة داخل المدينة ،
(٥) وبنى قصراً آخر على بحر مرمرية . (أنظر ص ٥٣)

واهتم السلطان الفاتح بالأسطول إهتماماً عظيماً خاصة وأن تلك الفترة تقتضى النزول إلى ميدان المنافسة البحرية مع الدول الأخرى ، فقام ببناء داراً لصناعة السفن وتطويرها ، وأنشأ مدرسة القصر والتي تعد

-
- (١) كارل بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٤٤ - ٤٧ .
(٢) محمد كامل الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٤١ - ٤٤ .
(٣) البخاري ، التاريخ الكبير ، المجلد الثاني ، القسم الثاني من الجزء الأول ، ص ٨١ ؛ صحيح مسلم ، ج ١٨ ، ص ٢١ ؛ الإمام أحمد بن حنبل ، المسند ، ج ٤ ، ص ٣٣٥ .
(٤) إدوارد جيبون ، إضمحلال الإمبراطورية البيزنطية الرومانية وسقوطها ، ص ٣٤٥ - ٣٤٧ .
(٥) بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٤٧ .



✱ سور استنبول :

صورة عن سور استنبول الواقع بين طوبقيو وأدرنه قابو، وان هذا القسم من السور قد اتخذ مكاناً للهجوم عند محاصرة استنبول، وقد أصيب بالضربات والهجمات . والصورة تشير إلى هذا القسم من السور .

أحمد مختار : فتح جليل قسطنطينية .

نموذجاً رائعاً للمعهد العالي وظلت هذه المدرسة تقوم بعملها حتى القرن العشرين ويتلقى الدارسون بها اللغات والأدب والفنون العسكرية والموسيقى والقانون والألعاب الرياضية .^(١)

بعد استكمال استعدادات تقوية الجيش واصل السلطان فتوحاته الموفقة في البلقان من أجل نشر الإسلام . فاستولى على كل من المورة والصرب ، والبوسنة ، وهدد المجر والمانيا ، وإيطاليا ، ودانت لــــه طرابزون والقرم في آسيا .^(٢) وقد جهز السلطان محمد الفاتح جيشاً سار به إلى البغدان عام (٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م) فخاف رئيسهم وهرب ، فدخل السلطان البلاد وأسر من أسر ، وأجبر استيفان على دفع الجزية ، كما أنه عام (٨٨٥ هـ / ١٤٥٤ م) حاصر رودس ثلاثة أشهر ولكنه لــــم يوفق لحصانتها .^(٣)

أما السلطان بايزيد الثاني فقد ابتدأت في عصره علاقات الدولة العلية مع أوروبا ، حيث وصل في عهده أول سفير روسي (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) ومعه جملة من الهدايا للسلطان ، وبعد ذلك بأربع سنوات وصل سفير آخر حصل على امتيازات للتجار الروس داخل الدولة العثمانية ، وابتدأت في عهده الاتصالات مع مملكة بولونيا ، والبابا اسكندر السادس ، وملسك نابولي ، وجمهورية فلورنسا ، وقد عني بايزيد بالإنشاء والتعمير ، حيث أنشأ المباني العامة الضخمة ، ومد شبكة الطرق ، والجسور في طول

(١) الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٢) موفق المرجه ، صوة الرجل المريض ، ص ٤٠ .

(٣) أحمد زيني دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

الدولة وعرضها مستعيناً بالمهره من الصانع اليونانيين والبلغار ، وقد يسرت هذه الشبكة من الطرق الإتصال بين أنحاء الدولة ، ومن آثاره العمرانية المسجد الذي يحمل اسمه والذي شيده تجاه السرايا القديمة في استانبول ، ويمتاز بالفخامة ، وبزخرفته على الطريقة الفارسية ، حيث تحيط به من الجهات الأربعة عقود مصنوعة من الرخام الأبيض والأسود ، قائمة على أعمدة من الزبرجد والمرمر الأخضر ، وتعلوها سقائف مقببة فخمة في وسط الصحن وترتفع على عدد من الأعمدة ، وللمسجد أربع مائة (١) أبواب خارجية على الطريقة الفارسية وبه عدد من المآذن .

وسارت مسيرة سلاطين آل عثمان في التقدم في البلقان بهسندف نشر الإسلام ، ولم يكن هدفهم التسلط والطغيان ومن هؤلاء السلاطين السلطان سليمان القانوني ، فقد أتاح له الأسطول القوي الذي جرى تشييده خلال ربع قرن ، أتاح لسليمان سلاحاً جديداً يمكنه من التصدي لأعدائه براً وبحراً ، بالإضافة إلى أن ضم السلطان سليم للبلاد العربية في المشرق وفرت لسليمان مصادر دخل وفيرة وهيبة كبيرة في العالم الإسلامي بحيث استطاع أن يمل بدولته إلى قمة الإزدهار والعظمة ، مما جعل الأوربيين يخلعون (٢) عليه لقب العظيم ، حيث ابتدأ حكمه بإقامة العدالة وذلك بالتوسع في تنظيم المحاكم ، وفرض على رجال البوليس والمفتشين التأكد من إطاعة أحكام المحاكم وقوانينها ، وإعادة تنظيم الإدارة ، وقد شهدت فترة حكمه الطويلة إصدار القوانين ، التي حددت كيان الحكومة وحقوق وواجبات كل أعضاء الطبقة الحاكمة والرعايا ، وهذا هو السبب الذي

(١) بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢) برنارد لويس ، استانبول وحضارة الخلافة ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٣) أحمد دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

(١)

من أجله أطلق عليه لقب القانوني .

وقد كرس السلطان سليمان معظم جهده للقيام بسلسلة من الحروب من أجل التوسع في نشر الإسلام ففي عام (٩٢٨ هـ / ١٥٢١ م) تمكن من فتح بودا العاصمة المجرية ، وصلى صلاة الجمعة في إحدى كنائسها التي تحولت إلى مسجد ، كما ألحقت هنغاريا بالدولة العثمانية بعد الانتصار الذي حققه السلطان في معركة موهاكس عام (٩٤٨ هـ - ١٥٤١ م) ، وعقد (٢) إتفاقية مع البندقية ، كما تمكن من الاستيلاء على جزيرة رودس عام (٩٢٩ هـ / ١٥٢٢ م) ، حيث كان قراصنتها يهاجمون السفن الإسلامية التجارية ، وسفن الحجاج المتجهين للأماكن المقدسة ، وباستيلائه عليها أمكن تأمين تحركاته وأملاكه في شرقي البحر المتوسط . (٤)

وفي عهده تمكن خير الدين بربروسا رئيس البحرية من الاستيلاء على عدة جزر واقعة على حدود ايطاليا ، ثم سار السلطان ومعه ابنه مصطفى وسليم إلى مدينة وان واستولى عليها سنة (٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م) وبعد ذلك عاد إلى اسطنبول . (٥)

ومن أروع آثاره المعمارية جامع السلیمانية الذي أنشأه في إحدى أجمل مناطق اسطنبول ، وقد وضع الأساس لهذا الجامع في عام

Halil Inalick, Op, Cit., P, 35. (١)

Ibid. P, 36 . (٢)

محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٩٦ ، ٢٠٢ . (٣)

Halil Inalick, Op, Cit., P, 36. (٤)

يوسف آصاف ، سلاطين آل عثمان - ٢ - ، ص ٨٧ - ٨٨ . (٥)

(٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م) حيث شرع في إنشائه المعماري الكبير سنان باشا وبذل فيه قسارى جهده بعد أن تعهد للسلطان بإتمام الجامع في مدة قصيرة لا تتجاوز الشهرين ، وحتى يعمل على سرعة الإنجاز فقد قام بتوزيع الأعمال ، فمن العمال من يقوم بالبناء والتشييد ، والبعض الآخر يقوم بالأعمال الفنية والزخرفية الخاصة بالمسجد ، ومن أبرز أجزاء المسجد المنارات حيث يوجد به أربع منارات بنيت مناسبة لعظمته تنقسم المنارات إلى قسمين منارتا الجامع ومنارتا الحرم ، كذلك هناك الفناء الداخلي الواسع الذى يحيط به الرواق ذو الثمان والعشرين قبة وتستقر أقواس القبة على أربعة وعشرين عموداً ، ووسط الفناء الداخلي مجمع حجري لتقسيم المياه ، وإلى جانب الفناء الداخلي هناك الفناء الخارجي الذي يفتح على إحدى عشر باباً ويحمل كل باب اسماً خاصاً به مثل باب المرعى ، وباب القصر القديم ، وباب المكتب ، وباب السوق ، وباب كبير الحكماء ، وباب العمارة ، وباب القبة ، وباب الأغا ، وباب الحرم ، والفناء الداخلي ثلاثة أبواب ، أحدها رئيسي والإثنان جانبيان ، أما الدخول إلى داخل الجامع فبواسطة ثلاثة أبواب ، وهناك بابان آخران أحدهما على يمين المحراب والآخر يسارة وهذا يستخدم للصعود إلى مقصورة السلطان والآخر لخروج الإمام ، ونحتت هذه الأبواب غاية في الجمال ، وقد كتب على الأبواب والنوافذ آيات وأحاديث ، ^(١) ويضاء المسجد عن طريق مائة وثمان وثلاثون نافذة ، أما القبة الرئيسية للجامع فتستند على أربعة أعمدة كبيرة وتسمى أرجل الفيل أما أقواس القبة فهي متكئة على أربعة أعمدة وقد بني المحراب والمنبر من المرمر ، أما القسم الواقع إلى يمين المسجد فيستخدم كمكتبة نقلت إليها الكتب من المكتبة العامة . ^(٢)

(١) سليمان ملا إبراهيم أغلو، جامع السلیمانیة إنشاؤه وخصائصه، ص ١٣، ٢٣.

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٣٧ - ٤٢ .

(أنظر الشكل ص ٥٩) .

ويتضح إهتمام السلطان سليمان بنشر الإسلام في جنوب شرق أوروبا، عندما شرع في بناء إثنين وثمانين جامعاً كبيراً، وخمسين مسجداً صغيراً، وخمس وخمسين مدرسة، وسبعة معاهد لتحفيظ القرآن الكريم وسبعة جسور وثلاثين مقراً، وثمانية خانات، وخمسة متاحف، وثلاثة وثلاثين حماماً موزعة في جميع أنحاء مملكته .^(١)

لم يقتصر الأمر على ما قام به السلاطين من العمل على نشر الإسلام عن طريق الفتوحات، وماشيدوه من المساجد والمعاهد الدينية في البلقان، بل كان للجيش الإنكشاري - الذي اعتمدت عليه الدولة العثمانية - دور في نشر الإسلام في تلك الأصقاع، فقد شهدت العقود الأولى للدولة العثمانية دخول أعداد كبيرة من البيزنطيين والأرناؤط والسلاف في الإسلام، وقد حرص العثمانيون على معاملة هؤلاء المسلمين الجدد معاملة حسنة وفتحوا المجال أمامهم لمشاركتهم أعباء الجهاد في سبيل الله، والعمل على نشر الإسلام، وإدارة الدولة دون أي قيود، ولم يكن لانتماهم العرقي أو القومي السابق أي تأثير يمنع ارتقاءهم في مناصب الدولة العسكرية، حيث كان الهدف من إنشاء هذا الجيش الإسلامي، مواصلة الجهاد ضد البيزنطيين وفتح المزيد من أراضيهم بهدف نشر الإسلام فيها والاستفادة من البيزنطيين والأجناس الأخرى التي دخلت في الإسلام، في نشره بعد أن يكونوا قد تلقوا تربية إسلامية وجهادية، ورسخت في قلوبهم مبادئ الإسلام سلوكاً وجهاداً .^(٢)

(١) بروكلمان، تاريخ الأتراك العثمانيون وحضارتهم، ج ٢، ص ٧٢ .
(٢) زيادة أبو غنيمة، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك،



صورة لجامع السليمانية - باسطنبول •

كما أنه مما ساعد على إزدياد انتشار الإسلام في تلك المناطق من أوروبا ، هي السماح الدينية للإسلام ومعتنقيه من العثمانيين الذين ساروا على سيرة من سبقهم من الفاتحين المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأمورية والعباسية هذه السماح مهدت لدخول تلك الشعوب في الإسلام .^(١)

هذا ونلاحظ أن العثمانيين ساروا في نشرهم للإسلام بين تلك الشعوب المسيحية على مانمت عليه الآية الكريمة ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ (سورة البقرة : آية ٢٥٥) .

فالعثمانيون لم يكرهوا أحداً من تلك الشعوب المفتوحة على اعتناق الإسلام كرهاً ، بل تركوا لهم الحرية الدينية فمن أراد البقاء على دينه لم يصبه أذى ، ونتيجة لهذه السماح ، فقد دخلت أفواج كثيرة منهم في الإسلام ، وقد سارع الكثير من الإغريق والذين أصبحوا تابعين للدولة العثمانية في الولايات الأوربية يسارعون في الدخول إلى الإسلام واعتبروا العثمانيين منقذين لهم مما كانوا يلاقونه من الإضطهاد البيزنطي الذي كان واقعاً عليهم .^(٢)

إن الدولة العثمانية هي أول دولة في العصر الحديث تأخذ بهذا المبدأ - وهو كفالة الحرية الدينية لمنسوبيها - باعتباره الدعامة الأساسية لقيام الدولة ، وهذا جعل كل من المسلم والمسيحي يعيشان

(١) عبدالله عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، ص ١٩ - ٢٢ .
 (٢) توماس وأورنولد ، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ، مترجم ، ص ١٧٠ - ١٧٢ ؛ مصطفى حلمي ، الأسرار الخفية ، ص ٧٠ .

(١)
في وثام في ظل الحكم الإسلامي مما ساهم بطريقة فعالة في دخول الكثير
من المسيحيين في الدين الإسلامي .

ولو قارنا بين هذا التاسمح الديني وما لحق بالمسلمين من
الاضطهاد الديني ومحاكم التفتيش التي دارت رحاها ضد مسلمي الأندلس ولم
تنته الا باخراجهم من البلاد التي عمروها قروناً طويلة بسقوط آخر معقل
لهم في الأندلس وهي مدينة غرناطة (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) حيث اضطـر
المسلمون بعد ذلك إلى الخروج من الأندلس ، نظراً لما لحق بهم من
الاضطهاد والتعذيب على أيدي مسيحي اسبانيا ، ولم يكتفوا بذلك بل
أن المسيحيين أرغموا من بقي من المسلمين على التخلي عن دينهم
وإسلامه ، ومن لم يرض أجبر على ترك البلاد واتجه إلى البلاد الإسلامية .
(٢)

لم يكن الأوروبيون أقل تعصباً من مسيحي أسبانيا ، حيث صبروا
جام حقدهم الأعمى على المسلمين في المشرق الإسلامي ، في حملاتهم
الصليبية المدمرة ضد الإسلام والمسلمين ، فعندما أستولوا على بيت
المقدس قاموا بذبح سبعين ألف مسلم في المسجد الأقصى ، حتى سالت
دماء المسلمين الشهداء حسب ماترويه المصادر التاريخية .
(٣)

وقد قمت بهذه المقارنة لكي أوضح ماتمتع به المسلمون من
سماحة ولين جانب لرعاياهم من الشعوب المسيحية التي دخلت تحت
سلطانهم ، وعدم إكراههم أو اضطهادهم ، مما أدى بالتالي إلى إسلام

-
- (١) أحمد مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٢ .
(٢) عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٧٣ .
(٣) شبيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، المجلد الأول ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

الكثير منهم ودخولهم في الإسلام ، في مقابل ما قام به مسيحي أسبانيا
وأوروبا ، من التعذيب والتنكيل بالمسلمين ، لحقدهم الدفين على
الإسلام والمسلمين •

أما عن الأوضاع السائدة في المناطق الأوربية فقد كان الوضع السياسي في البلقان ، مرتبطاً مع الوضع الجغرافي ، فإن الجبال في البلقان لم تكن عائقاً أمام التقدم العثماني ، ومرور الجيش ، كما أن وجود الأنهار ساعد في الوصول إلى وادي الدانوب ، مما سهل على العثمانيين بعد ذلك الوصول إلى بلغاريا ، ووسط أوروبا ، حيث تحركوا بعد ذلك بسهولة إلى البحر الأسود ، ومولدافيا ، وولاشيا ، كما أن الدفاع عن تلك الأراضي يحتاج إلى الوحدة السياسية ، والعسكرية ولم يتوفر ذلك للبلقان في أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، حيث كان النزاع والتنافس بين أمراء البلقان على أشده (١) ومن الطبيعي جداً أن يتجه العثمانيون نحو شبه جزيرة البلقان ، في عهد مراد الأول حيث كان عدد من مغار الحكام - لايكاديحس - يتنازعون السلطان ، ويفني بعضهم بعضاً ، في حروب متواصلة ، فسار مراد إليهم وشن هجوماً ساحقاً فتساقطوا واحداً إثر الآخر ، في قبضة الجيش العثماني ففي عام (٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) فقد البيزنطيون أدرنة التي أصبحت فيما بعد عاصمة للعثمانيين حتى سقوط القسطنطينية ، كما أن اختلاف صقالبة البلقان ، وتفرق حكامهم ساعد في تغلب العثمانيين عليهم حيث استولوا على كل من صوفيا ، ونيس عام (٧٨٧ - ٧٨٨ هـ / ١٣٨٥ - ١٣٨٦ م) وأكمل بعد ذلك خير الدين فتح مقدونيا ، من غاليبولي واستولوا على سالونيك (٢) وقد التقى العثمانيون في عام (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) بالقوات الصربية ،

(١) Norman Itzkowitz. The Ottoman Empire, P, 13.

(٢) بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٢٣ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤ .

تويعدها جيوش البشناق والمجر والبلغار والألبان ، وكان السلطان مراد على رأس تلك الجيوش العثمانية ، والتقى بالنمارى فى معركة قوصوه ، حيث استشهد السلطان العثماني وأكمل ابنه بايزيد المعركة وانتصر وأسر ملك الصرب ، وفي عام (٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م) فقد البيزنطيون آخر ممتلكاتهم في آسيا الصغرى مدينة الأشهر .^(١)

إن العثمانيين عندما بدأوا زحفهم نحو البلقان كانوا يحاربون أمماً أخرى ، من موقع إستراتيجي ممتاز ، لذلك حققوا تلك الانتصارات ، وأن هذه الأمم لم تتمكن من إعداد قوة تستطيع عن طريقها الوقوف أمام قوة العثمانيين المتحمسين المزودين بأفضل آلات الحرب ، أضف إلى ذلك ماكان بين الدول الأوربية من العداوة الشديدة ، ولم تستطيع دول البلقان وأوربا - ذات التكوين الضعيف - الوقوف أمام القوة العثمانية ، وبالتالي انتصر العثمانيون على أرض المعركة ، ولم تتمكن أوربا من تجنيد أربعين ألفاً لمحاربة القوة العثمانية ، وأصبح الجيش العثماني الإنكشاري أقوى الجنود الفعالة في أوربا .^(٢)

أما الوضع الإقتصادي والاجتماعي لرعايا البلقان قبل الفتح العثماني لها ، فقد كان مضطرباً ، حيث كان السكان يعيشون حياة اجتماعية سيئة للغاية ، فقد كان الفلاح مضطهداً يئن تحت الضرائب الثقيلة والأعباء الإقتصادية المجحفة ، التي كان ملزماً بها من قبل البيزنطيين ، دون مراعاة لحالته الاجتماعية والإقتصادية ، لذلك فلم^(٣)

(١) بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) Robinson, Op, Cit., PP, 100 - 101.

(٣) Norman Itzkowitz, Op, Cit., PP, 16 - 17 .

يكن هذا الفلاح يكن أي حب لطائفة الأشراف والأعيان ، فهم الجلادون في نظره ، يكرهونه على دفع الضرائب الباهظة للدولة ، دون شفقة ولارحمة أو تقدير للحالة المادية والمعيشية السيئة التي يحياها ، وإذا لم يوءد ما عليه من الزامات عومل بمنتهى القسوة والعنف ، وطرد من أرضه ، وصودر ما يملك^(١) لذلك فقد رحب هؤلاء الفلاحون بالنظام العثماني وانضمت شعوب البلقان تحت لواء الحكم العثماني ، ورفرف العدل فوق ربوعها ، وقد تمتع الرعايا النمساوي في البلقان بقدر واسع من الحرية الدينية ، وسمح لهم بالتحاكم بشريعتهم ، وانتعشت أحوالهم في ظل الحكم الجديد ودخل الملايين منهم دين الإسلام ، رغبة وطواعية ، وفضلت الأقاليم التي وقعت تحت الحكم العثماني المسلم الإدارة الجديدة على الأوضاع التي كانت تعاني منها في ظل الإقطاع أو البيزنطيين أو البنادقة ومنذ البداية رحب العثمانيون بكل من يعتنق الإسلام ، ويلتحق من ثم بالجيش أو البلاط ، منحوه حق المواطنة الصالحة ، وكان الوضع الاجتماعي والاقتصادي الذي منحه العثمانيون لرعاياهم البلقانيين مغرياً حيث أقبل الكثير منهم على اعتناق الإسلام وفتحت أمامهم سبل الترقى إلى مناصب القيادة وتبوء أرفع المراتب فالمسلمون فقط الذين أمكنهم الانتساب إلى سلك الجيش والخدمة في إدارات الدولة ، وكانت تدار في عهد السلطان سليمان القانوني أرفع مكاتب الدولة من قبل المدراء ذوي الأصل البلقاني^(٢) .

هذا وقد ضمنت الحكومة العثمانية لأهل البلقان الأمن على

(١) هربرت فشر ، أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية

حتى الثورة الفرنسية ، ص ٣٧٤ .

(٢) على حسون ، العثمانيون والبلقان ، ص ١٢٧ - ١٢٨ - ١٣١ .

الروح والممتلكات ، ومجىء العثمانيين لتلك البلاد يعني تحسن أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية ، وخاصة من ناحية تحسين الطرق ومدها ، حيث امتدت الطرق التجارية البرية والنهرية من البلقان إلى اسطنبول ، وفي نفس الوقت ألغي استيلاء الإقطاعيين على مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية ، وأعيد تقسيم الأراضي وتوزيعها على الفلاحين .^(١)

أما من الناحية الدينية ، فقد كان الصراع على أشده بين الكنيسة الشرقية والغربية ، كل منهما تعمل جاهدة من أجل إحكام سيطرتها على الكنيسة الإغريقية واللاتينية ، ففي العصور الوسطى كان الفرق واضحاً بين الشرق والغرب ، ففي الشرق أسلمت الكنيسة زمامها للأباطرة الذين ازداد تدخلهم في شئون الكنيسة فيما بين القرنين السادس والثامن الميلاديين وسياستها الداخلية ، فكان الإمبراطور يجمع بين السلطتين السياسية والدينية ، أما في الغرب فإن الوضع كان مختلفاً عن ذلك كثيراً ، لأن الإمبراطورية الغربية أصبحت بعد تقسيم العالم الروماني ضعيفة لا تستطيع أن تفرض سيطرتها على الكنيسة والدولة جميعاً كما حدث في القسطنطينية ، وقد استمر هذا الصراع الكنسي بين الكنيستين كل واحدة تحاول فرض سيطرتها على الأخرى ، وحياسة زعامة العالم المسيحي ، وهذا العداء تسبب في قدوم العثمانيين إلى البلقان والسيطرة عليها ، أضاف إلى ذلك العداء والخصومة بين كل من فرنسوا الأول ، وشارل الخامس فقد أدى ذلك إلى تثبيت مركز العثمانيين وتوسعهم وتقدم فتوحاتهم نحو أوربا ، وفي ظل الأوضاع الجديدة والحكم العثماني للبلقان ، تمكن^(٢)

(١) Raphaella Lewis. Everyday life in Ottoman Turkey. P, 180.

(٢) سعيد عبدالفتاح عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) هربرت فشر ، في أصول التاريخ الأوربي الحديث ، ص ٢٧٣ .

الرعايا النصارى من الانتقال بسرعة وسهولة ويسر إلى صف الفئة الحاكمة ، أما الذين يرغبون في الاحتفاظ بعقيدتهم فيبقون خاضعين للتنظيمات المذهبية النصرانية السائدة لدى الشعوب العثمانية غير المسلمة .^(١)

وقسمت الطوائف وفقاً للتنظيمات العثمانية إلى خمس طوائف ، أو جاليات دينية ، على أساس الملة ، وأطلق عليها (ملة) وتمتعبت بالحقوق المدنية والدينية الكاملة ، وبخاصة اليونان ، وهذه الطوائف هي : الأرثوذكس ، الأرمن ، الأغريقيون ، الرومان ، الكاثوليك ، والبروتستانت ، واليهود ، وخضعت كل مجموعة لإشراف وتوجيهات رؤسائها الدينيين ، حيث كانت غالبيتهم الساحقة تعتنق الأرثوذكسية ، ورئيسهم الديني والمدني مقره القسطنطينية ، كذلك مركز اليونان في القسطنطينية وللبلغار مطرانيتهم في (أوهريد) * أما سكان رومانيا فلهم مؤسسة قومية مشابهة ، أما مركز الرئيس الديني أو البطريق الخاص بالصرب في مدينة (بيج) بالقرب من جنوب غرب مقدونيا اليوغسلافية .^(٢)

مما سبق تجدر الإشارة إلى أنه مما دفع بالعثمانيين إلى الاتجاه بفتوحاتهم نحو أوروبا ، إنما هو قوة الإيمان والعمل على نشر الإسلام وما تمتعوا به من القوة وحياسة الأسلحة والعتاد ، وعزيمة الرجال ، ومهما حاول بعض المؤرخين الأوروبيين من إرجاع إنتصاراتهم في أوروبا

(١) على حسن . العثمانيون والبلقان ، ص ١٢٨ .

(*) أوهريد : مدينة يوغسلافية تقع جنوبى جمهورية صربيا . (على حسن ، العثمانيون والبلقان ، ص ١٢٩) .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

إلى تصدع البنيان السياسي وتفككه وانحيار الناحية الإجتماعية والاقتصادية لشعوب البلقان ، إضافة إلى الخلافات الدينية والمذهبية مهما حاول أولئك المؤرخون أمثال ربنسون ، وبروكلمان ، وفشــــر فان هذا لا يصدد أمام الحقيقة في أن سيطرة العثمانيين على تلك المناطق أدت إلى انتعاش الحالة الاقتصادية ، والإجتماعية وإقرار الأمن والقضاء على التوتر الديني ، بما كفله الإسلام من الحرية الدينية ، لذلك فضل أهالي البلقان الحكم العثماني على حكــــم البيزنطيين ، لما لمسوه من حسن المعاملة والاستقرار والطمأنينة .

وحقيقة الأمر أن اتجاه الدولة العثمانية نحو أوروبا لم يكن يهدف الأطماع أو استغلال الضعف السياسي والتفكك القائم فيها آنذاك ولكن الهدف الحقيقي هو نشر الإسلام ، ومقاومة كل من يقف في طريق ذلك وهذا المبدأ هو الذي جعلهم يتقدمون ، وينتصرون ، ويحققون ما وصلوا اليه من فتوحات عظيمة ، وصلت إلى فينا في عهد السلطان القانوني . والقائلين بأن انتمار العثمانيين يرجع إلى الضعف السياسي للأقاليم الأوربية في شبه جزيرة البلقان ، إنما يقصدون بذلك إيجاد التبريرات الواهية ليقبلوا من عظمة التقدم الإسلامي في بلادهم .

رأينا في الصفحات السابقة الوضع في المناطق الأوربية،
وسنتحدث هنا عن النظم التي قامت بها الدولة العثمانية في تلك
المناطق ، فلقد اشتهر الأتراك بنظامهم الإداري الجيد ، الذي ارتكز
أساساً على العنصر التركي ، ولكن عندما تحولت الدولة إلى الإسلام
تكونت طبقة حاكمة جديدة ، ليس على أساس رابطة الدم فقط ، بل على
أساس رابطة العقيدة ، التي هي أقوى الروابط ، وقد أصبحت هذه
الطبقة الجديدة في خدمة السلطان ، ومع مرور الأيام وكثرة الحروب
عظم شأنها ، وإن غير الأتراك كانوا يعتبرون أنفسهم أفضل تفوقاً
من الأتراك ، وسموا أنفسهم بالعثمانيين احتراماً لسلالة عثمان،
وعلى رأس هذه الطبقة السلطان العثماني الذي كان يعمل من أجل المصلحة
(١)
العامّة .

في عهد كل من عثمان وأورخان ومراد كان الحاكم يلقب
(بيه) ، أما في عهد السلطان بايزيد فقد تغير اللقب إلى سلطان
وخان ، وكان السلطان يهتم بالعادات التي تقربه من شعبه ، ولكن بعد
اتساع الدولة أصبح السلطان لا يرى إلا نادراً .
(٢)

أما مجلس الوزراء فقد كان يتكون من الوزير الأول ، وقاضي
استنبول ، وقائد الجيش ، ومدير الخزينة ، وغيرهم ، وكان هذا
المجلس يقدم النصائح للسلطان .
(٣)

أما بالنسبة للإدارة العثمانية فكانت الفروع المدنيّة

Robinson - Stewart, Op, Cit., PP, 104 - 106. (١)

Ibid. PP, 101 - 108 . (٢)

Ibid. PP, 108 - 109 . (٣)

والقضائية والعسكرية متداخلة بعضها في بعض ، وكانت الدولة مقسمة إلى ولايات وسناجق ، وكان رؤساء الولايات والسناجق هم من الضباط العسكريين ، كذلك من يحيط بهم الحاشية ، وفي حالة الحرب كانوا يقودون الجيش ليساندوا رؤساء الإقطاع ، وعلى درجة أعلى من بهوات الأناضول، وفي حالة سحب الثقة من قادة الأناضول وروملي ، كان هناك إثنان مهمتهما قيادة الجيش يسموا (بيلربيك) (*) .

ويتحدث البعض عن النظم العثمانية التي سادت في الأقطار الأوربية ، نظام ضريبة الغلمان (ديفشريم) ويعني أخذ الأطفال وجمعهم من الأقطار المحيطة بالدولة العثمانية ، وقطع أي صلة بينهم وبين ذويهم وإدخالهم في الإسلام ، لذلك لم يكن لدى هؤلاء الأطفال أي عاطفة أبوية أو وطنية ، والشئ الذي كانوا يتعلمونه هو الطاعة العمياء لسيدهم السلطان . (١)

ليس هناك في الشريعة الإسلامية ما يعرف بهذه الضريبة ، ضريبة الغلمان ، ولا إكراه في إدخال غير المسلم في الدين الإسلامي ، قال تعالى : ﴿وَلَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٢) .

أما كلمة ديفشريم فهي كلمة تركية تعني الإسقاط أو السقوط وتطلق على المواليد حديثي الولادة ، والذين تجهض بهم أمهاتهم

(*) بيلربيك: أي أمير الأمراء أو سيد السادات، وهو لقب إداري وعسكري، ورثة العثمانيون عن الدولة السلجوقية والإمارة من الوظائف المهمة في التشكيلات الإدارية والعسكرية في الدولة العثمانية وقد استخدم هذا اللقب في عهد السلطان مراد الأول (١٣٦٠-١٣٨٩هـ) (محمد فريد بك، الدولة العلية ، ص ١١٣) .

(١) Robinson, Op, Cit., PP, 107 - 108 .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٥٥ .

فيخرجون أمواتاً ، أو على الذين تلدهم أمهاتهم سراً ثم يقذفون فسي
الطرق ، أو على أبواب الملاهي ، ثم أطلقت بعد ذلك على كل طفل
لقيط أو مشرد ، لأي سبب من الأسباب ، وحقيقة هذا النظام نظــــام
(الديفشريم) ماهو سوى فرية مزعومة دست على السلطان أورخان ومراد ،
والصقت بعد ذلك بالعثمانيين ، حيث لم يكن هذا النظام لإرغام النصارى
على الإسلام وأخذهم بالقوة وإنما كان نظاماً إنسانياً ، أخذت الدولة على
عاتقها بموجبه مسئولية رعاية اللقطاء والمشردين لأن الإسلام دين الرأفة
والرحمة وهو الذى يدين به العثمانيون ويحترمونه كما أن الإسلام
يرفض رفضاً باتاً الطريقة الغير إنسانية في انتزاع الأطفال من أحضان
أمهاتهم وآبائهم ، وقطع أي صلة لهم بذويهم كما أنه ليس في الشريعة
الإسلامية ضريبة تعرف بذلك .^(١)

لو صح عن هؤلاء الأطفال الذين انخرطوا فيما بعد في الجيش
أنهم لم تكن لديهم الحمية الوطنية لو صح ذلك عنهم ، لما كان ماكان
من تحقيق الانتصارات على الأوربيين في جميع حروبهم إبان قوة الدولة ،
فليس ذلك الامحض افتراء ، للنيل من الدولة العثمانية ، التي حملت
الإسلام خفاقاً نحو أوربــــا .

وهناك طبقة نشأت في وقت متأخر في عهد السلطان محمد الثاني
وهي طبقة العلماء ، وقد لعبت هذه الطبقة دوراً كبيراً في الدولة
الإسلامية .^(٢)

(١) زياد أبو غنيمة ، جوانب مضيئة في تاريخ الأتراك العثمانيين ،

ص ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

Robinson, Op, Cit, P, 104 .

(٢)

وحقيقة الأمر أن طبقة العلماء نشأت منذ تأسيس الدولة العثمانية على يد السلطان عثمان ، حيث اعتمدت عليهم الدولة فسي تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية التي اتخذتها الدولة نبراساً ومنهج حياة .^(١)

كانت مهمة العلماء في البداية محصورة كقضاة في الجيش ، ولكن في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، لم يعد هناك منصب مستقل للمفتي ، بل تحولت مهامه إلى قاضي اسطنبول أو أي شخص آخر متعلم خاضع لسلطة الدولة .^(٢)

إن مهمة القضاة لم تكن محصورة فقط في الجيش ، بل فسي جميع شؤون الدولة الدينية ، والمدنية ، كما أن القضاء لم يعط لأي شخص كما يذكر رينسون ، فإذا صح ذلك فاليهودي ، والمسيحي خاضعان لسلطة الدولة فهل يسوغ لهما الحق في أخذ منصب القضاء ، إن هذا المنصب لم يكن يعطى لأي شخص بل لعالم الشريعة العالم الورع التقى العالم بأمور الشريعة .

كما اعتمدت الدولة في الأمور الدينية على العلماء والقضاة فقد اعتمدت في أمور الحرب على الجيش الإنكشاري ، الذي يمثل القوة الضاربة للدولة ، والذي حقق الكثير من الانتصارات ، بالإضافة لهذا الجيش فقد كانت هناك قوة منظمة أخرى لاتقل أهمية عنه ، وهي قوة أمراء

(١) طاشكبري ، الشقائق النعمانية ، مخطوط رقم ١٥٠٨ ، ص ٦ .
(٢) Robinson, Op, Cit., P, 104.

الإقطاع الذين كانوا يزودون الدولة بالجنود والمشاة والفرسان لينضموا إلى معسكرات الجيش ، ووصل تعداد الجيش إلى أربعة عشر ألف فارس ، وهي قوة كبيرة لم تستطيع أوروبا إعادها ، وكان أصحاب الإقطاع يحملون على إقطاعات دائمة ، والبعض الآخر على إقطاعات مؤقتة ، تعود للدولة بعد وفاة الإقطاعي .^(١)

إن البلاد المسيحية في ظل الدولة العثمانية ، قد ترك لأهلها الحرية الدينية ، وحرية الحكم الداخلي ، بشرطين هما : أن يدفعوا الجزية المطلوبة ، وأن يحترموا قوانين الدولة ، مع احترامهم لسيادة المسلمين وألا يظهروا أي احتقار أو عداوة ، كما أن الحكومة قد ضمنت لهم أمن الأحياء ، وأمن الممتلكات وحقوقهم الدينية . وإن مجيء الدولة العثمانية إلى شرق أوروبا كان يعني تحسن الأوضاع المعيشية وامتداد الطرق التجارية بينها وبين العاصمة اسطنبول .^(٢)

إن الدولة العثمانية لم تحاول صبغة الشعوب التي دانت لحكمها بالصبغة العثمانية ، أو ربطها بالحضارة الإسلامية ، وقد اتسمت سياسة الدولة بالسلبية في هذه الناحية وذلك لسببين : سطحية الحكم العثماني بحيث مارست الدولة نفوذها في نطاق ضيق ، والاستعلاء الذي كان سمة من السمات البارزة في الحكم العثماني ، واشترك الشعب في هذه السمة فكان الشعب والولاة على حد سواء .^(٣)

(١) Robinson, Op, Cit., PP, 104 - 120.

(٢) Rophaela - Lewis . Everyday Life In Ottman Turkey. P, 180.

(٣) Ibid . PP, 108 - 113.

(٤) الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٦٧ .

أما وضع رعايا دول جنوب شرق أوروبا تحت الحكم العثماني من حيث الأنظمة ، فكان هناك نظام (الملل) ، ويقوم ذلك النظام على تصنيف رعايا الدولة غير المسلمين تصنيفاً على أساس المذهب الديني لأولئك الرعايا ، ويطلق على كل مذهب ملة ولكل ملة رئيس ديني ينظر في المسائل الدينية ، وله أتباع من رجال الدين المسيحي ، ولكل ملة من هذه الملل مدارسها الخاصة ، وأماكن العبادة والأديرة ، كما أنه لايتدخل أحد في ملتها ، وقد أطلقت لهم الحرية الدينية وحرية التكلم باللغة التي يريدونها ، ولكل ملة محاكم خاصة ، لاستعمال فيها إلا لغتها الأصلية ، وهناك محاكم أخرى تستعمل اللغة التركية ، ويمكن رفع القضايا إليها إذا لم يرض المتهمون بأحكام المحاكم الكنسية ، لذلك كان هناك نوعين من الضرائب : الضرائب التي تجبها الحكومة المركزية ، وتلك التي يأخذها الرؤساء الروحيون .^(١)

ويمثل المسلمون في الدولة العثمانية الأكثرية ، ثم يليهم الروم الأرثوذكس ، وباقي الملل الأخرى كاليهود والأرمن ، وسائر الطوائف المسيحية يعرفوا بالملة ، ورئيس الملة ، الديني يعتبر المسؤول الذي يتولى تطبيق الأحوال الشخصية على أفراد طائفته ، ولم تطبق قوانين الزواج والطلاق والإرث والتبني الإسلامية على غير المسلمين ، بل كانت المحاكم المذهبية للنصارى واليهود تعني بهذه الأمور ، وكان نظام الملة يطبق على الجاليات الأوروبية ، المقيمة في الدولة العثمانية^(٢)

(١) الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفتري عليها ، ج ١ ، ص ٦٧ .

(٢) ماري ملزباترك ، سلاطين آل عثمان ، ص ٢٥ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٤) Stanford Shaw, History of the Ottoman Empire, PP, 151 - 152 .

(٥) فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٣٥ .

" وقد بلغ عدد سكان الدولة العثمانية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حوالى خمسين مليون نسمة ، وهو عدد ضخم في مقابل الدول الأوروبية ، والتي لم تكن تزيد على العشرين مليون في تلك الآونة ، فانجلترا نفسها لم يكن يزيد عدد سكانها على خمسة ملايين (١) .

يورد صبحي بك معلم قسم الحربية في المدرسة الحربية العثمانية عن عدد سكان السلطنة العثمانية وأديانها فيقول :

ومن الملل غير المسلمة الأروام أتباع الكنيسة الأرثوذكسية وكان عددهم مليونان ، ويدخل في هذا العدد المسيحيون الألبان، والعنصر الروماني ، الذي يدين بالتبعية للدولة العثمانية بعد فتح القسطنطينية ، ومسيحيوا الأناضول ، الذين يتكلمون اللغة التركية ، ومسيحيوا سورية ، واليونان الذين تميزوا عن العناصر السابقة لأنهم سكنوا البلاد اليونانية القديمة والأروام لاختلاطهم الأول بأقوام عربية حتى أنهم أضاعوا جنسيتهم اليونانية . (٢)

كذلك كان هناك المسيحيون أتباع الكنيسة الأرمنية وبلغ عددهم مليون ، ومن هذا العدد ستون ومائة إلى ثمانين ومائة ألف ، سكنوا الأستانة وسبعمائة ألف سكنوا الولايات الست الحاوية على ثلاث ملايين وسبعمائة ألف من السكان أما الباقون فكانوا متفرقين في أنحاء الولايات العثمانية . (٣)

-
- (١) محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٦٣ .
 (٢) حقي العظم ، تاريخ حروب الدولة العثمانية مع اليونان ، ص ١٩ .
 (٣) نفس المصدر السابق ، ص ١٩ - ٢٠ .

أما العنصر السلافي فبلغ عدده في الولايات الثلاث أدرنسة ،
 وسلانيك ومناستر خمسمائة ألف بلغاري ومائة ألف صربي ، وعاش أكثر هذا
 العدد على الفلاحة أو العمل عند أصحاب المزارع الواسعة من المسلمين ،
 واليهود وصل عددهم من ثلاثمائة إلى أربعمائة ألف ، وقطن هؤلاء المدن
 والموانئ التجارية ، مثل اسطنبول ، وسلانيك ^(١) ، وإذا أضفنا إلى هؤلاء
 أصحاب المذاهب المختلفة الذين سكنوا سورية مثل المارونيين اليعاقبة ،
 فإن عدد السكان المسيحيين واليهود كان يصل إلى سبعة ملايين ونصف ،
 ويطرح هذا العدد من سبع وعشرين مليون مجموع سكان الدولة العثمانية ،
 فإن المسلمين منهم وصل عددهم إلى تسعة ملايين ونصف (إحصائية عام
 ١٢٩٤ - ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٧ - ١٨٧٨ م) ^(٢) .

أما الأجانب فكانوا يعيشون في ظل الدولة العثمانية إما
 تجاراً ، أو زائرين ، في شروط خاصة ولأغراض معينة ^(٣) .

وقد حافظت الدولة على حقوق الأجانب ، وكان للمسلم حقوق
 إعطاء الأمان لمن التجأ إليه من دار الحرب فرداً أو جماعة ، وكان هذا الحق
 للإمام والعلماء فقط ، وكان للأجانب حق التجول في البلاد الإسلامية
 كزوار أو السكن إذا لم يكن في ذلك ضرر بالمسلمين ، وكان لكل ملية
 من هذه الملل سلفة الذكر منظمات خاصة ، مثل المنظمات التعليمية
 والدينية والاجتماعية ، والأمنية ، وكان هناك المستشفيات ، والمدارس

(١) Stanford Show, History of The Ottoman Empire , PP, 151 - 152 .

(٢) حقي العظم ، تاريخ حروب الدولة العثمانية مع اليونان ، ص ٢٠ ، ٢٧ .

(٣) Stanford - Show, Op, Cit., P, 163 .

(١)

والفنادق التي استمرت حتى القرن العشرين .

إن وجود مثل هذا النظام داخل إطار الدولة العثمانية
لهو دليل على التسامح الديني وسماحة الإسلام ، وإن وجود مثل هذا النظام
داخل الدولة العثمانية ، أتاح الفرصة للمسيحيين الذين عاشوا داخل
إطار السلطنة للتعرف على محاسن الإسلام وما كفله هذا الدين القويم
لأتباعه من الحقوق والواجبات ، وقد كان لهذا التسامح أثره العميق
في دخول آلاف المسيحيين في الدين الإسلامي ، والإقبال المنقطع النظير
للتمتع بعدالة الإسلام .

إن الدولة العثمانية استوعبت بداخلها كل هذه الملل
والأجناس ، وفي ذلك دلالة واضحة على ما تمتع به المسلمون من السماحة
الدينية ولين الجانب ، مما شجع الكثير من أهالي الشعوب المفتوحة على
الإنخراط في ظل الدولة العثمانية ، والتمتع بالمزايا الرفيعة العالية
التي لم يحظوا بها في ظل أي حكومة نصرانية ، وفي ذلك إشارة ظاهرة
على عظمة الإسلام ومعتنقيه من العثمانيين .

ومن النظم العثمانية التي كانت في الأقاليم الأوربية ، نظام
التيمار ، فقد كانت الدولة العثمانية بعد فتح البلقان تترك إدارة (٢)

(١) Stanford - Shaw, Op, Cit., P, 163

(٢) التيمار : كلمة فارسية معناها كل ما يعطى للمريض أو الحيوان،
أو حتى للأرض والنباتات من موعونه أو عناية ، وأطلق هذا
اللفظ على أراضى الدولة التي كانت تعطى للجنود والفرسان
ليعيشوا منها .

(محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ١٣٢) .

الأراضي للمزارعين على أن يقوموا بإعداد عدد معروف من الجنود يلحقون بالجيش العثماني ، وكان هؤلاء المزارعون من أسر نبيلة ، أو من الأمراء المعروفين بشخصيتهم وإستقلالهم .^(١)

لقد استطاع العثمانيون التخلص من حكم الأمراء تماماً ، وضموا الأراضي المفتوحة إلى دولتهم ، ومن القيادة المباشرة تولد نظام التيمار في الأراضي المفتوحة ، هذا وقد كان صاحب التيمار مسؤولاً وظيفته تحت مراقبة أمير المنطقة ، وبهذا النظام التيماري عمل العثمانيون على إيجاد طبقة موالية للسلطان العثماني ، تساعد وقوت الحرب بتقديم الجيش ، وفي السلم بالمحافظة على الحدود .^(٢)

وكان التيمار ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، على حسب الضرائب التي كان يجمعها والعمل الذي يقوم به ، وإيراد التيمار لايزيد عن ١٩٩٩٩٩ آقجه سنوياً ، وكان ذلك يعطى للفرسان الذين يقومون بمهمة الحرب ، ويتميزون بتلك الأمور أو غيرها وينتجون من ٢٠٠٠٠ إلى ١٩٩٩٩٩ آقجه سنوياً ، ويطلق عليهم زعامات ، ولهم دور كبير في الحرب ، ولهم مكانة عالية لدى الأشراف والطبقة الأولى ، أما الذين يأخذون ١٠٠٠٠٠ آقجه يطلق عليهم خاص ، وهؤلاء لخدمة السلطان ، وحواشيه ، ويطلب منهم خدمة الجيش مقابل ذلك الإيراد ، ومن واجب أصحاب التيمار تربية الخيل ، وتجهيز الجيش ، والأكل ولوازم أخرى .^(٣)

ومن النظم العثمانية الأخرى نظام الديوان ، والمـ

Norman. Op, Cit., PP, 14 - 15 .^(١)

Ibid., P, 15.^(٢)

Stanford - Show Op, Cit., P, 125 .^(٣)

بالديوان هو المكان الذي تحفظ فيه القرارات ، والسجلات الخاصة بالدولة ، وفي القرن السادس عشر كان الديوان يتألف من قسمين رئيسيين :-
 هما مكتب دوائر الديوان الملكي ، ودوائر المالية ، وثلاثة مكاتب للإدارة المركزية . المكتب الأول يعرف باسم مكتب الديوان ، ويهتم بجمع وترتيب المخطوطات وترتيب الملفات والمعاملات المالية التي تحوي المعاهدات والامتيازات الأجنبية (مثل وزارة العدل في الحكومات الأوروبية) . والمكتبان الآخران للديوان فيهتمان بأمور الموظفين المحليين ، مثل الولاة وأمراء اللواء ، ويقومان بتسجيل الموضوعات المتعلقة بتخصصات الإقطاعيين . وكان الرئيس الرسمي للديوان يسمى برئيس الكتاب ، وقد تطور هذا المسمى إلى رئيس سكرتاريا في أواخر القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي كموظف يهتم بالعلاقات الخارجية ، وفي القرن التاسع عشر الميلادي ، سمي هذا المكتب بوزارة الخارجية ، وقد كانت هناك الكثير من المكاتب الإدارية التي بلغت خمسة وعشرين مكتباً في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، وكانت تلك المكاتب تهتم بالموضوعات التي تتعلق بالإيرادات والمصروفات ، الإيرادات التي كانت تجمع من الضرائب والزكاة وضريبة المرور على الجسر ، أما المصارف كانت تصرف للرواتب ومصاريف الدفاع .^(١)

Norman Itzkowitz , Op, Cit., PP, 55 - 56 .

إنَّ الأتراك الذين دخلوا القسطنطينية فاتحين لم يكونوا في يوم من الأيام متوحشين ، بل كانوا ورثة حضارة قديمة ورفيعة وهي حضارة الإسلام العتيقة ، والتي هم أنفسهم أضافوا إليها قدراً غير يسير، فكان الفن المعماري السلجوقي والعثماني يمتاز بتقليد رفيع ، وقد كان العثمانيون يملكون المهارة والمصادر لصيانتها وتحسينها، ولما كان الإسلام يحرم الصور الإنسانية ورسمها في المساجد لذلك ستـــر العثمانيون فسيفساء آيا صوفيا (الجامع الشهير) الذي غطي بطبقة (١) من الجص الرمادي اللون .

ومن كان له مثل هذه الأعمال والإنجازات في العديد من المجالات السياسية والحضارية ، فليس صحيحاً ما نسب إليهم وإلى السلطان محمد الفاتح عندما فتح القسطنطينية أنه أباحها لجنده ثلاثة أيام، فليس هذا من أخلاق المسلمين وطباعهم ومثل ذلك يرفضه الإسلام .

هذا ما كانت عليه النظم العثمانية في الولايات الأوربية، وسنرى في الصفحات القادمة أثر سياسة الدولة العثمانية في نشـــر الإسلام .

(١) برنارد لويس ، اسطنبول ، ص ١٣٥ .

(٢) أسد رستم ، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم مع العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

لقد امتاز المسلمون الفاتحون منذ عهد الدولة الإسلامية الأولى عهد الخلفاء السراشدين بالسماحة الدينية ، والحرية الدينية ، والإعتدال في فرض الضرائب ، وحصرها في حدود معينة ، وهذه السماحة والإعتدال مهد للمسلمين سبيلهم إلى تأييد الشعوب المفتوحة لهم ، بل تعدى ذلك إلى معاونتهم الفعلية في محاربة الدولة الرومانية الشرقية .

ولقد كان فوز الإسلام في مصر والشام أسرع وأيسر عنه فسي أي بلد آخر ، وذلك أن النصرانية فرضت على أهلها بالسيف والنار ، ثم أن العسف والإرهاق والمصادرة الدينية ، كل هذه الأمور أدت إلى أسوأ الأطوار والإنحلال السياسي والفوضى الإجتماعية ، فكان الإسلام بسماحته هو الظاهر المرجح ، كما أن ضروب العدالة والتعفف التي اقترنت بسياسة المسلمين الأوائل كانت حجة قائمة على جور تلك الحكومات .^(١)

ولقد سار الأتراك العثمانيون في نشرهم للإسلام بين الشعوب المسيحية على مانعت عليه الآية القرآنية الكريمة ﴿ لا إكراه في الدين ﴾^(٢) قد تبين الرشد من الغي ﴿ فهم لم يكرهوا أحداً من الشعوب المفتوحة على اعتناق الإسلام كرهاً ، بل تركوا لمن أراد البقاء على دينه الحرية في ذلك ونتيجة لهذه السياسة الحكيمة في نشر الإسلام فقد دخلت أفواج عديدة في الإسلام .^(٣)

نلاحظ على الرغم من أن الاغريق كانوا يفوقون الأتراك عدداً

(١) عبدالله عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، ص ١٩ - ٢٢ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٥٥ .

(٣) توماس وأرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٧٠ - ١٧٢ .

في الولايات الأوربية التابعة للدولة العثمانية ، فقد كانوا يسارعون في الموافقة على تغيير سادتهم وإِثار سيادة السلطان على أية سيادة مسيحية ، وكان العثمانيون يلقون ترحيباً كبيراً في كثير من الولايات المسيحية ، وكان الإغريق يعدونهم مخلصين لهم من حكم الفرنجة المستبد فقد صير أهل البندقية الشعب في حالة من العبودية يرثى لها، لإدخالهم نظام الإقطاع في اليونان ، وكانوا مكروهين من قبل رعاياهم ، لاختلافهم عنهم في اللغة والجنس والعقيدة ، بالإضافة لسوء المعاملة ، ووجد هولاء الرعايا في العثمانيين تخليماً لهم مما هم فيه ، نظراً لحسن المعاملة التي أبداها العثمانيون لهذه الشعوب في المجر، وترانسلفانيا فقد آثروا الخضوع للعثمانيين على الوقوع في يد أسرة هابسبورج المتعصبة .^(١)

كذلك نلاحظ تطلع أقوام في إيطاليا بشوق عظيم إلى الترك، لعلهم يحظون كما حظي رعاياهم من قبل بالحرية والتسامح اللذين يثسوا من التمتع بها في ظل أي حكومة مسيحية ، ولقد رأى الأتراك أن أعظم هدية يقدموها لأي فرد هي هدايته إلى الإسلام . لذلك لم يتركوا وسيلة من الوسائل للترغيب في الدخول إلى الإسلام إلا اتبعوها ، يحدثنا هولندي عاش في القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي أنه بينما كان يظهر إعجابه بمسجد آيا صوفيا الكبير حاول بعض الأتراك أن يوءثروا على عواطفه الدينية عن طريق إحساسه بالجمال ، فقالوا له : (إنك لو أصبحت مسلماً لاستطعت أن تأتي إلى هنا كل يوم من أيام حياتك) .^(٢)

(١) أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٨٤ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

ومما يدل على غيرة العثمانيين وحبهم الروحي الشديد للإسلام تلك الأفراح الشعبية التي كانوا يحيون فيها من دخلوا في الإسلام طوعاً من المسلمين الجدد ، ولم يقتصر الدخول في الإسلام على العامة والبسطاء بل تعدى ذلك إلى العلماء والرهبان والقساوسة الذين اعتنقوا الدين الإسلامي فكانوا قدوة لغيرهم تدفعهم للدخول في الإسلام .^(١)

وبينما كان في المجتمع المسيحي ما يدعو إلى الصدود والنفور، كان في أخلاق الأتراك وحياتهم ما يبعث على التقريب والإجذاب ، وكان للتقدم العثماني في العصور الوسطى إذا ما قورن بال انحطاط الكنيسة وتدهورها ما يوتر بطبيعة الحال في العقول التي سئمت الأطماع المنبعثة من الأنانية ، وبيع الوظائف الكنسية ، وفساد أفراد الكنيسة وظالمها أثنى الكتاب المسيحيون على غيرة العثمانيين وصلاحيتهم في حياتهم الدينية ، ومظهر الحشمة والتواضع البادي في زيهم وأسلوبهم ، وليس أدل على ذلك من ثناء مؤرخ السفارة التي أرسلها الإمبراطور ليوبولد الأول إلى الباب العالي من سنة (١٠٧٦ - ١٠٧٧ هـ) (١٦٦٥ - ١٦٦٦ م) ، وفيها ثناء خاصاً على تعبد الأتراك وانتظامهم في الصلاة بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول : " يجب أن نتكلم عن فوضى المسيحيين . إن الأتراك يظهرون كثيراً من الاعتناء والغيرة في أداء شعائرهم الدينية ، أما المسيحيون فلم يظهروا شيئاً من ذلك في دينهم ... بل أكثر من ذلك كله أننا عرفنا بالتجربة المتدين بين المسيحيين ... ذلك الذي لا تراه في أثنائها لاهياً بعيينه لا ترى في أثنائها شخصاً غير متعلق بموضوع

(١) آرنولد ، الدعوة إلى الاسلام ، ص ١٩٦ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

صلاته ، ولا شخصياً لا يبدو بين يدي خالقه في مظهر التبجيل الشاهـري
الذى يتطلبه من المخلوق " (١) .

إذا ما قارنا بين ما أبداه المسلمون العثمانيون من تسامح
تجاه الشعوب الأوروبية ، وبين ما كان من تعصب المسيحيين تجاه المسلمين
في أثناء حروبهم الصليبية في مصر، وبلاد الشام ، وشبه جزيرة إيبيريا^(٢)
(الأندلس) - فإن ذلك يعطينا دلالة واضحة على مدى الوحشية والقسوة^(٣)،
وإنّ البون شاسع بين ما أبداه المسلمون من تسامح وعطف ، وبين ما كان
من الصليبيين من حقد وفضينة برزت من خلال أعمالهم الوحشية تجاه
المسلمين .

لم يكن الأوروبيون في عصر الحروب الصليبية إلا رمزاً للتعصب
والحقد والجفاء فتاريخهم في تلك الحروب وما جرى منهم عند فتح بيت
المقدس من ذبح سبعين ألف مسلم في المسجد الأقصى ، حتى غاصت الخيل^(٤)
إلى صدورهم في الدماء دليل على الوحشية والبربرية والقسوة كما أسلفنا .

إنّ هذه الحروب الصليبية لم تعبر عن نفسها في الشرق الأدنى ،
بل ظهرت جلية واضحة حيث دارت رحاها في القرن الحادي عشر بين
المسلمين والصليبيين الأسبان في بلاد الأندلس ، لم تنته إلا بعد عدة
قرون بطرد المسلمين من أسبانيا ، بعد سقوط آخر معقل لهم وهي مدينة^(٥)

-
- (١) أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٩٦ .
(٢) سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٧٣ .
(٣) أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة عام ، ص ٣٩٢ ؛ ل . ح . شيني
تاريخ العالم الغربي .
(٤) شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، المجلد الأول ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .
(٥) نفس المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٣ .

(١) غرناطة عام (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) وقد نال المسلمون على أيدي الأسبان الكثير من العسف والإضطهاد والتنكيل ، بالإضافة لما قامت به محاكم التفتيش من إرغام المسلمين على اعتناق النصرانية أو القتل ، مما دعى بالكثير منهم للهجرة إلى مراكش ، وإنشاء حضارة إسلامية هناك. (٢)

أما الأتراك العثمانيون فإن الذي منعهم من إكراه النصارى الذين تحت أيديهم وسلطانهم على الإسلام هو الدين الإسلامي الذي يمنع الإكراه في الدين ، ويرضى من المعاهد بالجزية ، فإن الإسلام وسماحته هو الذي هذب الأتراك ، وحال بينهم وبين طرد المسيحيين من ديارهم ، كما فعل الصليبيون في بلاد الشام ، والأندلس ، ولكن أتباع النصرانية من أقوام أوروبا لم يمنعهم دينهم المزيف ، ولم يمنع البابا إسكندر السادس ، وأساقفة الكنيسة في أسبانيا والملك فرديناند وإزبيل وغيرهم من الملوك المشهورين بالكثلكة من نصب محاكم التفتيش وارتكاب الفظائع في المسلمين ممن بقى على دينه ، إلى أن أجلوهم من ذلك القطر الذي استوطنة المسلمون ثمانمائة وعشرين عام ، مع أن الإنجيل غير المحرف لايجيز شيئاً من هذه الأفعال . (٤)

إنّ مادفع النصارى على الفتك بالمسلمين ليس الإنجيل فسإن الإنجيل كتاب مقدس قبل أن يتعرض للتحريف والتعديل على ماتهوى الأنفس ، ولكن الذي دفعهم لما فعلوا الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين .

(١) أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة عام ، ص ٢٩٢ ، ل : ح شينسي ، تاريخ العالم الغربي ، ص ١٧٤ .

(٢) شبيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، المجلد الأول ، ص ٢٣٩ .

(٣) نفس المرجع السابق ، المجلد الأول ، ص ٢٣٩ .

(٤) أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة ، ص ٢٩٢ .

ولعل أهم عوامل انتصارات المسلمين هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم ، حتى أن الملك الفارسي كيروس (Kyros) نفسه قال : " إن هؤلاء المسلمين لا يأتون كمخربين " فما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب والوحشية ، إن هو إلا مجرد أسطورة من نسج الخيال تكذيبها الأدلة والبراهين القاطعة على تسامح المسلمين وإنسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة ، والتاريخ لا يقدم لنا إلا عدداً قليلاً من الشعوب التي عاملت خصومها والمخالفين لها في العقيدة بمثل ما فعل المسلمون ، وقد أتاح ذلك للحضارة الإسلامية أن تتفاعل وتختلط مع تلك الشعوب بنجاح لم تحظ به الحضارة الإغريقية ببريقها الزائف ، والحضارة الرومانية بعنفها في فرض إرادتها .^(١)

ومما ساعد على انتشار الإسلام السياسة التي اتبعتها الدولة في تحويل الكثير من الكنائس إلى مساجد ، ومن ذلك ما قام به السلطان محمد الثاني (الفاتح) عندما استولى على القسطنطينية سنة (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) من تحويله كنيسة آيا صوفيا إلى مسجد ، وولى بها صلاة الجمعة كذلك حولت العديد من الكنائس إلى مساجد ، وللسلطان الفاتح مآثر كثيرة من مدارس وزوايا وجوامع .^(٢)^(٣)^(٤)

هذا وقد واصل السلاطين العثمانيون سياستهم في إنشاء العديد من المساجد والجوامع ، مما ساعده على انتشار الإسلام وتقدمه في كثير

(١) زيجفريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة الإسلامية في أوربة) ص ٢٥٧ - ٢٥٨ ؛
Stanford - Shaw , Op, Cit., P, 163 .

(٢) العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي ، ج ٤ ، ص ٦٧ .

(٣) محمد الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٤٥ .

(٤) السخاوي ، الضوء اللمع ، ج ١٠ ، ص ٤٧ .

من دول أوروبا الشرقية ، وقد أوردنا ذلك سابقاً .

كذلك عمل السلطان سليمان القانوني على تطوير قاعدة بناء الجيش الإنكشاري وتوسيعها ، على الأسس التي طبقها سلفه من الخلفاء العثمانيين ، وأظهر كفاءة عالية في حشد كافة القوة على تباينها واختلافها ، وإذا كان خلفاء العثمانيين قد حققوا نجاحاً في دمج الشعوب والأمم التابعة لهم في بوتقة الإسلام ، فإن السلطان سليمان في ظليعتهم حيث يعود الفضل إليه في صهر تلك الأمم في بوتقة الإسلام ووجه جهودها نحو هدف واحد هو رفع راية الإسلام عالية خفاقة وتجاوز حدود الإقليمية (١) والجنسية .

ولم يكن العثمانيون في هذا المضمار إلا متبعين لمن سبقهم من العرب قبل قرون عندما حملوا راية الإسلام ، وانطلقوا برسالتهم إلى أرجاء الدنيا ، فعرفوا الأمم والشعوب بفضائل دينهم ، ونقلوا إليهم الأمانة فصارت تلك الأمم من عرب وعجم ، وترك وفرس ، وكرد ، وبربر ، بيض وسود ، وصفر ، يتنافسون جميعاً لرفع راية الإسلام والدفاع عنه . (٢)

لقد أخذت الدولة العثمانية بمدأ الحرية الدينية باعتبارها الدعامة الأساسية لقيام الدولة ، وهذا المبدأ جعل الشعوب غير مسلمة الخاضعة لسلطة الدولة العثمانية تدين لها بالطاعة والولاء ، وتوثر حكم الدولة العثمانية على حكم الشعوب النصرانية .

(١) تاريخ نعميا ، ج ١ ، ص ٣ .

(٢) بسام العسلي ، القانوني القائد ، ص ١٥٧ - ١٥٩ .

لقد حافظ العثمانيون على السياسة الإسلامية الخاصة بالتسامح مع الذميين من أهل الكتاب ، فكانوا يحمون حياتهم وأموالهم وملتهم ، طالما قبلوا حكم الإسلام ، ودفعوا الجزية ، مقابل الإعفاء من الجندية ، وقد قبل أبناء البلقان الإسلام ، لضمان المزايا التي كفلها لهم الإسلام ولأنهم أبناء أقليات دينية تعرضت للإضطهاد في ظل الحكم المسيحي ، ووجدت في الحكم العثماني خلاصاً لها من الظلم .^(١)

هذه هي سياسة الدولة العثمانية ، في نشرها للدين الإسلامي بين شعوب البلدان المفتوحة ، فقد استخدمت معظم الطرق التي تفتح المجال أمام الشعوب للدخول في الإسلام ، فقد تمتعت الدولة العثمانية بسياسة التسامح الديني التي شملت جميع تلك الشعوب ، مما أدى بالتالي لاعتناق الآلاف للإسلام ، وإفساح المجال أمامهم للتخلص من نير السدول المسيحية المسيطرة عليهم وإن نظام الملل الذي سمحت به الدولة لأكبر دليل على ذلك التسامح الذي أبدته الدولة تجاه رعاياها .

فنلاحظ أن المجتمع الإنساني في هذه الدولة ضم العديد من المسلمين والأفرنج من أديان ولغات بشرية مختلفة كالمسلمين والسلافي والأورام ، والأكراد ، والأرمن والعرب ، والنصارى ، واليهود جميع بينهم سماحة الإسلام ، وليس كما حاول بروكلمان أن يقرره من أن الذي يربطهم جميعاً هو رباط غير طبيعي ، رباط السيف الذي كان يسلطه على أعناقهم الخلفاء العثمانيون هكذا يفسر هذا المؤرخ الألماني وجود هذه الملل^(٢)

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٢ .

(٢) بروكلمان . تاريخ الشرق الأدنى ، ص ١٣٥ .

المختلفة داخل الدولة العثمانية ، يبطل الزعم القائل بأن الرباط
الذى يربطهم جميعاً هو رباط السيف والنار ، اذ لو كان ذلك صحيحاً لما
كانت هذه الملل داخل اطار الدولة العثمانية ولأُغرموا على الدخول
قسراً في الإسلام ، كما فعل الصليبيون في بلاد الأندلس ، ولكن إن دل ذلك
على شيء فإنما يدل على مدى سماحة الدولة العثمانية ، وعملها على نشر
الإسلام باتخاذ الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك ولكن الذي دفع المـؤرخ
لهذا القول هو حقه على الإسلام متمثلاً في هذه الدولة التي حملت لسواءه
خفاقاً في ربوع أوروبا المسيحية .

الفصل الثاني

مواقف الدول الأوربية من الدولة العثمانية

- ١- موقف روسيا من الدولة العثمانية.
- ٢- موقف النمسا من الدولة العثمانية.
- ٣- موقف فرنسا من الدولة العثمانية.
- ٤- موقف بريطانيا من الدولة العثمانية.

إن تطور الدولة العثمانية ، وقفزتها السريعة من إمارة صغيرة في شبه جزيرة الأناضول ، إلى دولة واسعة الأرجاء في قسارات ثلاث عالمية ، وإن اقترانها بالإسلام ونشره في البلاد التي أصبحت فسي حوزتها خاصة في أوروبا ، ألپ الدول الأوروبية ضدها وناصبتها العداء ، أضاف إلى ذلك الأطماع الإقتصادية كموجه لمواقفهم ، والنواحي الإستراتيجية والدينية ، فأولئك الروس كانت لهم أطماعهم في الدولة العثمانية ورغبتهم في السيطرة على المضائق للوصول إلى الميـاه الدافئة ، والاتصال بأوروبا ، أما النمسا فعلى الرغم من عدم وجود حدود مباشرة لها مع الدولة العثمانية إلا أنها شنت على الدولة حرباً من منطلق خوفها على حدودها وذلك بإثارة دول البلقان بالثورة ضد الدولة العثمانية ، لإضعافها ولكي تبعد شبح الخوف عنها ، أما فرنسا فعلى الرغم مما حصلت عليه من امتيازات في الدولة العثمانية ، إلا أن ذلك لم يمنعها من العمل على الاستيلاء على الكثير من المناطق التابعة للدولة العثمانية في الشمال الإفريقي ، وتحقيق أطماعها الإستعمارية ، كذلك قامت بريطانيا بتوقيع اتفاقية سايكس-بيكو بينها وبين فرنسا وروسيا وقسمت بينهما أملاك الدولة العثمانية ضماناً لتحقيق أهدافها في الشرق الأوسط .

كان العداء العثماني الروسي عداء بين الأتراك كمسلمين
- الذين يعملون على نشر الإسلام - والروس كدولة معادية للإسلام، هذا
وقد دخل الأتراك المغول في الإسلام بعد مدة قصيرة من وفاة مؤسس
دولتهم جنكيز خان، ابتداءً من تشكيل دولة القبيلة الذهبية المغولية
في بلاد الروس، وانتهاءً بتأسيس دولة العثمانيين كما أشارت إلى ذلك^(١)

كان الصراع بين الروس والعثمانيين يتصف في الكثير من
جوانبه بالطابع الديني فكان صراعاً بين النصرانية والإسلام وتاريخ
الإسلام في بلاد الروس قديم جداً حيث دخل إليها الإسلام قبل تأسيس دولة
الأتراك . وكان العداء بينهما يعود إلى جذور موغلة في القدم .^(٢)

وقد تحدث ابن فضلان عن رحلته إلى بلاد الروس والتي جرت عام
(٣٠٩ هـ / ٩٢١ م) أن أحد ملوك السلاف واسمه (الطش بن يلطـوار)
اعتنق الإسلام وقد أشارت إلى ذلك حيث يقول (... فلما كنا من ملك
المقابلة وهو الذي قصدنا إليه .. وجه لاستقبالنا الملوك الأربعة الذين
تحت يده واخوته وأولاده .. فلما صرنا منه على فرسخين تلقانا بنفسه ،
فلما رأنا نزل وخر ساجداً شكراً لله عز وجل ، ... وأخرجت كتـاب
الخليفة وقلت له : لا يجوز أن تجلس والكتاب يقرأ فقام على قدميه هو
ومن حضر من وجوه مملكته .. وبدأت فقرأت صدر الكتاب ، فلما بلغت
فيه سلام عليكم فإني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو قلت ردوا على
أمير المؤمنين السلام فردوا (...) ، وفي نص هذا الكتاب دليل على^(٣)
دخول الإسلام إلى تلك البلاد قبيل العهد العثماني ، وإن التأثير الإسلامي

(١) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٣) ابن فضلان ، ص ١٠٧ .

كان واضحاً في بلاد الروس ، حيث أرشد ابن فضلان ملك الروس إلى الطريقة
المحيحة في تأدية الشعائر الدينية ، فهو يقول (ورأينا منهم أهل
بيت يكونون خمسة آلاف نفس من امرأة ورجل قد أسلموا كلهم وقد بنوا
مسجداً من الخشب يصلون فيه لا يعرفون القراءة فعملت جماعة ما يصلون
منهم . كذلك يذكر ابن فضلان عن المسعودي قوله إن ابن ملك البلغار
المقالبة حج عام (٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) ومر ببغداد وأكرمه القوم فيها)^(١)

وكان اهتمام الروس بالقسطنطينية حيويّاً منذ القدم نظراً
لموقعها المغري ، فهذه المدينة تتألف من شبه جزيرة تقع بين قارتي
آسيا وأوروبا وتحضنها بحار ثلاثة هي القرن الذهبي ، والبسفور ، وهو
المضيق الذي يربط البحر الأسود بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق بحر مرمرة ،
ومضيق الدردنيل ، ويفصل القرن الذهبي المضيق المدينة القديمة عن المدينة
الحديثة المسماة (بك أوغلي) أو ما كان يدعى سابقاً (بيرارغلطة)^(٢)
وفصل البوسفور المدينة الأوربية عن الجزء الآسيوي . واكتسبت
القسطنطينية أهميتها الدينية من حيث كونها مركزاً كنسياً معتبراً ، عزز
ارتباطها بالكنيسة الروسية ، وعد بطريقها في المرتبة الثانية بعد بابا
روما ، هذا بالإضافة لمكانتها التجارية ، حيث كانت المدينة التجارية
الأولى ، حتى ظهور الدول الإيطالية البحرية ، وكانت تعد المدينة الرئيسية
الأولى ، من حيث القوة والاعتبار حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي .^(٣)

إن فتح القسطنطينية على يد العثمانيين كان له الدوي

(١) ابن فضلان ، في وصف الرحلة ، ص ١٠١ .

(٢) على حسن تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٨ - ٣٩ ، ٤١ - ٤٢ .

(٣) بيرونوفن ، تاريخ القرن العشرين ، ص ٢١٧ .

(١) العظيم في كافة أرجاء العالم وبخاصة في الغرب النصراني ، الذي صفعه النبأ .

لذلك فان أهمية القسطنطينية لدى الروس قديمة ، وقد اعتنق الأمير الروسي (فلاديمر) النصرانية على المذهب الارثوذكسي ودمج النصرانية والمذهب البيزنطي كي يبنى كرسياً أسقفياً في كيف من هنا بدأ الارتباط المذهبي بين الروس وبيزنطية إلى أن أصبحت محط أنظارهم .
(٢)

ومن هنا ظهر العداء الصليبي الروسي ضد المسلمين متمثلاً في الدولة العثمانية ، حاملة لواء الإسلام ، والتي تمكنت من فتح القسطنطينية والسيطرة عليها .

لذلك فان أهداف روسيا ومطامعها ومواقفها من الدولة العثمانية واحدة ، منذ نشأة تلك الدولة ، وبذلك يتضح أن اهتمامات الروس بالدولة العثمانية تتلخص في التالي :

السيطرة على المضائق التركية في سبيل الوصول إلى المياه الدافئة ومنافسة الدول الأخرى ، واسترجاع القسطنطينية من أيدي المسلمين وإعادة بنائها لحظيرة الكنيسة الأرثوذكسية ، والقصد من ذلك تدمير وحدة المسلمين وترباطهم والتوسع في الجهات الجنوبية ، والجنوبية الشرقية بحجة الوصول إلى الأراضي الحارة ، المنتجة لبعض السلع والتقليل من
(٣)
(٤)

-
- (١) بيبيرونوفن ، تاريخ القرن العشرين ، ص ٢١٧ .
 - (٢) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ٢٢٠ .
 - (٣) بيبيرونوفن ، تاريخ القرن العشرين ، ص ٢١٧ .
 - (٤) نفس المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(١) الضغط السكاني الروسي ، ويمكن الهدف الرئيسي من وراء ذلك تشتيت المسلمين ، وهزيمتهم في تلك المناطق التي يقطنوها . وهناك دافع سياسي ، هو الحفاظ على توازن القوى مع الدول الأوروبية ، وتحقيق (٢) ما يمكن تحقيقه عن طريق بسط نفوذهم في جنوب شرق أوروبا .

ومن هنا نجد أن الروس بدعوا في التوسع على حساب الدولة العثمانية منذ عام (١٠٩٢ هـ / ١٦٨١ م) حيث انتصروا على العثمانيين وانتزعوا أكرانيا ، وفي عام (١١٠٨ هـ / ١٦٩٦ م) استولى بطرس الأكبر على ميناء آزاق لأهميته لمملكته ، ووصلوا إلى سواحل البحر الأسود على أن صلح كارلوفتس (١١١٠ هـ / ١٦٩٩ م) أدى إلى فقدان الدولة العثمانية جزءاً ليس بالقليل من ممتلكاتها في أوروبا ، وبعد ذلك استمر السلام بين الدولتين ثلاثين عاماً بطح عام (١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م) عمل فيها القيصر على تحصين آزاق فقابل العثمانيون ذلك فاقامة الحصون والقلاع الجديدة في مواجهتهم ، وقد شغل بطرس الأكبر عن الكييد للعثمانيين عندما هاجمه عدوه شارل الثاني عشر ملك السويد ، فلما هزم ملك السويد ، لجأ إلى العثمانيين الذين رفضوا تسليمه إلى بطرس فشن حرباً عليهم غير مراعاة لصلح الثلاثين عاماً ، ولكنه بعد ذلك فوجيء بالجيوش العثمانية محاصرة له من كل جانب ولو استمر ذلك الحصار لأخذ أسيراً هو ومن معه ، ولمحت الدولة الروسية من العالم

-
- (١) فشر، في أصول التاريخ الأوربي ، ص ٣٧١ .
 - (٢) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ٣٧١ .
 - (٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٥٥ .
 - (*) آزاق : هي أزوف (Azov) وتقع في الشمال الشرقي من بحر آزوف ويطلق إسم (بحر آزوف) على الخليج الكبير الواقع شمال البحر الأسود ، (محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٨٦) .
 - (٤) نفس المصدر السابق ، ص ٣١٠ .
 - (٥) جلال يحيى ، معالم التاريخ الحديث ، ص ١١ .

(١) السياسي ، وقد أبرمت بعد ذلك عدة معاهدات عام (١١٢٣ هـ / ١٧١١ م) وتلتها معاهدة أخرى عام (١١٢٣ هـ / ١٧٢٠ م) وقضت سنوات قلائل بعد هذا ساد أوروبا اعتقاد عام بأن شمس الدولة العثمانية آذنت بالمغيب على أن إذلال بطرس الأكبر من قبل العثمانيين لم يبرح ، من أذهان الروس ورعايا روسيا ، وكانوا يلتهبون غيظاً على الأتراك ، كلما ذكروا ذلك العار وهنا جمع بطرس الثاني الجموع لمهاجمة العثمانيين ، ولكنه مات عام (١١٤٠ هـ / ١٧٢٧ م) وتأخر مشروعه إلى عام (١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م) في مارس حيث تحركت الجيوش الروسية بأمر المملكة حنة للانتقام من المسلمين ، وختمت الحروب بصلح بلغراد عام (١١٥٢ هـ / ١٧٣٩ م) ولكن الدولة الروسية لم تشف غليلها لأن مواد الصلح لم تكن كافية لإذلال العثمانيين .

وهنا يظهر الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين موجهاً ضد الدولة العثمانية وبعد مضي تسعة وعشرين عاماً عاد العداء بين الدولتين سنة (١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م) وسخط الرأي العام في الأستانة على احتلال روسيا لبولونيا ونشبت الحرب بين الدولتين ، وانتهت بصلح (قينارجة) المنعقد في عام (١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م) وبموجب هذه المعاهدة أجبرت روسيا الدولة العثمانية على الاعتراف لها بحق حماية المسيحيين في داخل الدولة العثمانية ، وبإمضاء معاهدة بخارست في مايو عام (١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م) ، وبموجبها عدلت الحدود بين تركيا وروسيا فصارت تنطبق على نهر الدانوب ، وكان هذا الصلح

-
- (١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٣ .
 - (٢) محمد الديراوى ، الحرب العالمية الأولى ، ص ٢٥٤ .
 - (٣) حسين لبیب ، تاريخ الأتراك العثمانيين ، ج ٢ ، ص ١٣٧ - ١٤١ .

في صالح الدولة العثمانية حيث أنهى الحروب بينهما والذي كانت تتعاظم
(١)
ويلاتها وخسائرها على مرور الزمن .

ونلاحظ موقف روسيا العدائي من الدولة العثمانية عندما
ثار أهالي الجبل الأسود ضد الدولة العثمانية ، ودخلت روسيا الحرب
إلى جانبهم ، وانضمت إليها رومانيا ، إلا أن روسيا تكبدت خسائر
فادحة ، مما جعلهم يجندون الجيش الإحتياطي ، بينما بقيت الحامية
التركية في استحكاماتها ، حتى نفذ الطعام ، وقد وصل الروس إلى أدرنة
(٢)
فخشيت بريطانيا من استيلائهم على اسطنبول ، وأرسلت أسطولاً إلى الدردنيل
لحمايتها ، عند ذلك تقدم الروس إلى (استيفانو) في ضواحي اسطنبول ،
ولكنهم لم يجزوا ١٤ على الدخول حتى لاتقع الحرب بينهم وبين بريطانيا
وطلب السلطان الصلح من القيصر ، وكانت معاهدة (سان استيفانو) في
(١٢٨٥ هـ / ١٨٧٨ م) حيث اعترف السلطان باستقلال رومانيا وصربيا
والجبل الأسود ، ووجدت دولة بلغاريا الكبرى الممتدة من الدانوب إلى أدرنة
ومن سلانيك حتى البحر الأسود ، ونصت المعاهدة على إعطاء روسيا بسارابيا
التي خسرتها في حرب القرم ، وباستقلال البوسنة والهرسك ، ولم ترض بريطانيا
والمانيا بهذا وأجبرت روسيا على إعادة النظر وعقد مؤتمر برلين في الثالث
عشر من حزيران (١٢٨٥ هـ / ١٨٧٨ م) وقد مثل المؤتمر السابق سبع دول
هي روسيا ، وبرلين ، والنمسا ، وإنجلترا ، وفرنسا ، وتركيا ، وإيطاليا ،
تحت رئاسة بسمارك رئيس وزراء ألمانيا ونتيجة لذلك المؤتمر أدخلت
التعديلات الآتية : أصبحت بلغاريا الكبرى دولة صغيرة تتمتع باستقلال داخلي ،
ووضعت مقاطعتي البوسنة والهرسك تحت الإدارة النمساوية ، وأيد المؤتمر

(١) حسين لبیب ، تاریخ الأتراك العثمانيين ، ج ٢ ، ص ١٣٧ - ١٤١ .

(٢) أحمد عبدالرحیم مصطفی ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠٧ .

مانمت عليه معاهدة سان استيفانو من استقلال رومانيا وصربيا والجبل الأسود استقلالاً تاماً وكانت نتائج هذا المؤتمر الرئيسية القضاء على (١) البلقان ، وإيقاف المطامع السلافية .

لم يقف العداء الروسي ضد الدولة العثمانية عند هذا الحد، بل كانت روسيا تعمل بين الحين والآخر على فرض وجودها على الساحة الأوروبية ، ولكي تصل إلى غرضها فهي تعمل كل ما من شأنه أن يصل بها إلى المضائق التركية للاتصال بأوروبا .

فقد وقفت روسيا ضد مشروع سكة حديد بغداد والذي قامست بإنشائه المانيا ، وهذا المشروع ظهرت فكرته منذ السبعين سنة الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي ، عندما فكر فيه المهندس النمساوي (الفون بريسل) والذي كان يعمل لدى الدولة العثمانية كخبير في شؤون السكك الحديدية، فرحب السلطان عبدالحميد الثاني بهذا المشروع، وأنجز القسم الأول منه في فترة مابين عام (١٢٨٥ - ١٢٩٠ هـ) (١٨٧٢ - ١٨٧٣ م) والذي يمل اسطنبول بأزمير^(٢) ونفذ هذا المشروع بروءوس أموال فرنسية، ثم انتقل بعد ذلك الإمتياز إلى المانيا. لذلك شعرت روسيا بخطورة المشروع على مصالحها الإستعمارية في الدولة العثمانية، فحاولت القضاء عليه في مهده، وذكرت السلطات العثمانية بالمداقة الذي تربطها به، ولكنه لم يعر لذلك أذناً صاغية، كذلك لم تعر الحكومة الألمانية

-
- (١) محمد عابدين حمادة، تاريخ الشرق والغرب منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ص ١٢ - ١٤ .
- (٢) جان بيشون، بواعث الحرب العالمية الأولى، ص ٩٥ ؛
توبوليف، الامبريالية والعسكرية الألمانية، ص ٢٢٢ .
- (٣) السلطان عبدالحميد الثاني، مذكراتي السياسية، ص ١٤٤ .

أذنًا صاغية للتهديدات الروسية بسبب قوة مركزها في السياسة الدولية ،
 بعد حصولها على ميناء بورت آرثر في البر الصيني ، والذي حد من
 نفوذ روسيا في الشرق الأقصى وهذا مما جعل المفاوضات الروسية العثمانية
 تصل إلى طريق مسدود .^(٢)

إن نجاح ألمانيا في الحصول على امتياز سكة حديد بغداد ،
 ووجود البعثات العسكرية الألمانية ، وتزويد الجيش العثماني بالسلح الألمانى
 أدى ذلك إلى قلق الروس وشعورهم بالخطر الألمانى المتزايد مما جعلهم
 يحاولون جر كل من النمسا والمجر للوقوف معهم لعرقلة المشروع ،^(٣)
 ولكن كل ذلك لم يمنع ألمانيا من تنفيذ المشروع ، وقد عقدت اتفاقية
 بين ألمانيا وروسيا عام (١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م) تقضى باعتراف ألمانيا
 بالمصالح الروسية في شمال فارس وفقاً لمعاهدة (١٣٢٥ / ١٩٠٧ م) وتكف
 روسيا عن معارضة مشروع سكة حديد بغداد ، كذلك وقعت معاهدة من قبل
 روسيا مع الدولة العثمانية ، عام (١٣٣٢ هـ / ١٩١٣ م) تقوم على
 أساس إلغاء معاهدة (١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م) ، وتعهد السلطان العثمانى
 لمدة عشر سنوات بعدم إقامة خط حديدي في المناطق الواقعة إلى الشرق
 من طرابزون خربوط ديار بكر ، وإذا كانت هناك حاجة لإنشائها تنشأ
 بروءوس أموال روسية ، ولذلك عندما فشلت روسيا في إحباط المشروع^(٥)
 اتخذت لها موقف آخر من الدولة العثمانية ، وهو حماية مصالحها في
 الحدود الجنوبية .

-
- (١) بيرونوفن ، تاريخ القرن العشرين ، ص ١١ .
 - (٢) باسل دقاق ، تركيا بين جبارين ، ص ٢٧ .
 - (٣) جان بيشون ، بواعق الحرب العالمية الأولى ، ص ٩٥ ؛
 W.L.Langer, The Diplomacy of Imperialism, P, 640.
 - (٤) سياسة روسيا الخارجية ، ج ١٢ ، وثيقة رقم ٣٢٩،٣٦٢٥ صفحة لغة روسية ،
 ص ٤٢ .
 - (٥) مجموعة الإتفاقات الروسية مع الدول الأخرى ، ١٨٥٦-١٩١٧ ، ص ٤٢٠ .

يعود موقف روسيا من الدولة العثمانية وكرههم للعثمانيين بسبب أن الدولة العثمانية دولة مسلمة ، وأن نشر الإسلام في أوروبا سواء في المناطق الغربية وجنوب شرق أوروبا أو المناطق القريبة من الدولة الروسية ، إنما تعتبره روسيا إنتصاراً للإسلام والمسلمين ومن شأن هذا أن يعمل على تقويض نفوذهم تدريجياً ، وروسيا ليست إلاّ عدوة لدودة للدولة الإسلامية منذ زمن طويل ، ولا ترضى أو يطيّب لها بال أن يرتفع شأن الإسلام سواء في بلادهم أو أي مكان آخر، وإذا نظرنا إلى دورها في تقويض قوى الدولة العثمانية ، فذلك واضح من مواقفها خلال القرون الحديثة المتأخرة ومن ذلك اشتراكها مع فرنسا وبريطانيا ، وباقي دول أوروبا للتآمر ضد الدولة العثمانية ، هذا بالإضافة لما قام به نيقولا الأول من التشهير بالدولة العثمانية ، وإطلاقه عليها الرجل المريض ، وهذا دليل على مدى الحقد الروسي، الموجه ضد الدولة العثمانية حاملة لواء الإسلام .

أضحى العثمانيون هم القوة الإسلامية الكبرى في آسيا الصغرى في آواخر القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، وذلك جعل حركتهم وفتوحاتهم التوسعية على حساب الإمبراطورية البيزنطية وغيرها من القوى المسيحية في شرق أوربا ، وتعتبر الحملات التي أعدها الأوربيون في القرنين الثامن والتاسع الهجري / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، لوقف التوسع العثماني في شرق أوربا حملات صليبية قام بها الأوربيون لحماية شرق أوربا من خطر التوسع الإسلامي على حساب الشعوب المسيحية .^(١)

وفي القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي نجح العثمانيون في العبور إلى القارة الأوربية ، واستمروا في توسعهم في شرق أوربا .^(٢)

إن علاقة النمسا مع الدولة العثمانية كانت من أسوء العلاقات في تاريخ العلاقات الدولية ، ليس من ناحية العداوة المنبثقة عن المصالح فحسب بل من الناحية الإنسانية أيضاً ، وهناك مواقف عديدة توضح تلك العلاقات العدائية .

ففي عام (٩٣٤ هـ / ١٥٢٧ م) في عهد السلطان سليمان القانوني ادعى ملك النمسا فرديناند أحقيته في أن يكون ملكاً على المجر ، وسار لمحاربة ملكها الذي عينه السلطان سليمان القانوني ، مما

-
- (١) سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .
 (٢) علي بك حليم ، التحفة الحليمية ، ص ٣٩ .
 (٣) طه زاده ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الرابع ، ص ١١١ .

أدى إلى استنجد ملك المجر بالسلطان سليمان القانوني ، الذي سار بنفسه عام (٩٣٦ هـ / ١٥٢٩ م) على رأس جيش ، سار به إلى بودا عاصمة المجر ، التي احتلها ملك النمسا ، وسرعان ما فر منها فرديناند إلى فيينا عاصمة النمسا ، وخرجت الحامية النمساوية من المجر بعد أن حصلت على عهد الأمان من السلطان ، وبعد إعادة ملك المجر إلى مملكته ، سار مع السلطان سليمان القانوني بجيوشه إلى فيينا عاصمة النمسا في (٢٧ سبتمبر ١٥٢٩ م) وسلط المدافع نحو أسوارها فهدم جزءاً منها ، ثم أمر السلطان الجيوش بالهجوم ، ولكن أمد القتال طال ، فعادت الجيوش دون أن تتمكن من دخول المدينة ، ثم لم يلبث السلطان سليمان أن أمر بسحب الجيش العثماني ، نظراً لقدم الشتاء ، وانتهاء ذخيرة الطوبجية ، وعندما عاود ملك النمسا مهاجمة بودا عاصمة المجر ، سار السلطان سليمان القانوني لمحاربته مرة ثانية عام (٩٣٩ هـ / ١٥٣٢ م) وهذه المرة أيضاً لم يكتب له النصر .^(٢)

كذلك نلاحظ ، أن النمسا عملت على تحريض أمير البغدان ضد الدولة العثمانية ، ففي عام (٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م) تمرد أميربغدان بتحريض من فرديناند ملك النمسا ، فهزمت الدولة العثمانية وعينت أخاه (اسطفن) وعززت حاميتها في البغدان لمنع حصول أي تمرد ، لذلك عمل فرديناند على الاتفاق مع ملك المجر (زابولي) لاقتسام بغدان لأن ذلك في رأيهم أفضل من تدخل العثمانيين في شئونهم ، كما أن وجود المجر تحت الحماية العثمانية أمر مزعج لكافة الممالك الأوروبية وكانت هذه الخطة من فرديناند ملك النمسا ، تستهدف الإيقاع بملك المجر الذي قبل الحماية العثمانية ولكن تلك الخطة باءت بالفشل ، لأن ملك المجر قضى نحبه ، فلم يكن من

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

السلطان سليمان القانوني ، الا أن دخل المجر وجعلها ولاية عثمانية وحول أكبر كنائسها إلى مسجد جامع ، وفي عام (٩٥٤ هـ / ١٥٤٧ م) عقدت هدنة بين السلطان سليمان القانوني والنمسا لمدة خمس سنوات بشرط : أن يدفع فرديناند ملك النمسا جزية سنوية مقدارها ثلاثون ألف دوكا نظير ما يبقى تحت يده من بلاد المجر ، وأن تبقى بلاد المجر تابعة للدولة العثمانية يحكمها ابن ملك المجر (زابولي) .^(١)

وقد تطورت العلاقات بين الدولة العثمانية والنمسا ، ومن ذلك التطور أنه في أواخر عهد السلطان سليم الثاني وافق على تجديد المصالحة مع النمسا لمدة ثماني سنوات وذلك بعد نقاش طويل ، وقد بعثت نسخة من هذا القرار فور توقيعها إلى الإمبراطور النمساوي بواسطة مترجم الحكومة العثمانية محمود أفندي ، ولكن بعد وفاة السلطان سليم الثاني ، أرسل رسوله إلى المبعوث محمود أفندي لإخباره بوفاة السلطان ، وإلغاء المعاهدة ، وإذا كان الإمبراطور النمساوي يرغب في دوام المعاهدة فعليه أن يرسل سفيراً جديداً إلى إسطنبول ليقدم التهانى للسلطان الجديد بمناسبة جلوسه على العرش ، وعليه أن يوقع المعاهدة من جديد وهذا يستلزم إرسال الهدايا والنقود بواسطة السفير الجديد للسلطان ، وفعلاً حضر السفير النمساوي ومعه الهدايا والنقود لكل الوزراء داخل الحكومة العثمانية .^(٢)

وبهذا يظهر أن الدولة العثمانية عندما كانت في أوج قوتها تمكنت من إحباط جميع المكائد المدبرة من قبل النمسا ، من تحريض الدول

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢) طه زاده ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الرابع ، ص ١١١ - ١١٣ .

الخاضعة لسلطة الدولة على الثورة ، وكان هذا يحتم على الدولة العثمانية مواجهتها والتصدي لها لإحباط ما تقوم به ، مما يدفعها في كثير من الأحيان لطلب الصلح مقابل الأموال التي تدفعها للدولة العثمانية .

هذا وقد دخلت الدولة العثمانية في حروب عديدة وطويلة مع النمسا، ففي عام (١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م) تمكنت القوات النمساوية من احتلال بلغراد ، وهزيمة الدولة العثمانية ، وخروج بلغراد وسقوطها في يد النمسا معناه فتح الطريق لهم لدخول البلقان ، ونتيجة لذلك فقد طلب السلطان سليمان الثاني الصلح ، حيث بعث مندوباً من قبله إلى ملك النمسا يطلب فيه عقد الصلح وكان ذلك عام (١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م) وبدأت المفاوضات التي اشترك فيها أربعة مندوبين من العثمانيين وإثنان من بولونيا، وواحد من فينديك ، وأربعة من النمسا، وعلى الرغم من أن المندوبين اجتمعوا أكثر من أربع عشرة مرة إلا أنهم لم يصلوا إلى نتيجة كما أن النمساويين لم يهتموا بتلك المفاوضات وكانوا يصرون على أن هدفهم هو اسطنبول (١) .

تعتبر المفاوضات التي أشمرت عنها معاهدة (سيثوا) ، نقطة تحول، حيث أنه لم يسبق لحكومة عثمانية أن جلست مع العدو على طاولة المفاوضات ، لأن الدولة العثمانية لم تكن تعترف لتلك الدول باستقلال، وكانت تعتز بانتصاراتها على الأعداء، وكانت تعتبر طلب المفاوضات على أنه التجاء إلى عطف السلطان ، وتعتبر كل ما يقوله سفير العدو رجساً وتضرعاً والتماساً، كما أنها لم تكن تقوم بالتوقيع مع السفير، بل كانت تصدر مرسوماً ملكياً يوضح ذلك ليقدم إلى ملكهم أو يبعث بواسطة عريفه.

(١) Ismail Hakki, Osmanli Tarihi, Part 3, PP, 511 - 513

وكان أعضاء المفاوضات لا يعرفون شيئاً عن مضمون تلك المعاهدات التي حكوماتهم ، وإن نصوص تلك المعاهدات كانت مملوءة بعبارات رديئة فيها أثر الاستعلاء ، مثل (من لطف وإحسان ملك العالم الذي ينتصر باستمرار إلى كفرة أو سترية (النمسا) وألمانية المغلوبين المحتاجين لمغفرت الملك) . وكان ملوك ألمانيا وروما والنمسا المعروفين بفخامتهم وعظمتهم يتقبلون ذلك ، وجرت المعاهدة والمذكرات بينهما مثلما يحدث بين أي دولتين متجاورتين كالمعتاد ، ثم بدأ أعضاء النمسا يعرضون شروطهم على أساس إعادة المواقع التي أُحتلت أثناء الحرب ، وإعادة قلعة قاينجا مع ملحقاتها مع ضمان كل مصاريف الحرب وقطع العلاقات مع أرض أردل ، وقد استمع مراد باشا لكل ذلك ، ثم كتب خطاباً مطولاً وضح فيه (١) أن للدولة العثمانية حقوقاً في تلك المناطق ، وضرب أمثلة كثيرة وطلب المندوبين بوضع مقترحات معقولة . (٢)

إن هذه المعاهدة (سيتوا) اشتهرت تحت اسم سيتواتسورق ، وأخذت مكانتها المهمة لأنها وثيقة رسمية تبين تاريخ توقف العثمانيين وغاراتهم تجاه الغرب ، كذلك فإن أهم نقطة فيها ، أن الحكومة العثمانية اعترفت وقبلت ملك النمسا وإمبراطور الدولة الرومانية المقدسة (ماتياس) في مستوى السلطان العثماني حيث كان للدولة العثمانية قبل ذلك ألفاظاً تدل على عظمة الملك العثماني مثل " ملجأ العالم ومأواه " ، وطبقاً لهذه المعاهدة تعدلت المادة الخاصة بالضريبة ورضيت النمسا أن تدفع مائتي ألف ذهباً مرة واحدة في السنة ، وجاء فيها أيضاً تبادل السفراء ، وتعاطي الهدايا كل ثلاث سنوات ، وأن لا تتدخل النمسا في شئون المجر وأردل ، ومن

(١) طه زاده ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الرابع ، ص ٧٣ .

(٢) Ismail Hakki, Op, Cit., PP, 511 - 512 .

نصوص المعاهدة عدم التعدي على الحدود ، وسيوءدب من لايراعي ذلك ،
 وإن هذه المعاهدة ليست مؤقتة بل عقدت نيابة عن الأحفاد والأولاد وفي^(١)
 حالة الخلاف يحل النزاع بواسطة حكمين أحدهم من الدولة العثمانية
 والآخر من النمسا وأن يستعمل السلطان العثماني لقب (ملك فينسا)
 والسفير الذي يبعث إلى الإمبراطور النمساوي لا يختار من خدم القصر
 أو عريف ، بل لا يقل عن رئيس اللواء ، وإن هذه المعاهدة لم تقض على
 المشاكل نهائياً ، لأن اليسوعيين الذين احتلوا قصر الحكومة في النمسا
 لم يتنازلوا عن إشارة الشعب داخل المجر ، وعن تدبير المؤامرات
 على طول الحدود ، كذلك فساد النمسا أدى إلى قتل ملك المجر ، وفي
 غفلة من الحكومة استطاع سفير النمسا تعيين وريث للعرش وكانت الأمور
 الداخلية في المجر وأردل من الأمور الخاصة بالدولة العثمانية طبقاً
 لاتفاقية (سيوا) ، كما أن هذه المعاهدة لم تأخذ شكلها النهائي^(١)
 لعدم التصديق عليها من المفتي .

لم يقف الأمر عند ذلك ، بل استمرت النمسا في مواقفها
 العدائية من الدولة العثمانية ، ففي القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر
 الميلادي كان موقف النمسا سيئاً بسبب حرب الثلاثين عاماً ، حيث لم تعمل
 على إيقاف الحرب ، بل أخذت تبحث عن يساعدها في تصعيدها ، فلجأت إلى
 أسبانيا وبولونيا وعدداً من الدول الأوروبية ، وعلى الرغم من عدم تدخل
 فرنسا إلا أن أوروبا لم تتورع عن تقديم المساعدة لها ، حيث أمدتها البابا
 بالنقود ، وأشار الدول الكاثوليكية ضد الدولة العثمانية ، وكانت تصلها
 الإمدادات من الدول الأوروبية المختلفة . وكانت أكبر المساعدات التي^(٢)
 قدمت للنمسا من بولونيا المجاورة لها وبتشجيع من البابا عقدت

(١) طه زاده ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الرابع ، ص ٣٨١ - ٣٨٢ .
 (٢) Ismail Hakki, Op, Cit., Part 3, PP., 438-445.

اتفاقية عام (١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ م) بين النمسا وبولونيا تعهدت الأخيرة بموجبها بإعطاء النمسا أربعين ألف جندي محارب على رأسهم ملك بولونيا ، عند ذلك استدعى مصطفى باشا أمير الجيش الإنكشاري ، استدعى السفير النمساوي بأدرنة وتحدث معه عن ضرورة إرجاع القلعة التي احتلتها النمسا حتى يتجدد الصلح ، ولكن السفير رفض ذلك ، فاستعبد الجيش العثماني للخروج في عام (١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ م) وبلغ عدد الجيش خمسمائة ألف مقاتل ، ورأى الوزير الأعظم والقائد الأعلى للجيش أن يبدأ بفتح فيينا عاصمة النمسا ، قبل الاستيلاء على قلعة (ماموران ديانق) وتحرك الجيش من بلغراد ووصل أمام قلعة ماموران ، ومن هناك عبر النهر ولم يستطع جيش الأعداء منعه ، وكان تقدم الجيش نحو فيينا بدلاً من الأراضي المجرية مفاجأة لملك النمسا ، وقد تعجب السلطان من اتجاه الجيش نحو فيينا ، ولكنه سكت لأنه لا مجال للمناقشة ، وقد كان هناك اضطراب في ألمانيا وروما وبولونيا ، مما دعاهم للاتفاق ضد الدولة العثمانية ، وقد حاول البابا إقناع فرنسا للدخول معهم ، وخاصة أن لفرنسا مصالح تجارية في الشرق ، وعلى الرغم من موقع فيينا على الضفة اليمنى لنهر الطونة وإحاطتها بسور محكم من جميع جهاتها ، إلا أن الجيش العثماني تمكن من احتلال ما حول القلعة ولم يبق إلا قلعة فيينا ، ولكن مدة الحصار طالت ، وبدأ التحرك الأوربي من بولونيا وألمانيا في جيش بلغ مائة ألف ، ألتف حول الجيش العثماني ، وتمكن من إلحاق الهزيمة بالعثمانيين فولوا هاربين تاركين كثيراً من الذخيرة ، وبعد هزيمة الدولة العثمانية في وسط أوروبا في هذه الفترة ، لم يبق العثمانيون بغزو فيينا وبدأ العد التنازلي ، وبعد أن كان الأوربيون في موقف الدفاع بدأ الأوربيون يهاجمون أقاليم الدولة العثمانية بين فترة وأخرى .^(١)

Ibid, Part 3, P, 449, 452, 455.

كما أن عبء الدفاع عن أوروبا وقع على كاهل أسرة هابسبورج الكاثوليكية ، وأن دور النمسا الخطير في التاريخ الأوروبي هو أحـسـد المبررات الرئيسية لوجود الإمبراطورية النمساوية قروناً عديدة وراء الحدود الجنوبية الشرقية لأوروبا تدافع عن الحضارة اللاتينية والألمانية ضد الإسلام .^(١)

مما تقدم نلاحظ أن سياسة العداء النمساوي ضد الدولة العثمانية ، ليست فريدة بل أن جميع دول أوروبا ناصبت الدولة العثمانية العداء من منطلق أنها دولة إسلامية ، تعمل على نشر الإسلام وتفتح باسمه ، في شرق أوروبا وجنوبها ، ونلاحظ أن النمسا على الرغم من أنها من دول وسط أوروبا وبعيدة عن مركز الدولة العثمانية ، إلا أن هذا لم يمنعها من التحالف مع الدول الأوروبية ، والإشتراك في الاتفاقيات ضد الدولة ، ومحاولة إثارة الفتن والإضطرابات في المناطق الخاضعة لسيطرة الدولة العلية ، وبخاصة وأن الجيوش الإسلامية طرقت أبواب فينا عاصمتها عدة مرات فكان موقفها موقف الدفاع عن كيانها كدولة مستقلة حتى لا تفقد استقلالها ، لذلك لم تترك فرصة إلا واستغلتها للنيل من الدولة العثمانية ، إما بالتحالف مع دول الغرب الأوروبية ، أو بتحريض دول البلقان على الثورة ضد الدولة العثمانية ، وإمدادهم بالسلاح والعتاد ، كل ذلك لإبعاد الدولة العثمانية وتقدم جند الإسلام نحو أراضيها .

وظهر كذلك أن أهم طريقة استطاعت أن تنجح بها للوقوف

(١) هربرت فيشر ، أصول التاريخ الأوروبي ، ص ٢٧٥ .

أمام تقدم الدولة العثمانية ، هي إشارة الفتن والإضطرابات الداخلية ،
 في المناطق الواقعة على حدود الدولة العثمانية ، وهي بذلك قد جعلت
 بينها وبين الدولة العثمانية حاجزاً مكانياً ، تتحقق فيه الإضطرابات
 التي من شأنها مساعدة النمسا على أن تكون بعيدة بقدر الإمكان عن
 الإحتكاك المباشر مع الدولة العثمانية ، ذلك الإحتكاك الذي قصد
 يتسبب في أن تصبح كبقية دول البلقان تابعة للدولة العثمانية .

أما بالنسبة لفرنسا فلم تكن تربطها بالدولة العثمانية حدود مباشرة وعلى الرغم من ذلك فقد تناولت فرنسا العلاقات مع الدولة العثمانية سلباً وإيجاباً ، وهي بذلك كالدول الأوروبية تنظر إلى تحقيق مستعمرات لها في أملاك الدولة العثمانية ، وبخاصة في الشمال الأفريقي أقرب المناطق إليها .

والعلاقات العثمانية الفرنسية قديمة ، بدأت منذ عهد السلطان سليمان القانوني، حيث كان هناك إتصالات بين ملك فرنسا والسلطان سليمان القانوني عام (٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م) ومن هذا التاريخ بدأت الإتصالات الفرنسية العثمانية ، وفي تلك الفترة كان شارل الخامس ملك النمسا هو ملكاً لاسبانيا والأراضي المنخفضة وإمبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، وحاكماً للجزء الأكبر من إيطاليا الجنوبية ، وكانت جنوا ، وفلورانس ، تابعتين له ، وجمهورية البندقية ، طوع أمره ، ووهران بالجزائر تابعة لسلطانه ، وكذلك جزيرة مينورقة - إحدى جزر البليار شرق أسبانيا - ، وجزيرة صقلية من أملاكه .^(١)

كل ذلك دعى بفرنسوا الأول ملك فرنسا للتحالف مع الدولة العثمانية ضد شارل الخامس حتى تحاربه الدولة العثمانية من جهة المجر والنمسا، فيشغل عن جيوش فرنسا من جهة الغرب، فيتمكن بذلك ملك فرنسا من الأخذ بتأثير واقعة بافيا المشهورة عام (٩٣٠ هـ / ١٥٢٥ م)^(٢) بايطاليا جنوب ميلانو - والتي أخذ فيها ملك فرنسا أسيراً .

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٠٨ ؛ بسام العسلي ، القانوني القائد ، ص ٥٩ .

(٢) خير الله أفندي ، تاريخي ، المجلد التاسع ، ص ١٩ .

ويظهر من سعي فرنسا لدى الدولة العثمانية أنها - أي الدولة العثمانية - أصبحت في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي عنصراً هاماً لحفظ التوازن في أوربا على الصعيد السياسي .
(١)

ففي عهد السلطان سليم الأول (٩١٨ - ٩٢٦ هـ / ١٥١٢ - ١٥٢٠ م) تمكن العثمانيون من ضم البلاد العربية والأماكن المقدسة ، وشهد حكم السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ - ٩٧٢ هـ / ١٥٢٠ - ١٥٦٦ م) توسعاً كبيراً وهاماً ، حيث اتجه بفتوحاته نحو أوربا فاستولى على بلغراد بوابة أوربا الوسطى ، وجزيرة رودس مفتاح شرق البحر المتوسط .
(٢)

وفي تلك الفترة كانت أوربا تعاني انقساماً سياسياً ، فهناك الحروب بين شارل الخامس وملك فرنسا .
(٣) لذلك فإن من مصلحة فرنسوا ملك فرنسا التحالف مع الدولة العثمانية ضد شارل الخامس وأعماله التوسعية .

وقد وصل أول سفير فرنسي إلى إسطنبول عام (٩٧٧ هـ / ١٥٢٥ م) واسمه (موجان مرتجيان) ومعه خطاب من ملك فرنسا إلى السلطان يطلب فيه مهاجمة المجر ، حليف شارل الخامس وقد قابل السلطان السفير الفرنسي في (٦ ديسمبر ١٥٢٥ م) باحتفال زائد وأجزل له العطايا .
(٤)

هذا وقد عقد فرنسوا الأول فرنسا معاهدة مع السلطان سليمان القانوني عام (٩٤١ هـ / ١٥٣٥ م) وكانت تلك المعاهدة ذات شقين حربي ،

(١) Roger. B. M, Suleiman The Magnificent , PP, 50, 54

Ibid. PP, 70 - 78. (٢)

Wlkinson Burke. Francis in all Hisglory, P, 204. (٣)

(٤) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٢٠٩ .

واقصادي ، أما من الناحية الحربية فكانت معاهدة دفاعية هجومية ،
أما من الناحية الاقتصادية ، فقد منح السلطان سليمان القانوني بمقتضاها
دولة فرنسا بعض الإمتيازات في بلاده ، ولم تكن هذه هي أول المعاهدات
الإمتيازية ، فقد منح سلاطين المماليك الأوربيين في مصر معاهدات
(١)
وامتيازات تجارية للبندقية وغيرها من دول أوروبا .

وقد أشار الدكتور يوسف الشقفي إلى هذه المعاهدة في كتابه
" دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور " ، بقوله
إن هذه المعاهدة أعطت حق الاستفادة منها لملك إنجلترا والبابا وغيرهما .
ممن له الرغبة في ذلك شريطة نصديقها من السلطان العثماني ، وبذلك
حصل رعايا الدولة الفرنسية على امتيازات كانت أول شرارة تندلع
(٢)
داخل الدولة العثمانية ، ظهرت أثارها البعيدة فيما بعد .

بدأت فرنسا بعد هذه الإتفاقية في تخصيص السفن التجارية لنقل
البضائع والأقمشة والمصنوعات المعدنية من الدول الأوربية كألمانيا
إلى الدولة العثمانية ، وتبادل التجارة مع بلدان الشرق الأدنى فـي
الصوف والقطن والحرير والبهارات ، وقد أصبح للفرنسيين في القرن الحادي
عشر الهجري السابع عشر الميلادي مجاًلاً كبيراً في التجارة مع بلدان الشرق
الأدنى وكان لفرنسا حوالي ألف سفينة تجارية ، كما كانت الدول الأوربية
الأخرى مثل بريطانيا وهولندا تتاجر تحت العلم الفرنسي ، طبقاً للمعاهدة
(٣)
المبرمة بين الطرفين .

(١) محمود محمد زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٦٠ - ٥٦١ .

(٢) يوسف علي الشقفي ، دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب
على مر العصور ، ص ١٠٧ .

(٣) Halil Inalick , Op, Cit., P, 137.

وبالنظر إلى بنود تلك المعاهدة المتفق عليها بين كل من فرنسا والدولة العثمانية، نلاحظ بأن هذه البنود أتاحت الكثير من الإمتيازات للفرنسيين داخل أراضي الدولة العثمانية، من حيث حرية التجارة في جميع الأقطار العثمانية مع الحفاظ على الحقوق الفرنسية داخل الإطـار
(١)
العثماني .

كما أعطت هذه الإمتيازات للدولة الفرنسية الحق في فرض حمايتها على الرعايا الأوروبيين، وحماية الأقليات الدينية داخل الدولة العثمانية . كما أن هؤلاء الفرنسيين قاموا بإنشاء المدارس والمعاهد والكنائس، ومارسوا حماية علي تلك الرعية المسيحية، وعلى النقيض من ذلك فإن التجار العثمانيين لم تكن لهم مثل تلك الإمتيازات في فرنسا، ولا يحق لهم ممارسة شعائرهم الدينية على نمط مساو للفرنسيين المقيمين في الدولة العثمانية .
(٢)
(٣)

وقد حققت الدولة العثمانية نصراً سياسياً حين استغلت الإنشقاق الديني في أوروبا لتحقيق نصراً على شارل الخامس، ولم يكن ذلك النصر لصالح الدولة العثمانية، بل لصالح فرنسا .
(٤)

ومن الآثار السلبية لهذه الإتفاقية كما أشار الدكتور يوسف الثقفي أنها أتاحت الفرصة للفرنسيين للتعرف على طبيعة البلاد العربية

Halil Inalick, Op, Cit., P, 224. (١)

رأفت الشيخ، تاريخ العرب الحديث، ص ٣٩٩ يوسف الثقفي، دراسات متميزة، ص ١٠٧ . (٢)

Steplenit. Fischer, Galoli. Ottoman Imperialism and German, P, 117. (٣)

Ibid. P, 117. (٤)

(١)

الإسلامية من حيث إمكانياتها وأماكن القوة والضعف بها .-

كل ما سبق مهد للاستعمار الفرنسي للبلاد العربية الخاضعة للدولة العثمانية ، أبان ضعف الدولة ، والدليل على ذلك ما قامت به فرنسا في القرون الحديثة من تحقيق أحلامها الإستعمارية ، فبسطت نفوذها على الأقاليم التابعة للدولة العثمانية واستعمرتها ، وبخاصة في الشمال الإفريقي ، فسيطرت بادية ذي بدء على مصر بواسطة الحملة المعروفة - حملة نابليون - عام (١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م) هذه الحملة التي ساقتها فرنسا ، منافسة لبريطانيا على المصالح الاقتصادية في الشرق الأوسط ، مما جعل بريطانيا - خوفاً على الطريق التجاري إلى الهند عبر البحر المتوسط - تعمل على عرقلة المشاريع الفرنسية ، وإخفاق فرنسا في تحقيق مناطق نفوذ في أملاك الدولة العثمانية مقارنة بها .^(٢)
^(٣)
^(٤)

وعلى الرغم من أن الاحتلال الفرنسي لمصر كان قصيراً وغير ناجح ، فقد كان حادثة هامة ومشحونة بنتائج كثيرة بالنسبة لمصر ، فقد مهد هذا الإستعمار الطريق لحدوث تغييرات بدلت شكل مصر في خلال القرن الثالث عشر الهجري ، التاسع عشر الميلادي فقد أثر العلماء الذين قدموا إلى مصر مع الحملة الفرنسية في الحياة الثقافية المصرية ، وقد دأب هؤلاء العلماء الذين قدموا إلى مصر إلى دراستها من جميع الجوانب

(١) يوسف الثقفي ، دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور ، ص ١١١ .

(٢) عبدالعزيز نوار ، تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق ، ص ٧٩ .

(٣) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ١٥ .

(٤) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٧٢ - ٢٣٥ .

(١)
فدرسوا التربة والمناخ والمنتجات الزراعية والمعدنية ، وكان يقابل
هؤلاء العلماء في مصر المشايخ وعلماء الشريعة، وقد حاول الفرنسيون
استمالتهم وإطلاعهم على ماحوته أبنية المجمع العلمي المصري الذي أسسه
نابليون ، ولكنهم رفضوا ذلك لإيمانهم بأن الثقافة الأوروبية قد جاءت
مع جيش غاز كافر ، كذلك عمل الفرنسيون على فرنسة التعليم، وكان
الغرض الحقيقي للثقافة الفرنسية في مصر يمكن إرجاعه إلى عصر محمد علي
إذ دخلت أفكار فرنسية كثيرة إلى مصر في خلال حكمه على أيدي رجال
أمثال (دروفتي) قنصل فرنسا في مصر و (منجان) والضيابط
الفرنسيين الذين بقوا في مصر بعد انسحاب فرنسا ، كما أتت المؤثرات
الفرنسية إلى مصر في عصر محمد علي مع البعثات التعليمية إلى فرنسا،
التي كان يشرف عليها (جومار) أحد علماء الجامعة الفرنسية . (٢)

واصلت فرنسا مواقفها العدائية من الدولة العثمانية حيث
اتفقت الدول الأوروبية الإستعمارية فرنسا وبريطانيا وروسيا ضد الدولة
العثمانية ، وتذرت فرنسا بشتى الذرائع لاحتلال الجزائر، ولم تمنع
بريطانية ممانعة جادة، ففي عام (١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م) نزل سبعة وثلاثون
ألف مقاتل فرنسي على ساحل خليج سيدي فرج (الذي يبعد ثلاثة وعشرين
كيلو متر غربي الجزائر) وكانت المقاومة عنيفة حيث فقد الفرنسيون
أربعمائة شخص ، بينما استشهد عشرة آلاف من العثمانيين ، ووقعت بعد
ذلك وثيقة الإستسلام ودخل الفرنسيون مدينة الجزائر عام ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م . (٣)

-
- (١) عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ص ٢٢٠ .
 - (٢) محمد فؤاد شكرى ، مصرفي مطلع القرن التاسع عشر، ١٨٠١-١٨١١ م، ج ٢، ص ١٢٦ .
 - (٣) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، ١٥١٦-١٩٢٢ م، ص ٢٣٤، ٢٣٧ .
 - (٤) ل . ج . شيني ، تاريخ العالم الغربي ، ص ٢٨٧ .
 - (٥) آمال السبكي ، أوروبا في القرن التاسع عشر فرنسا في مائة عام، ص ٢٠٣ .

فنهبوا خزينة البلاد التي تحتوي على ثمانية وأربعين مليون فسرناك ،
ثم تلى ذلك في عام (١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م) إعلان لويس فيليب ملك فرنسا
(١) ضم الجزائر رسمياً لفرنسا.

ومنذ ذلك الوقت وحركات المقاومة مستمرة بقيادة الأمير
عبدالقادر الجزائري، ومن تبعه من قادة الجهاد وقامت الكثير من
الثورات لنيل الإستقلال مثل ثورة لالا فاطمة عام (١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩ م)، وثورة
المقراني عام (١٢٨٩ / ١٨٧٢ م) إلى أن نالت البلاد استقلالها.
(٢)

يعد الإستعمار الفرنسي للجزائر أشد وطأة وقوة ، فقد كان
التخريب الثقافي الذي أحدثه في الجزائر لتحقيق الفرنسة ، أو الإدماج أشد
خطراً وأكبر هولاً ، فقد كانت فرنسا تعتبر الجزائر جزءاً منها ، وتريد
أن تفرض على المجتمع الجزائري عاداتها وتقاليدها ولغتها ، فـ
استخدمت اللغة الفرنسية أداة للقضاء على الشخصية الجزائرية ، وتربية
موظفين يكونون خدماً للإستعمار .
(٣)

لذلك فقد ناضل الأبطال أمثال الأمير عبدالقادر الجزائري
والمقراني إلى أن تحررت البلاد ، وقد ظل الجزائري محارباً للفرنسيين ستة
(٤) عشر عاماً .

-
- (١) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .
 - (٢) محمود شاكر ، العالم الإسلامي ، ص ١٦٣ ؛ مصطفى حلمي ، الأسرار
الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية ، ص ٦١ .
 - (٣) شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، ج ٣ ، ص ٢٤٢ .
 - (٤) عبدالله عبدالجبار ، الغزو الفكري في العالم العربي ، ص ١٦ - ٢٠ .

واصلت فرنسا سطوها على البلاد العربية ، فبعد مؤتمر برلين (١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م) ادعت وجود استفزازات على حدود تونس الجزائر ودخلت تونس بحجة حماية الأمن بقوة قوامها ثلاثون ألف جندي ، ثم عززت قواتها شيئاً فشيئاً واتجهت نحو العاصمة وحاصرت قصر الباي، وأجبرته على توقيع معاهدة ، وافق بموجبها على الإحتلال بدعوى حفظ الأمن والاستقرار ، واعترفت جميع الدول النصرانية بذلك الإحتلال ، أما الدولة العثمانية فقد أعلنت احتجاجها وفكر الباب العالي بإرسال السفن الحربية إلى هناك لاسيما بعد أن أعطت فرنسا لألمانيا حرية الحركة في تونس، وهددت بالحرب ، فأبدى الباب العالي رغبته بالحل السلمي عن طريق المفاوضات .^(٢)

وبذلك ضاع جزء آخر من أملاك الدولة العثمانية وصار فريسة للدول الاستعمارية وأطماعها التوسعية في البلاد الإسلامية .

وافقت بريطانيا على إعطاء حرية التصرف لفرنسا في مراكش في اتفاقية لانزون كامبون المشهورة (عام ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٣ م) ووجد الحلفاء أن الوقت قد حان لحل المسألة الشرقية حلاً نهائياً وذلك باتفاقهم على تجزئة الدولة العثمانية ، وقد اختمرت فكرة التقسيم ، عندما توصلت كل من بريطانيا وفرنسا إلى عقد اتفاقية سرية مع روسيا في (١٣٣٥ هـ / ١٩١٦ م) تدعن بموجبها بريطانيا وفرنسا إلى مطالب روسيا . وفي حالة إنتصار الحلفاء فإن إسطنبول والمضايق تضاف إلى ممتلكات روسيا على أن تعترف روسيا بحقوق بريطانيا وفرنسا في الممتلكات العثمانية

(١) محمود شاكر ، العالم الإسلامي ، ص ١٦٣ .

(٢) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٥٥٩ - ٥٦٠ .

(٣) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٤٤٦ .

الآسيوية ، ووافقت أيضاً على أن تكون الأماكن المقدسة الإسلامية والجزيرة العربية تابعة لبريطانية ^(١) ، ولكن ذلك لم يحصل حيث لم تدخل هذه المناطق تحت أي نفوذ .

لم تحدد بريطانيا ما كانت ترغب في الحصول عليه من ممتلكات الدولة العثمانية ، بينما طالبت فرنسا بضم سورية وخليج الإسكندرونة ، فوافق القيصر على ذلك ، ولكنه تحفظ بشأن فلسطين حيث أعلن (سازانوف) وزير الخارجية الروسية أنها لا تترك مناطق القدس والجليل والأردن وطبرية تحت حماية دولة غير أرثوذكسية ، وقد تبادلت الحكومات الثلاث إحدى عشر مذكرة تضمنت القواعد التي تم الاتفاق عليها وتضمنت معاهدة (سان بطرس برج) في مارس (١٣٣٥ هـ / ١٩١٦ م) تصفية الدولة العثمانية واقتسام أملاكها بين الحلفاء الثلاث وتأسيس مناطق نفوذ بريطانية فرنسية ، في البلاد العربية الآسيوية على النحو التالي :

* تتعهد بريطانيا وفرنسا وروسيا أن تعمل يداً واحدة من أجل إنقاذ البلاد العربية وحمايتها ، وتألّف حكومة إسلامية مستقلة تتولّى بريطانيا مراقبتها والإشراف عليها وإدارتها .

* التّعهد من الدول المتعاقدة بحماية الحج وتسهيله .

* تقسيم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ بين الدول المتعاقدة حيث تضم بريطانيا العراق والمناطق العربية التي تشغل الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، والساحل الغربي للخليج الفارسي من البصرة شمالاً إلى الكويت والبحرين وقطر ومسقط وعمان وحزموت والمحميات حتى حدود عدن ونهاية

(١) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٤٦١ - ٤٦٢ .

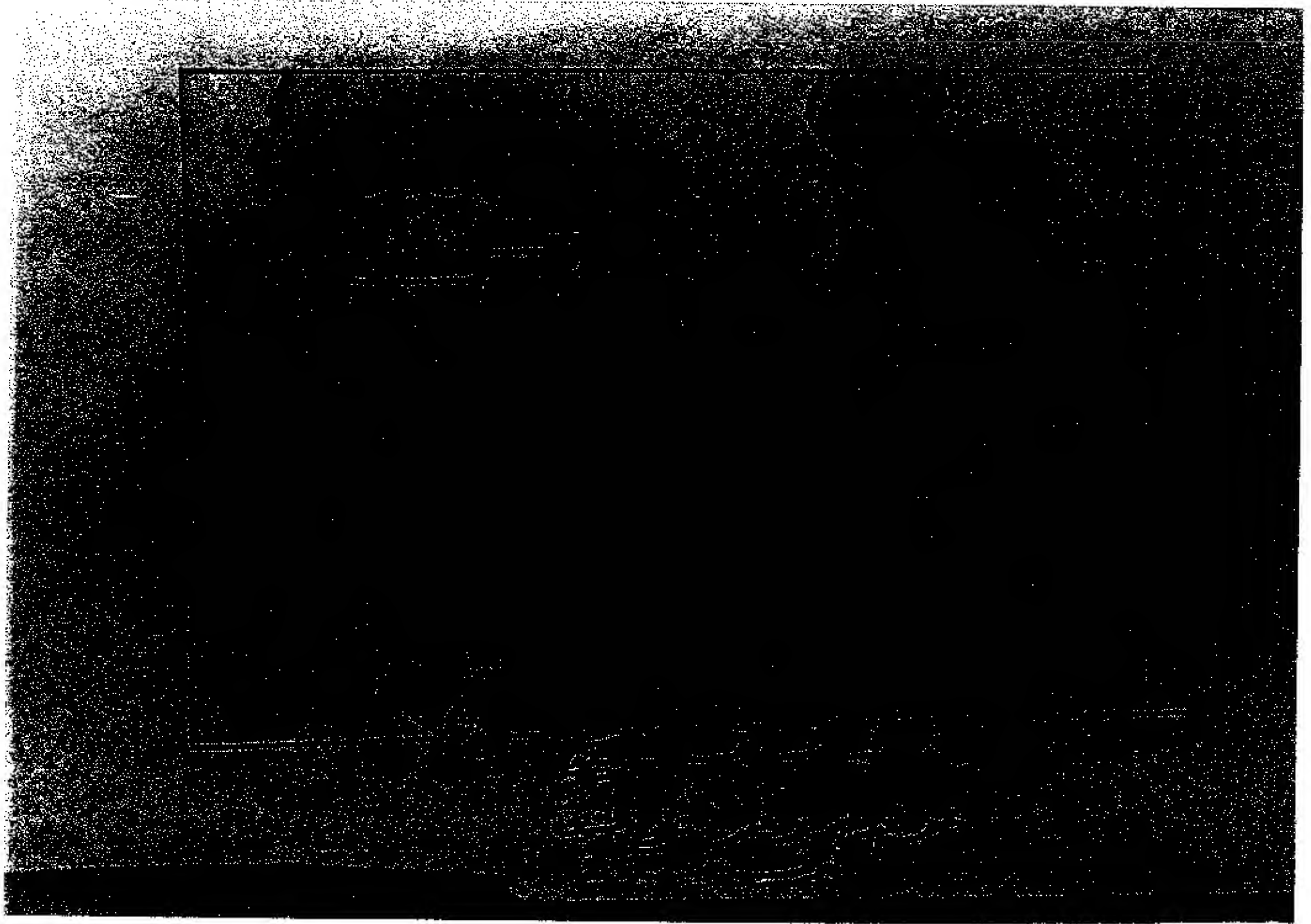
البحر الأحمر من الجنوب بالإضافة إلى مصر التي احتلتها عام (١٣٠٠ هـ /
(١)
١٨٨٢ م) •

أما فرنسا فقد اختتمت بالمناطق التالية من الشرق العربي وهي:
* المناطق المتفق على تقسيمها وتوزيعها بقية الساحل السوري على
البحر المتوسط من الناقورة جنوباً إلى صيدا فطرابلس في بيروت واللاذقية
فالإسكندرونة حتى الحدود التركية شمالاً ، وحتى الحدود العراقية شرقاً ،
وبذلك تكون فرنسا قد خرجت بفنائم وأسلاب كبرى شملت لبنان ، والقسم
الأكبر من سورية وكانت الموصل تعد جزءاً من سورية لذلك كانت في هذه
الاتفاقية من نصيب فرنسا ، كما أنه توّلف منطقة عربية من منطقتي
نفوذ فرنسا وبريطانيا ، وتكون مستقلة في شكل اتحاد من دول عربية
وفقاً لاتفاق خاص بين فرنسا وبريطانيا ، وأخرجت فلسطين من نطاق الدول
العربية وطلبت وضع هذه المنطقة تحت إدارة خاصة ، وفقاً لاتفاقية
عقدت بين روسيا وفرنسا وبريطانيا ، وقد خصصت لفرنسا منطقة لونس
باللون الأزرق ، تشمل الشريط الساحلي لسورية بما في ذلك لبنان ، ثم
جنوب الأناضول بما في ذلك (أضة) و (مرسن) (والإسكندرونة)
وأعطيت لفرنسا حقوق إنشاء إدارة أو مراقبة سواء بطريق مباشر أو غير
مباشر وذلك حسبما يتراءى لفرنسا ، وقد أشيرت إلى منطقة فرنسا بحرف
(أ) على الخريطة وتشمل شمالي العراق بما في ذلك الموصل ثم مدن دمشق
وحمص وحلب وفرنسا في هذه المنطقة (أ) حق الأولوية في المشروعات
والقروض المحلية وتقديم المستشارين والموظفين الأجانب عند طلب الحكومة
العربية ، أو اتحاد الدول العربية المستقلة . (أنظر الخريطة ص ١٢٠) •

(١) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٤٦٣ •

(٢) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٥١٩ - ٥٢٠ •

(٣) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٤٦٦ - ٤٦٧ •



أما بالنسبة لبريطانية فأعطيت منطقة لونت باللون الأحمر، واشتملت على أراضى ما بين النهرين بما في ذلك البصرة على الخليج العربي ثم بغداد ، كما حصلت على ميناءي حيفا ويافا في فلسطين ، وأنشأت إدارة مراقبة بنفس وسيلة فرنسا في منطقة نفوذها الزرقاء ، وإلى جانب المنطقة الحمراء ، منحت بريطانيا منطقة أخرى أشير إليها بالحرف (ب) محصورة بين خط طبرية أبو كمال - كركوك في الشمال وبين حدود المنطقة الحمراء في الشرق والجنوب الشرقي والجزيرة العربية في الجنوب ، وكان لبريطانيا في المنطقة (ب) نفس حقوق فرنسا في المنطقة (أ) .^(١)

كما نص الاتفاق على أن تكون المنطقتان (أ) ، (ب) الواقعتان بين المناطق الفرنسية والإنجليزية اتحاداً من الدول العربية أو الدولة العربية المستقلة تحت رئاسة رئيس عربي ، على أن تقسم إلى منطقة نفوذ فرنسية وإنجليزية وتشمل منطقة النفوذ الفرنسي المنطقة الداخلية إلى الحدود الإيرانية ، وأن تكون للدولة صاحبة النفوذ (بريطانيا أو فرنسا) الأفضلية في المسائل الاقتصادية وتقديم الموظفين والمستشارين الأجانب ، ونص الاتفاق أيضاً على إنشاء إدارة دولية في فلسطين لا يتقرر شكلها النهائي إلا بعد استشارة روسيا وشريف مكة . كذلك تضمنت الاتفاقية أن يكون ميناء الإسكندرية حراً لتجارة الإمبراطورية البريطانية .^(٢)

واصل المستعمرون الفرنسيون السيطرة على أملاك الدولة العثمانية فاتجهت فرنسا لاحتلال سوريا ولبنان ، لاستكمال خطتها الاستعمارية ضد

(١) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٤٦٥ - ٤٦٧ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٤٦٦ - ٤٦٧ .

(٣) أحمد عسة ، معجزة فوق الرمال ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

الدولة العثمانية لم يكن استعمار فرنسا لسورية ولبنان بضمـراوة استعمارها للجزائر فقد وجدت فرنسا فيهما (سورية ولبنان) شعباً لاتنج فيه الأساليب التعليمية السقيمة ، أو الإجرامية التي سـارت عليها فرنسا في مستعمراتها ومحمياتها ووجدت أنه من العبث التفكير في وقف تيار التعليم ، ومحاربة اللغة العربية لفرط انتشارها في المدارس الحكومية والخصوصية لما تحدثه في محاربتها من تأثير سيء في سياسة فرنسا العامة ، وفي الشعب السوري واللبناني ، لذلك لسم تتعرض للغة والتدريس ، كما لم تتعرض للمجمع العلمي العربي الذي تأسس (١٣٣٨ هـ / ١٩١٩ م) ولكنها فرضت سياسة تعليمية تقوم على أساسين هما : فرض أساليب المناهج الفرنسية في التدريس ، وفرض اللغة الفرنسية على جميع مدارس القطرين ، وقد تضاعف عدد المدارس الفرنسية في أنحاء سورية ولبنان وكلها تدرس العلوم باللغة الفرنسية ، وقد حاربت اللغة العربية بشتى الوسائل وعملت على نشر اللغة الفرنسية .

(١) عبدالله عبدالجبار ، الغزو الفكري في العالم العربي ، ص ٢٣ - ٣٢ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٣) الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة ، ص ٢٤٩ - ٢٥١ .

أما بريطانيا فان موقفها من الدولة العثمانية جاء متأخراً
بعض الشيء بالنسبة للمواقف الأوروبية الأخرى .

كانت علاقة بريطانيا بالدولة العثمانية - قبل بداية القرن
الثاني عشر الهجري / أواخر السابع عشر الميلادي ، وحتى منتصف القرن
الثامن عشر - تجارية فقط .^(١)

وأثناء الحرب العثمانية الروسية (١١٨٢ - ١١٨٨ هـ / ١٧٦٨ -
١٧٧٤ م) لم تكن المضائق وشرق البحر المتوسط لها أية قيمة لديها
حتى أنه أمكن لأسطول روسيا أن يحتل جزر اليونان والمورة بارشاد
وموافقة من بريطانيا .^(٢)

وقد أدركت بريطانيا أهمية الإمبراطورية التي أسستها في
شرق البحر المتوسط في أواخر القرن الثاني عشر الهجري / بداية الثامن
عشر الميلادي لذلك رأت أن القيام بالمحافظة على الطرق الموءدية إلى تلك
الإمبراطورية أصبح هدفاً رئيسياً لسياستها ، وإن أقصر الطرق مابين
أوروبا والهند ، - حيث المستعمرات البريطانية - كان يمر بالبحر المتوسط
فهذا الطريق لم تكن له قيمة إقتصادية فحسب بل وقيمة سياسة لدى
بريطانيا ، مما جعل المحافظة على هذا الطريق من الأمور الهامة بالنسبة
لها .^(٣)
^(٤)

(١) Enver Ziya, Osmanli Tarihi, Part 5, P, 207 .

(٢) Ibid. Part 5, P, 207 .

(٣) ساطع الحصري ، يوم ميسلون ، ص ٤٣ .

(٤) عبدالعزيز رفاعي ، قضية الجلاء عن مصر بين سنتي ١٨٨٢ - ١٩٠٧ م ،

لقد قامت بريطانيا واحتلت جبل طارق عام (١١٢٥ هـ / ١٧١٣ م) حتى لاتنفرد روسيا بالسيطرة على تجارة البحر المتوسط مع فرنسا ، حيث كان من أهداف نابليون بونابرت ضرب بريطانيا في سياستها الإستعمارية فسارعت بريطانيا بالإتفاق مع روسيا والدولة العثمانية لإخراج فرنسا من مصر بعد عدة إتفاقيات .^(١)

لقد كانت بريطانيا تدرك أن تحقيق أطماعها في الدولة العثمانية قد لايتحقق إذ لم تقم بالدور الفعال ضد السياسة الفرنسية في المنطقة ، ففرنسا استغلت إنشغال الدولة العثمانية في حروبها مع النمسا وروسيا وحالة الضعف التي انتابتها نتيجة الحروب والمشاكل الداخلية ، كما أغراها الموقع الإستراتيجي لمصر ووجود طريق الهند الذي كانت تسلكه التجارة البريطانية من الإسكندرية إلى السويس عبر الصحراء ، فوقفت ضد بريطانيا في تلك المنطقة نظراً لموقفها من الثورة الفرنسية في تلك الفترة ، بالإضافة إلى الحرب بين الدولتين التي خرجت منها فرنسا وقد فقدت معظم مستعمراتها في الهند وكندا ، فأرادت فرنسا تعويض تلك الخسارة على حساب بريطانيا التي أجبرتها على ترك مواقعها ، وظننت أن باحتلالها لمصر تنتقم من بريطانيا وتجبرها على الرضوخ لمطالبها .^(٢)

بناءً على ذلك صدرت الأوامر لنابليون بونابرت في (١٤ ذو الحجة ١٢١٣ هـ / ١٩ مايو ١٧٩٨ م) باحتلال مصر بدون إعلان الحرب ، ويكون

-
- (١) محمود شاكر ، العالم الإسلامي ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .
 (٢) عبدالعزيز الرفاعي ، قصة الجلاء عن مصر ، ص ٧ .
 (٣) علي حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١٨ - ١١٩ .

ذلك سراً وخفية عن أعين بريطانيا فجهز نابليون جيشاً قوامه ستّة وثلاثون ألف محارب مدرب ، وعشرة آلاف بحار ، وبصحبتة ثلاثون سفينة حربية ، ومراكب وسفن صغيرة أخرى ، ومائة وإثنان وعشرون عالماً من مختلف التخصصات ، وتحرك الجيش من فرنسا وتمكن من إحتلال مالطه ، وسار بعد ذلك إلى الإسكندرية وأنزل الجند بالقرب منها ، ولم يلبث أن احتلها وقد ترك نابليون بها قائده كليبر ، واتجه هو إلى القاهرة عن طريق الصحراء ، بعد تغلبه على المقاومة ، وتمكن من دخول القاهرة (١)

(في ١٧ صفر عام ١٢١٣ هـ / ٢١ يوليو عام ١٧٩٨ م) • (٢)

وحينما علم العثمانيون باحتلال مصر أخذوا يعدون العدة لمحاربة الفرنسيين ، لاسيما وأن الدولة العثمانية كانت مستقرة وهادئة البال من جانب النمسا وروسيا ، حيث كانتا منشغلتين بمحاربة فرنسا ، خوفاً من تسرب مبادئها الحرة إلى بلادهما ، أدركت بريطانيا كل هذه الأعمال الفرنسية وأحست بأن سياستها يجب أن تتخذ المسار الذي بواسطته قد تحقق أهدافها ، فقامت بعرض مساعدتها للدولة العثمانية بهدف إخراج الفرنسيين من مصر • (٣)

(٤)

وفي حقيقة الأمر كانت بريطانيا تهدف من ذلك حماية طريق الهند من أن يكون في قبضة دولة قوية تتحكم فيه وفي ذلك خطر عليهما ، فقبلت الدولة العثمانية المساعدة البريطانية بكل ارتياح • (٥)

(١) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ١٥ •

(٢) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٣٧٤ •

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٣٧٥ •

(٤) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ١٥ •

(٥) عبدالعزيز نوار ، تاريخ العرب المعاصر ، ص ٧٩ •

هذا وقد عرضت روسيا إمداد الدولة العثمانية بمراكب بحرية فوافقت الدولة العثمانية ، وأعلنت الحرب رسمياً على فرنسا، فـ في الحادي والعشرين من ربيع الأول عام (١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م) وأخذت في جميع الجيوش بمدينة دمشق ، وجزيرة رودس ، لإرسالها إلى مصر ووصلت البحرية الروسية من البحر الأسود إلى بوغاز إسطنبول ، وخرجت إلى البحر المتوسط مع السفن العثمانية .^(١)

وعندما علم بونابرت بذلك الإستعداد ، وجد أن الحرب لن تكون في صالحه إذا لم يفاجئ الدولة العثمانية في بلاد الشام ، ويحتل القطر السوري، فلماذا عزم نابليون على الإستيلاء على بلاد الشام فاتجه من مصر ومعه ثلاثة عشر ألف مقاتل قاصداً الشام عن طريق العريش فاحتلها في أواخر شعبان عام (١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م) ودخل مدينة غزة في التاسع عشر من رمضان من نفس العام ، وسار منها في ثلاث وعشرون من رمضان ووصل الرملة في خمس وعشرين منه ، ومنها اتجه إلى يافا فوصلها في ست وعشرون من رمضان واحتلها بالقوة في أول شوال ، ثم مضى إلى عكا ووجد فيها مقاومة عنيفة ، وقبل وصوله إلى يافا قام بعملية وحشية لا إنسانية حيث قتل من معه من الجرحى والمرضى من جنده حتى لا يعيقوا تقدمه ، وعاد بعد ذلك إلى القاهرة .^(٢) عندما علم نابليون بقُدوم الجيش العثماني من رودس ونزوله بأبي قير في جيش بلغ ثمانى عشرة ألف مقاتل ، سار بونابرت لحربهم وانتصر عليهم وأسر قائدهم الأكبر مصطفى باشا ، وفي هذا الموقف لعب البريطانيون لعبتهم فالقائد البريطاني (الأميرال كيث)

(١) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٢١ .

(٢) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ١٧ .

(٣) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٢١ .

أرسل لنابليون عدة نسخ من الجرائد الفرنسية والتي توضح انتصار النمساويين على فرنسا وشيوع الفوضى بها فأراد نابليون استغلال الفرصة للوصول إلى السلطة فارتحل إلى فرنسا خفية ، وترك قائده (كليب) وكيلًا عنه في مصر .^(٢)

عندما علمت الدولة العثمانية وبريطانيا برحيله ضيقست الخناق على قائده في مصر ، وتناقص عدد الجيش الفرنسي ويثس القائد (كليب) من الحفاظ على مصر ، فاتفق مع الباب العالي والأميرال البريطاني (سدي سميت) (٣٠ رجب ١٢١٥ هـ / ٢٤ يناير ١٨٠٠ م) على أن تنسحب العساكر الفرنسية بسلحها ومدافعها ، وتعود إلى فرنسا على مراكب بريطانية ، ولكن الحكومة البريطانية لم توافق ، واستمر الفرنسيون في مصر إلى أن تم انسحابهم منها في (ثمان وعشرين من صفر ١٢١٦ هـ / ١٠ يوليو ١٨٠١ م) .^(٣)

إن موقف بريطانيا إلى جانب الدولة العثمانية ، كان انطلاقاً من محافظتها على مصالحها ، فعندما تعرضت تلك المصالح للخطر الفرنسي على يد دولة منافسة لها وضعت يدها في يد الدولة العثمانية لحماية تجارتها في الهند من منافسة دولة قوية كفرنسا ، وحاربت مع الدولة العثمانية إلى أن خرج الفرنسيون من مصر ، واطمأنت على مستعمراتها في الهند ، ومع العلم أن بريطانيا ساهمت في طرد الفرنسيين من مصر إلا أننا لانعفيها كدولة أوربية من أطماعها الإستعمارية التي كانت ترغب في تحقيقها في

(١) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ١٨ .

(٢) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٣٧٦ .

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٣٧٧ .

الشرق الأوسط ، فهي لا تختلف عن فرنسا وأطماعها ، فكل منهما لاثممه مصلحة الدولة العثمانية ، بقدر إهتمامه بمصلحته الذاتية ، وتحقيق ما يمكن تحقيقه من مناطق نفوذ الشرق الأوسط .

إذا كانت الحملة الفرنسية عام (١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م) قد أثرت على مستقبل مصر السياسي في القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري ، فإنها أدت أيضا إلى ازدياد نشاط بريطانيا في الشرق العربي ، فلقد أحدثت هذه الحملة الفرنسية ردود فعل مباشرة على منطقة الخليج العربي وأصبح التنافس السياسي الحربي بين بريطانيا وفرنسا هو الوجه لتاريخ المنطقة لعدة سنوات ، فقد أدى ذلك إلى تغير سياسة بريطانيا بالدولة العثمانية فلم تعد هذه السياسة تجارية فقط ، بل قفزت هذه العلاقات إلى الناحية السياسية ، وتولت وزارة الخارجية البريطانية تعيين السفير البريطاني في إسطنبول ، كما أدت هذه الحملة إلى تدخل بريطانيا السياسي في منطقة الخليج العربي .^(١)

عملت إنجلترا على إقامة علاقات صداقة مع كل من سلطنة عمان ، والعراق . ولقد حاول بونابرت في عام (١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م) التحالف مع سلطان عمان ضد بريطانيا ولكنه فشل ، وفي نفس الوقت أرسلت شركة الهند أحد موظفيها من الفرس - مهدي علي خان - للتفاوض مع السلطان في عقد اتفاق معه في (١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م) وقع مهدي علي خان أول معاهدة سياسية ربطت بين سلطنة عمان وبريطانيا ويظهر من نصوص هذه المعاهدة إنها تهدف إلى إقصاء فرنسا أكثر من كونها علاقة صداقة مع سلطان بن

(١) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٢٣٩ .

(١)

أحمد حاكم عمان ولكنه فشل .

وقد نجحت بريطانيا في ضمان وقوف العراق بجانب بريطانيا

(٢)

في النزاع الذي انتقل إلى الشرق الأوسط .

كما وقعت بريطانيا اتفاقية مع حكام البحرين عام (١٢٨٠هـ/

١٨٦٣م) كذلك وقعت معاهدة الحماية مع أمراء الكويت (عام ١٣١٧هـ/١٨٩٦م)

وبعد ذلك اعترفت بريطانيا بالكويت كدولة مستقلة تحت حمايتها فـ

(٣)

(٣ نوفمبر ١٩١٤م) وربطت باقي الإمارات العربية بمعاهدة حماية، ولم

تخضع للنفوذ الإستعماري الغربي الأراضي السعودية واليمن حيث كانت

ترابط فيهما القوات العثمانية، ثم لم يلبث أن ظهر الملك عبدالعزيز،

وعمل على استرداد ملك آبائه وأجداده فبدأ باستعادة الرياض عام

(١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م) ، وان علاقة الملك عبدالعزيز ببريطانيا لم تكن

(٤)

كغيرها من الدول .

لم تكن دول الخليج العربي وجنوب البحر الأحمر آخر عمليات

السطو المباشر على أملاك الدولة العثمانية، فلقد تمكنت بريطانيا من إبعاد

فرنسا عن سباق المنافسة معها فاحتلت مصر عام (١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م) ،

(٥)

فبعد الهزيمة التي لقيها محمد علي باشا (١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م) أصبح

(١) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٢٣٩ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٤١ .

(٣) أحمد حسن جودة ، المصالح البريطانية في الكويت حتى عام ١٩٣٩م ،

ص ١٥٠ - ١٥٢ .

(٤) خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ج ١ ، ص ٨٨-٩٦ .

(٥) ل . ج . شينى ، تاريخ العالم الغربي ، ص ٣٨٨ .

لبريطانيا النصيب الكبير في تهدير بضائعها لمصر، دون دفع رسوم تذكر،
 وكثرت الديون المصرية من البنوك البريطانية في عهد الخديو إسماعيل،
 فبيعت أسهم القناة لبريطانيا^(٢) ، وفي عام (١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م) بدأت
 القوات البريطانية بقصف الإسكندرية ، فأصدر أحمد عرابي وزيرالحربية
 أوامره إلى القوات المصرية بمقاومة البريطانيين ، ولكن الخديو
 توفيق انحاز إلى جانب المحتلين ، وأصدر أوامره إلى أحمد عرابي
 بوقف إطلاق النار، وعندما رفض عرابي ، أعلن الخديو عصيانه وعزله من
 وزارة الحربية ، ومما مكن بريطانيا من السيطرة على مصر أن مهندس القناة
 فرديناند ديلسبس ، الذي تعهد لأحمد عرابي بوقوف القناة على الحياد، أدخل
 بوعده^(٣) فوصل الإنجليز إلى الإسماعيلية ومنها إلى القاهرة عن طريق قناة
 السويس ، بعد أن ألحقوا هزيمة بالقوات المصرية في التل الكبير، وفرضت
 القوات الإنجليزية التعويضات على الشعب المصري ، وحكم على أحمد عرابي
 وأنصاره بالموت ، الذي استبدل بالنفي إلى جزيرة سيلان، وأصبح اللورد
 (كرومر) الإنجليزي حاكماً مطلقاً على مصر .^(٤)
^(٥)

(٦)

بدأت بريطانيا ترنوا ببصرها نحو السودان والسيطرة عليه ،

بعد أن أطمأنت إلى إخلائه من القوات المصرية ، فوصلت حملة إليه كان أكثرها
 من البريطانيين ، والبقية من المصريين والسودانيين ، بقيادة (كتشنر
 سردار) القائد العام، وقد لقي الجيش البريطاني مقاومة عنيفة من المهدي

-
- (١) عبد الرحمن الرافعي ، عصر إسماعيل ، ج ١ ، ص ٨٤ .
 - (٢) عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، ج ١ ، ص ٨٨-٩٦ .
 - (٣) إل . ج . شيني ، تاريخ العالم الغربي ، ص ٣٨٨ .
 - (٤) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ص ٥٤ ، ص ٤٠٨ .
 - (٥) محمد فؤاد شكري ، بناء دولة محمد علي ، ص ١٥٣ .
 - (٦) إل . ج . شيني ، تاريخ العالم الغربي ، ص ٣٨٨ .

في السودان ، ولكن بعد وفاة المهدي تمكنت بريطانيا من احتلال السودان ، وقد قامت على أثر ذلك حركات المقاومة حيث سجل السودان ثلاث حركات تحريرية هي : حركة المهدي في السودان ، وحركة اللواء الأبيض ، وحركة الخريجين ، إلى أن نال السودان استقلاله عام (١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م) .^(١)

لم تكتف بريطانيا بما سلبته من أملاك الدولة العثمانية ، بل اتجهت نحو بلاد الشام ، وقسمتها فيما بينها وبين حليفها فرنسا طبقا لاتفاقية سايكس- بيكو عام (١٣٣٥ هـ / ١٩١٦ م) ، فقد كانت بلاد الشام في عهد الدولة العثمانية تكون وحدة سياسية واحدة ، وعند قيام نظام الإنتداب عام (١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م) قسمت بلاد الشام إلى أربعة أقسام سياسية : سورية ، ولبنان ، وشرق الأردن ، وفلسطين ، أخذت بريطانيا فلسطين وشرق الأردن وفرضت عليهما الحماية البريطانية .^(٢)
^(٣)
^(٤)

وفي ظل الإنتداب البريطاني بدأت طلائع اليهود تغزو فلسطين ، وتقوم بإعداد المستعمرات ، والسطو على الأراضي العربية وتحويلها إلى مستعمرات يهودية ، وبذلك زرعت هذا الكيان القذر فصار بؤرة فساد وشوكة في جنب الأمة الإسلامية يقوم بالإرهاب والاعتصاف والاعتداء .

أما باقي بلاد الشام فكانت من نصيب فرنسا كما أشرنا إلى ذلك حيث استولت على سورية ولبنان وفرضت عليهما حمايتها إلى أن نالت

(١) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٨٢ - ١٨٤ .

(٢) بيرونوفن ، تاريخ القرن العشرين ، ص ٢١٦ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ٢١٧ ، ٢٢٣ .

(٤) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٥٢١ .

(١)

هاتان الدولتان استقلالهما عام (١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م) .

لم يكن سبيل الإحتلال والعدوان المسلح هو الطريق الوحيد الذي إتخذته بريطانيا ، بل سلكت سبل أخرى لحماية مصالحها في الدولة العثمانية .

إن بريطانيا لم تتورع عن مساعدة أبناء جلدتها ومساعدتهم في تمردهم ضد الدولة العثمانية عند شعورها بالخطر ، فعندما بدأ التمرد اليوناني ، أخذ الرأي العام في بريطانيا يوءيد هذا التمرد، وأعلنت بريطانيا أن المتمردين محاربون ، حتى وصل بهم الأمر أن طلبوا من الدولة العثمانية حماية اليونان ، ولكن رفض ذلك الطلب أمام (٢)

(١٢٤١ هـ / ١٨٢٥ م) .

لقد كانت بريطانيا قلقة من توطيد محمد علي أقدامه فسي البحر المتوسط، لأنها ترى في ذلك إضراراً بمصلحتها، ولهذا اتفقت مع روسيا ضد الدولة العثمانية عام (١٢٤٢ هـ - ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٦ - ١٨٢٧ م) على أن يستقل اليونان وأن يدفع للدولة العثمانية ضريبة معينة على أن يخرج جميع الأتراك من اليونان ، ثم انضم إليهم في هذا الإتفاق فرنسا (٣) ووقعوا معاً معاهدة لندن عام (١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م) وبلغ هذا القرار إلى كل من النمسا وفرنسا وبروسيا ، وبلغت الدولة العثمانية بالقرار وفي حالة عدم موافقتها عليه ، فإن بريطانيا سوف تقف بجانب المتمردين

(١) لورانس ، لغز الجزيرة العربية ، ص ٢٥٧ .

(٢) إميل خوري ، وعادل إسماعيل ، السياسة الدولية في الشرق العربي، ص ١٨ .

(٣) Enver Ziya, Op, Cit., Part 5, P, 117 .

باليونان ، أما إذا وافقت على القرار فسوف يقف إطلاق النار، وعندما رفضت الدولة العثمانية ذلك اجتمعت ضدها الدول الأوروبية (فرنسا، روسيا، بريطانيا) وهاجموا الأسطول العثماني والمصري في ميناء (نافارين) وقد تسبب دخولهم ميناء نافارين في حرب بحرية، وأغرقت جميع السفن العثمانية والمصرية عام (١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م) في نافارين .^(١)

واصلت الدول الصليبية تحزبها ضد الدولة العثمانية فوقعَت معاهدة سان ستيفانو عام (١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م) بين روسيا والدولة العثمانية وبموجب هذه الاتفاقية فقدت الدولة العثمانية جميع ممتلكاتها الأوربية .^(٢)

مما تقدم نلمس أن بريطانيا كغيرها من الدول الأوروبية الأخرى، وقفت من الدولة العثمانية موقف الحقد والطمع في آن واحد ، فحققت أهدافها وأطماعها في الدولة العثمانية، عن طريق السيطرة على الكثير من المناطق الخاضعة للسيطرة العثمانية، إما بالاستيلاء والإحتلال العسكري، أو بالتحالفات مع الدول الأوروبية ، أو بتحريض دول البلقان والوقوف إلى جانبها أثناء قيامها بالثورة ضد الدولة العثمانية ، كمساعدتها للثورة اليونانية ووقوفها إلى جانب اليونان ، وتزويدها بالسلاح، إلى أن نالت استقلالها، وبذلك اقتطع هذا الجزء من الدولة العثمانية كما اقتطع غيره من قبل تحقيقاً للأهداف الإستعمارية البريطانية في الدولة العثمانية ، ثم أنها تمكنت من الإستيلاء على مناطق مهمة (واستراتيجية) في الشرق الأوسط وربط بعض المناطق بمعاهدات واتفاقيات ، تجعلها تحت حمايتها وهكذا كان الموقف البريطاني من الدولة العثمانية موقفاً له آثاره البعيدة والسيئة ، ليس على الدولة العثمانية أبان ضعفها وإنما على العالم العربي، في فترة ما بعد الحكم العثماني .

(١) Seton - Watson, Magh. The Russian Empire P, 298.

(٢) على حسون العثمانيون والبلقان ، ص ٢٤١ .

الفصل الثالث

رُدُّودُ الْفِعْلِ الْأُورِيبِيَّةِ عَلَى الْوُجُودِ الْعُثْمَانِيِّ فِي أُورِبَا

- ١- الرأى الأوربى العام وآراء المؤرخين فى الدولة العثمانية .
- ٢- الحملات الشهيرية بالدولة العثمانية .
- ٣- تضاد أول الوجود العثمانى فى أوربَا .

لقد كان لانتشار الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية الأولى الأثر العظيم على نفوس أعدائه من الغربيين ، حيث اعتبروه خطراً يهدد مسيحيتهم ، وأستمر الرعب في نفوس الصليبيين يأخذ طريقه كلما تحقق للدولة الإسلامية ازدهار وتوسع . فما أن كان القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي حتى شعر أعداء الإسلام بأن الأمجاد الإسلامية وصلت إلى عقر دارهم ، فبدؤوا يحقدون على كل من يحمل لواء الإسلام ، وبدؤوا كعادتهم يرون أن من واجبه التصدي للفتح الإسلامي بالكلمة والسلاح على حد سواء . ولأن الدولة العثمانية هي التي كانت تحمل لواء الإسلام وتنشره في جنوب شرق أوروبا ، فقد شعرت أوروبا - وهي حاقدة - بأن الإسلام خطر عليها وعلى مسيحيتها ، وإن في كلمات الأسقف وليام كاش في كتابه (النصرانية والإسلام) أبلغ دليل على ذلك إذ يقول (إن فرائض أوروبا كانت ترتعد عندما يعلن الخليفة التركي الجهاد) ، ولهذا القول وزنه الكبير لاسيما وأن صاحبه من كبار رجال الكنيسة ، وقد استطرد كاش قوله : وينبغي لنا أن نعتبر بتاريخين هما : عام (١١١٤هـ / ١٧٣٢م) عندما هزم شارل مارتسل العرب في موقعة بواتيه (بلاط الشهادة) وعام (١٠٩٥هـ / ١٦٨٣م) عندما رد يوحنا الثالث البولندي الجيوش التركية عن فينا ، وقد أتخذ الأتراك الهلال رمزاً لهم في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي باعتباره رمزاً دينياً وحربياً ، ويذكر الأستاذ ردجواي : " أن الهلال هذا لعلقة له بالقمر ، بل يمثل نابين من أجل الإنقراض على الفريسة (أوروبا) وهذا يمثل صورة واضحة لسياسة الدولة العثمانية في إخضاع الشعوب الأوروبية ، فإذا رسمنا هلالاً على خريطة جغرافية فإن أحد طرفيه يبدأ من جبال البرنس ويمر إنحناءه عبر

(١) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٦٤٦ - ٦٤٧ .

أسبانيا فشمالي إفريقيا فمصر وفلسطين وسورية والبسفور ، والطسرف
الآخر في فينا ، إذاً لاستطعنا أن نرسم في أذهاننا صورة واضحة للمعنى
المتمثل في المطاعم الإسلامية ، وبذلك يكون ، أحد طرفي الهلال في أسبانيا
والآخر في النمسا ، ولقد عملت الجيوش الإسلامية لبلوغ ذلك اليوم الذي
تلتقي فيه النقطتان في قلب أوروبا^(١) .

ومهما يكن في هذا التمثيل من البعد عن الحقيقة ، إلا أنه
يعطى صورة واضحة عن الشعور الأوروبي العام تجاه العالم الإسلامي ، وامتداد
الدولة العثمانية ممثلة الإسلام نحو أوروبا ، وفي ذلك بيان لشعور الهلع
والذعر والخوف الذي عاشته أوروبا طوال تلك السنين ، كما أنه مما لا شك
فيه أن الشعور الأوروبي الديني كان عنيفاً ضد المسلمين ، والتعصب الديني
لعب دوراً كبيراً في حركة تشويه الإسلام وسمعة العرب ، والتعمية على
حضارتهم ، ومما لا يتطرق إليه شك في أن الصهيونية والاستعمار تضافرت
جهودهما مع التعصب الديني ، وبذلك تحزبت تلك القوى ضد العالم الإسلامي
وأنبشت مخالبتها فيه ، ولاتزال تعمل من أجل السيطرة والتأمر عليه بشتي
الطرق والوسائل للوصول إلى أغراضها .

كذلك نرى أن الأوروبيين نظروا للفتوحات العثمانية في أوروبا
على أنها فتوح إسلامية ، وتعمق ذلك الشعور في أذهانهم ، أن أي نصر
عسكري تحققه الدولة العثمانية يمثل نصراً للإسلام وهزيمة للصراينة
فباسم الإسلام فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية عام (٨٥٧ هـ /
١٤٥٣ م) وأخذها عاصمة بعد أن استبدل اسمها (بإسلام بول) وأخذ
بتنفيذ المشروعات الخاصة بالمدينة ، وكذلك باسم الإسلام أخذ يخطط وينظم
للاستيلاء على روما مقر البابوية ، وبالفعل نزلت القوات العثمانية

(١) فيليب حتى ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٣١ .

(١) في أوترانتوا في مملكة نابولي عام (٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م) وأسرت إحدى عشر ألفاً من سكانها ، وأعتزم السلطان اتخاذها قاعدة للانطلاق في شبه جزيرة إيطاليا ، للوصول الى روما ولكن المنية عاجلته قبل تنفيذ ذلك الحلم الرائع ، وبذلك تنفست أوروبا الصعداء ، حين علمت بوفاته ، فامر البابا أن تقام صلاة الشكر ثلاثة أيام . (٢)

أوغلت الجيوش الإسلامية العثمانية في أوروبا حتى بلغت مشارف فينا ، وتصاعد العداء بين أوروبا المسيحية والعثمانيين حكام الدولة الإسلامية ، فلم يكن عجيباً أن الأجيال المتعاقبة من الأوروبيين الذين عاصروا الدولة العثمانية على امتداد تاريخها قد ربطت بين الإسلام والدولة العثمانية ، ورسخ في أذهان الأوروبيين أنها الرمز الحي للإسلام ، لذلك عندما كان أحد الأوروبيين المسيحيين يعتنق الإسلام فلا يقول عنه الأوروبيون أنه أصبح عثمانياً بل يقال عنه أنه أصبح مسلماً . (٣)

وهكذا ارتبطت الدولة العثمانية بالإسلام وأرتبط بها ارتباطاً وثيقاً ، وتصاعد العداء والحقد والكراهية بين الحكومات الأوروبية ضد الدولة العثمانية حاملة لواء الإسلام .

لذلك فقد استيقظت الشعوب الأوروبية لتجد نفسها لأول مرة تخضع لحاكم مسلم ، وعملت جاهدة لتصفية هذا الوجود الإسلامي العثماني في أراضيها وأسهمت معها دول أوروبية أخرى ، لم يصل اليها الحكم الإسلامي ، جمع بينهم هدف واحد وغاية واحدة هي الانتصار للمسيحية والقضاء على الإسلام ، وتوزيع

(١) Bernard Lewis., The Emergence of Modern Turkey, P, 13.

Ibid., P, 13 . (٢)

Ibid., P, 13 . (٣)

ممتلكات الدولة العثمانية فيما بينهم ، وإنهاك قواها وتشتيت تركيزها في جهات شتى ، وذلك بتحريض رعاياها على الثورة في مقاطعاتها المختلفة ، وإمدادهم بالأسلحة والمال لأجل ذلك ، والفتك برعايا الدولة المسلمين ، وتعددهم بالتعويض فيما لو فشلت هذه الثورات ولم تحقق أغراضها .

تلك كانت مقدمة عن الانطباع الأوروبي العام عن الدولة العثمانية التي فتحت في أوروبا باسم الإسلام ، وعملت على نشره ، وسرى بعد ذلك في الصفحات التالية ، آراء المؤرخين الأوروبيين في الدولة العثمانية ، وهم في هذا الموضوع ينقسمون إلى فئتين : الفئة الأولى وهي التي كتبت عن تقدم العثمانيين إلى أوروبا ، وفتوحاتهم وانتصاراتهم ، وأسندت ذلك عن قصد إلى البطش والقوة والقهر والجوع ، أما الفئة الثانية فهي معتدلة وذكرت مايجب ذكره تجاه الدولة العثمانية ولو على مفض .

من أمثلة الفئة الأولى ما ذكره هربرت فشر عن تقدم العثمانيين نحو أوروبا حيث أورد : أن العالم الأوروبي في تلك الفترة لم يكن قادراً على توحيد جهوده وصفوفه ، فقد سادته التفكك والانقسام والنزاع والخصومة الشديدة بين الكنيستين الشرقية والغربية ، كل ذلك مكن العثمانيين من تثبيت أقدامهم وتوسيع رقعة بلادهم ، وتقدم فتوحاتهم باتجاه أوروبا .^(١)

والمؤرخ الآخر هو ربنسون الذي يؤيد قول زميله السابق ، فيقول أن دول البلقان ذات التكوين الضعيف لم تستطيع الوقوف ضد قوة العثمانيين — وبذلك انتصر الأتراك في أرض المعركة ولم تصمد أمامهم تلك الدول ، كما^(٢)

(١) هربرت فشر ، أصول التاريخ الأوروبي ، ص ٢٧٤ .

(٢) Robinson, Op, Cit., PP, 100 - 101 .

ذكر بروكلمان أن وقع البلقان والنزاع المتوصل بين صفار الأمراء وتنازعهم على السلطة أدى إلى أن يتوجه السلطان مراد بن أورخان إلى البلقان، ويشن هجوماً على أولئك الأمراء ويتمكن من تحقيق الانتصار عليهم .^(١)

وهذا مؤلف آخر يحاول أن يصف العثمانيين بعدم تقدير الحضارة والإهتمام بها ، فيذكر أن العثمانيين لم يقيموا للحضارة الأوروبية وزناً ولم يدركوا قيمتها حيث عاش العثماني غريباً في أوروبا ، ليس له نصيب من عاداتها وتقاليدها ، ولا تتعدى نظره إلى البشرية إلا أنها لاتصلح إلا للإسترقاق والعبودية والتبعية .^(٢)

وهذه مؤلفة أخرى هي ماري ملزباتريك تصف الجيش الإنكشاري بأنه جيش الأرقاء لخدمة السلاطين وحمايتهم .^(٣)

وهذا آخر يحاول التقليل من أهمية الفتوحات العثمانية في أوروبا ويبرر الهزائم التي لحقت بهم في أوروبا إلى انهيار البنيان الاجتماعي حيث كان الفلاح يئن تحت الضرائب البيزنطية ، والصراع الكنسي الرهيب .^(٤)

ولم تخل كتابات مؤرخي أوروبا من التهكم والسخرية من طريقة الحياة ، والمعيشة العثمانية فيصف فشر البيت العثماني بأن الزائر الأوروبي

(١) كارل بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٢٣ .
 (٢) فشر ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، القسم الثاني ، ص ٤٦١ .
 (٣) ماري ملزباتريك ، سلاطين آل عثمان ، ص ٢٣ فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٣١ .

(٤) Norman Itzkowitz, Op, Cit., P, 13 .

إذا رأى البيت العثماني خيل إليه كأنه رأى بيتاً مهجوراً من البيوت الملحقة بقصور الأغنياء في ريف إنجلترا، وكان جماعة من المسافرين عثروا فـسـي طريقهم على هذا البيت فألفوه خالياً إلا من تراب الإهمال (١) فأخذوا في تهيئته للإقامة به بضعة أيام .

ويستطرد فشر في وصفه للعثمانيين حيث يقول : إن خلقهم أمتاز بشيء غير قليل من الهيبة الممتزجة بوقار الطلعة وبأن تفكيرهم لا يتعدى لزوميات الحكم الإمبراطوري مبادئ الأوليغاركية الاستثنائية، وهي المبادئ التي تعتمد على الرقيق وتنظر إلى البشرية المحيطة بها كأنها لا تصلح إلا للإسترقاق والعبودية، وجاء هذا الرأي متفقاً مع رأي المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي حيث قال : " إن طاقاتهم الرعوية انتقلت نقلة فجائية من رعاة لقطعان إلى حكام إمبراطورية ومثل كل البشر فإن الحلول التي استعانوا بها لمواجهة المشكلات التي استجدت عليهم كانت متأثرة بتجاربهم السابقة، فما زال عالماً بتفكيرهم أنهم رعاة وكل مافي الأمر أن قطعانهم لم تعد من الماشية بل من البشر ولكي تظل هذه القطعان البشرية تحت سيطرتهم فقد أنتقوا ودربوا كلاباً (الإنكشارية) لحراستها وصادفوا (٢) متاعب أشد في تربيته وتدريبها عن تلك التي صادفها أسلافهم الرعاة " .

وهذا فشر أيضاً في وصفه للشخص التركي يذكر أنه كسولاً خاملاً ، صلفاً غيبياً ، لا يصلح للعمل في الصناعة والتجارة ، لذلك رضى للمسيحيين بممارسة العمل في تلك المهن ، وكان لا يملك الثقافة الخاصة به فعـاش

(١) فشر ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، القسم الثاني ، ص ٣٦٠ .

(٢) نفس المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٤٦١ .

(٣) Toynbee. A Study of History, The Osmanils, Part 3, P, 22 .

اليونانيون والبلغار والصرب تحت حكم عثماني متراخ غير منظم يمارسون شعائرهم الدينية ويحتفظون بعباداتهم ، وقد ميز الحكم العثماني في أوروبا طغيانه وتساوله ، حيث أبدى الأتراك إهمالاً وعدم مبالاة بل واحتقاراً (١) للمنازعات القائمة بين الكنائس المسيحية .

وعن فتح العثمانيين للقسطنطينية ذكر عدد من مؤرخي الغرب ذلك الفتح وأفرغوا ما تكنه صدورهم من الكراهية والحقد ضد السلطان محمد الفاتح فعند فتحه للقسطنطينية عام (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) عمد فريق ممن كانوا محاصرين فيها إلى تسجيل وقائع الحصار وما أعقبه من دخول السلطان والجيش إلى المدينة ، وأفعالهم فيها ، في مقدمتهم (جورج فرانتزنس) صديق الإمبراطور قسطنطين وأمين وصاحب مشورته وقد أسسروا أهله بعد الفتح ثم أطلق سراحه بعد ذلك ، فاتجه إلى المورة ومنها إلى إيطاليا ، وكتب كتابه في تاريخ الدولة البيزنطية من (١٢٥٨ - ١٤٧٦ م) وأورد فيه ما شهدته من أحداث بنفسه لاسيما فتح القسطنطينية ، وقد ضمن كتابه هذا أحقاده على العثمانيين وعلى رأسهم السلطان محمد الفاتح (٢) فتقول ما تقول على ما أملاه عليه حقه وتعصبه .

وهذا الكاردينال أيسدور الذي بعثه البابا للقسطنطينية لتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية كان أول ما فعله بعد خروجه من القسطنطينية إلى إيطاليا أن استنفر الدول النصرانية إلى حرب العثمانيين وصب جام غضبه على السلطان محمد الفاتح ، وقال عنه أنه عبد الشيطان وابن إبليس ، ومثل

(١) فشر ، في أصول التاريخ الأوربي ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

(٢) سالم الرشيد ، محمد الفاتح ، ص ١١ - ١٢ .

تلك الروح المتعصبة نجدها عند الكثير من مؤرخي أوروبا ، أمثال جيبون ، وبيوري، وهمر ، الذين أترفوا أنفسهم بتعصيب مؤرخي الغرب ولم يسلموا هم من ذلك التعصب .^(١)

عمل كثير من مؤرخي الغرب على إلقاء الكثير من الأعمال السيئة والتي لاتستقيم مع الدين الإسلامي ومع سلاطين آل عثمان كمسلمين كقول أحد مؤرخي أوروبا (شو) حيث يورد أن السلطان محمد الفاتح لم يستطيع التخلص من تأثير الصدر الأعظم ، ولكنه أستطاع أن يمنع الخطر الملحوظ عليه من أخيه الأصغر، فقتله وهذا الأمر أصبح سنة لمن جاء بعده من السلاطين لسلامة الدولة والمحافظة عليها من النزاعات على الملك، يوعيد^(٢) رأيه ذلك مؤرخ آخر هو برنارد لويس ، حيث يقول: إن الأمراء الصغار بعد سن البلوغ يبعثون لحكم المقاطعات في الأناضول ، ثم بعد ظهور كفائتهم يختار منهم ولياً للعهد، ولتجنب الصراع على تولية الحكم أتخذ العثمانيون ماعرف بنظام قتل الإخوة وكانت هذه القاعدة معمولاً بها منذ القدم، حيث أشار إليها الإمبراطور يوحنا السادس كقاعدة مقررة بتأييد دستوري من السلطان محمد الثاني وتسجيلها في القوانين الأساسية للدولة العثمانية.^(٣)

لم يصدر مثل هذا القانون من السلطان محمد الفاتح ولا غيره من السلاطين العثمانيين ، فليس في الإسلام قانوناً يخول قتل الإخوة بعضهم بعضاً حيث أورد ذلك على همت الآقسكي وهو ممن كان يعمل بالقضاء، وأكد^(٤) أن ذلك لم يصدر عن السلطان محمد الفاتح أو غيره من السلاطين .

(١) سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ١٣ - ١٤ .

(٢) Stanford, Op, Cit., P, 56 .

(٣) برنارد لويس ، اسطنبول ، ص ٦٩ .

(٤) Lewis Bernard, Istanbul, PP, 33 - 34 .

(٥) على همت الآقسكي ، العاهل العثماني أبوالفتح السلطان محمد الثاني، ص ٩٩ .

وهذا رأى مؤرخة أوربية في السلطان محمد الثاني حيث أوردت بأنه من أغرب الشخصيات في التاريخ ، فهو بطبيعته شرقي ، مستبد لا يعرف شيئاً عن الروح الديمقراطية ، ورجل هذه أهواء الشخصية لا يطمئن الإنسان على رأسه إذا عاشره أو اشتغل معه فهو بكلمة واحدة قد يقطع الأعناق .. ثم تعود لتناقض نفسها فتقول وهو من ناحية أخرى رجل متعلم حريص ، بل والأدهى من هذا أنه كان له نفسية الشاعر ويعترف بأهمية العلوم والتربية .^(١)

يحاول برنارد لويس أن يثير الحقد بين المسلمين بعضهم البعض فيذكر " أن حروب سليم الأول ضد جيرانه المسلمين بعد نصف قرن وضم الأراضي العربية في آسيا وأفريقيا إلى الإمبراطورية العثمانية قد قوى ذلك التقليد الإمبراطوري الإسلامي " .^(٢)

وحقيقة الأمر أن التقدم العثماني نحو المشرق العربي زمن السلطان سليم الأول في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي له عوامل وأسبابه المباشرة وغير المباشرة والتي أهمها الخطر الشيعي من ناحية الشرق (الدولة الصفوية الشيعية في فارس) ثم ضعف الدولة المملوكية عن مقاومة الغزو البرتغالي القادم من الجنوب والمستهدف الأمة الإسلامية ، والأماكن المقدسة واتحادها مع الشيعة ضد الدولة العثمانية السنية حيث لم تستهدف الدولة العثمانية من ضم البلاد العربية الاستعمار .

ويصف فيليب حتي ، نظام الحكم العثماني فيقول : إن نظام

(١) ماري ملزباتريك ، سلاطين آل عثمان ، ص ٢٤ .

(٢) برنارد لويس ، اسطنبول ، ص ٦٩ .

الحكم الإمبراطوري ، أخذ يتضح شيئاً فشيئاً حيث كان هذا النظام فسي جوهري ، بدأه سلطان من صلب عثمان ، فحسب هذا النظام كانت سلطة الدولة تنحصر في جماعة عسكرية تعرف بأصحاب السيف ، وتشمل الوزراء وحكام الولايات وقواد الجيش وضباطه ، ومهما بلغت رتبة الموظف فسي الحكومة ومهما سمت رتبته ، فإنه كان يظل عبداً تحت رحمة سيده السلطان وفي مقدوره أن يقتله ساعة ما يشاء ، هذا عدا حق المصادرة التي كان يمارسها السلطان، وكان المجتمع الإنساني في هذه الإمبراطورية يتألف من مزيج من أديان ، ولغات وأعراق بشرية مختلفة ، مسلمين وأروام وأكراد وعرب ، وأرمن وسلاف ونصارى ويهود يربطهم جميعاً رباط غير طبيعي رباط السيف الذي كان يسلطه على أعناقهم الخلفاء العثمانيون .^(١)

إن ما أورده آنفاً الموعر خ فيليب حتي ، أملاه عليه حقه وكراهيته للإسلام ، إذ لو صح ما ذكره من تسلط الحكم وغلبة السيف وقهر أهالي البلاد المفتوحة لو صح أنها فتحت بالسيف لما بقى أحد منهم على دينه ولا كره الجميع ممن ذكرهم بالسيف على الدخول في الإسلام ، ولكن يترفع الإسلام عن ذلك القهر والظلم فقد ترك الحرية لكل من أراد أن يدخل في الإسلام أو أن يبقى على دينه .

واصل موعر خو الغرب صب جام حقدهم على الدولة العثمانية ، فبدأوا يطلقوا عليها المسميات التي تنتقص منها ويشهرون بها ومن تلك الألقاب ، ما حدث في العصر الحديث عندما أطلق قيصر روسيا نيقولا الأول لقب (الرجل المريض) الذي لا يرجي شفاؤه^(٢) وعملت أوروبا جاهدة للقضاء على الدولة

(١) فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٢٤ - ٢٣٥ .

(٢) جاك س ، الحضارة العربية ، ص ٢٧٧ .

(١)

العثمانية لاقتسامها وتحقيق مصالحها الاستعمارية .

لقد كانت الدولة العثمانية مصدر رعب وقلق للعالم الأوربي نتيجة لما تمتعت به من القوة والتقدم الحربي والثقل السياسي خلال القرنين التاسع ، والعاشر الهجري ، الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، وأصبحت دولة قوية يحسب لها في أوربا ألف حساب فلا غرو إن حسدها الحاسدون وتحزب ضدها المفرضون ، وحقد عليها الحاقدون .

أما الفئة الثانية والتي أبدت إعجابها بالدولة العثمانية ولو على مفض ، وأن لم يخل ذلك من الحسد فعنها ريتشارد نولز مؤرخ عصر اليزبت ملكة إنجلترا (١٥٥٨ - ١٦٠٣ م) حيث وصف الشعور الأوربي العام تجاه الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية ضد أوربا فكتب هذه العبارة معبرة عن إعجاب مشوب بالحقد ضد الدولة العثمانية (إن الإمبراطورية العثمانية هي مصدر الرعب في العالم) (٢)

وهذا توماس أرنولد في مؤلفه (الدعوة إلى الإسلام) يبدي رأيه في السماحة الدينية التي تمتع بها رعايا الدولة العثمانية من غير المسلمين فيقول .. حيث سارع الكثيرون من الإغريق والذين كانوا تابعين للدولة العثمانية في الولايات الأوربية سارعوا إلى الدخول في الإسلام ، وأعتبروا العثمانيين مخلصين لهم ، وأفضل من بني جلدتهم بخاسة الذين قد عانوا الكثير من الإضطهاد على أيديهم . (٣)

-
- (١) فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٤٠ .
 (٢) الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ١ ، ص ١٥ .
 (٣) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٧٢ .

وهذا مؤلف آخر يعترف بما حققه الإسلام للفلاحين في أوروبا من العدل والأمن ، فيذكر رفلا لويس أن الفلاحين في ظل النظام الكنسي يعانون الكثير في جمع الضرائب ولكن عندما عرفوا النظام الإسلامي فسي الأموال وجدوا أن أخذ الجزية من غير المسلمين ، هو أرحم بكثير من نظام سادتهم السابقين ، وأن الساحة الدينية لدى العثمانيين أقوى ففضلوا نظام الإسلام في أخذ الجزية والضرائب على النظام البيزنطي الجائر كما تعرفوا على العدل الذي جاء به أولئك الفاتحون .^(١)

كما يود فيشر أن الخليفة العثماني أمتاز في نظر الأوروبيين بشيء غير قليل من الهيبة والوقار ، وهي صفات حمدها الأوروبيون الذين خبروا العثمانيين عن كثب كما حمدوا ما اتسمت به الجيوش العثمانية من القصد في المأكول والمشرب والسرعة .^(٢)

وهذا مؤرخ آخر يشيد بالمعاملة الحسنة التي أتبعتها الدولة العثمانية تجاه رعاياها ، وحتى تجاه الأجانب الذين كانوا يعيشون في ظل الدولة العثمانية ، إما كتجار أو زائرين ، فقد كان هؤلاء الأجانب يعيشون في الدولة ، وفق شروط خاصة ومعينة ، وقد حافظت الدولة على حقوقهم وكان لهم حق التجول في البلاد الإسلامية كزوار ، إذا لم يكن في ذلك ضرر بالمسلمين .^(٣)

كما يذكر المؤرخ خالقو فوندبل عن حكم السلطان أورخسان

(١) Raphael a Lewis. Everday Life In Ottman Turkey. PP, 180-182.

(٢) فيشر، تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، القسم الثاني ، ص ٤٦١ ؛

(٣) Cohun, L'Introduction, a l'histoire de l'Asie, P, 60.

Stanford Show, Op, Cit., P, 163.

فذكر " أن السلطان أورخان كان حليماً على الفقراء وأرباب الصناعة والعسكر وأنه تعامل مع النصارى أيضاً بالحلم حتى يجلبهم إليه".^(١)

وهذا مؤرخ أوربي يشيد بأخلاق السلطان محمد الفاتح فيذكر أن سياسته كانت تتبع المنهج الإسلامي ، ومساعدة الشعب المغلوب على أمره حيث لم يأخذ منهم أملاكهم وأكتفى بأخذ الجزية الشرعية نظير ماتقدمه الدولة من حماية لمن لم يسلم منهم .^(٢)

ويصف فولتير الفرنسي الشهير موقف المنتصر المسلم من المهزوم المسيحي بقوله : إن الأتراك لم يسيئوا معاملة المسيحيين كما نعتقد نحن، والذي يجب ملاحظته أن أمة من الأمم المسيحية لاتسمح أن يكون للمسلمين مسجد في بلادهم بخلاف الأتراك فإنهم سمحوا لليونانيين المقيمين بأن تكون لهم كنائسهم . . . ومما يدل على أن السلطان محمد الفاتح كان عاقلاً حليماً تركه للنصارى المقيمين الحرية الدينية في انتخاب البطريرق، ولما انتخبوه ثبتته السلطان وسلمه عصا البطارقة وألبسه الخاتم حتى صرح ذلك البطريرق عند ذلك بقوله : إني خجل مما لاقيته من التجيل والحفاوة الأمر الذي لم يعمله النصارى مع أسلافي .^(٣)

ويذكر أيضاً عن السلطان سليمان القانوني أنه لم يكن هناك من السلاطين العثمانيين من هو مثله حيث حصل على العرش دون نزاع أو خلاف

-
- (١) أحمد رفيق بيوك ، تاريخ عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٣٤٢ .
 (٢) Stanford Show , Op, Cit., P, 87 .
 (٣) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٦٥٥ .

داخلي ، فقد ترك له والده ملكاً واسعاً ، ودولة بعيدة عن النزاع السياسي في الشرق والغرب ، ففي الشرق زال حكم المماليك كما سكن الصفويون الشيعة ، كما أنه ورث أسطولاً بحرياً قوياً تحدى به أعداءه براً وبحراً ، وورث خلافة المسلمين عن والده سليم الأول ، ونال شرفاً وكرامة في أنظار العالم الإسلامي نظراً لفتوحاته في أوروبا باسم الإسلام ، وكان له مصادر إقتصادية في مختلف أنحاء مملكته ، ولقب (بالعظيم) (و (القانوني) لما وضعه من قوانين وأنظمة للدولة ، وترك شهرة فاقت جميع السلاطين من العثمانيين وقاد الجيوش للفتح في أكثر من ثلاث عشر غزوة ووصل في فتوحاته إلى أسوار فيينا ، كما أنفق عشر سنوات في ميدان الحرب ، من أجل نشر الإسلام ، وترك ملكاً كبيراً لمن جاء بعده .^(١)

وقد طاب للمراقبين والسياسيين في غرب أوروبا في القرن السادس عشر أن يتحدثوا عن شيخ الإسلام فوصفوه بأنه يشبه (كاردينالاً عظيماً) وأن مركزه يفوق مركز البابا ، وقد ربطوا بذلك بين مركز شيخ الإسلام في اسطنبول والمركز الدولي الذي تتمتع به الدولة العثمانية بين دول العالم كقوة لا يستهان بها ، وهذا أحد الباحثين الأنجليز وهو ريكوت سيربول (Ricaut, Sir, Paul) يتحدث عن شيخ الإسلام وعلو شأنه واتساع إهتماماته وأهتمام السلطان العثماني باسترضائه وتنفيذ ما يشير به عليه ، فأورد أن شيخ الإسلام هو الرئيس الفعلي للهيئة الإسلامية وهو المرجع الذي يرجع إليه في المسائل المختلف عليها من ناحية مدى مطابقتها لأحكام الشريعة الإسلامية^(٢) ويذكر أن شيخ الإسلام يتمتع باحترام وتقدير من

(١) Stanford Show ., P, 87 .

(٢) عبدالعزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ج ١ ،

ص ٤١٦ .

(٣) عبد الكريم رفيق ، العرب والعثمانيون ، ص ٥٢ .

السلطان العثماني ، وجميع العثمانيين ويقوم السلطان بتعيينه ، ويكون ضليعاً في علوم الشريعة الإسلامية وأصول الدين ، كما يكون معروفاً بفضائله مشهوراً باستقامته وسلوكه الحسن وإذا أصدر شيخ الإسلام أمراً أو بياناً^(١) فلا يعترض السلطان على ذلك ، كذلك يطلب السلطان رأي شيخ الإسلام عند إعلان الحرب أو عقد صلح .^(٢)

(١) عبدالكريم رفيق ، العرب والعثمانيون ، ص ٥٢ .

(٢) عبدالعزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها ، ج١ ،

أما عن الحملات التشهيرية ضد الدولة العثمانية فقد عملت الدول الأوروبية وروسيا من أجل تحطيم الدولة العثمانية والقضاء عليها بشتى الطرق الممكنة، وغير الممكنة، المشروعة وغير المشروعة من التآمر والحروب والتحريض وإثارة الفتن والإضطرابات في الولايات التي كانت تحت سلطانها، فعملت على تحريضها على الثورة، وإمدادها بما يلزم من الأموال، والأسلحة، والعتاد، وتشجعت جهود الدولة في جبهات متعددة حتى تجهز عليها وتمل إلى مبعثها ومرادها إلا وهو القضاء عليها وتقسيم ممتلكاتها فيما بين الدول الأوروبية، فتقضي بذلك على تقدم الإسلام نحو أوروبا.

لم تكتف هذه الدول الأوروبية بما قامت به ضد الدولة العثمانية، من ممارسات عسكرية، وإثارة الفتن في المناطق الخاضعة لحكم الدولة العثمانية بل أخذت تطلق الشائعات هنا وهناك للتشهير بها والتقليل من أهميتها وقوتها بهدف إضعافها، فبدأت تطلق عليها المسميات اللاذعة مثل الرجل المريض الذي لا يرجى شفاؤه، ومحاولة خلق فجوة بينها وبين الدول العربية الخاضعة لها بالقول بأن الدولة العثمانية عملت على عزلها عن العالم الخارجي، والإتصال بالحضارة الأوروبية، كل ذلك من أجل التمهيد للإجهاد على الدولة حاملة لواء الإسلام الذي حمله رجال مخلصون من حكام الدولة العثمانية.

من هذه الحملات ما قيل أن السلطان سليم الأول بعد ضمه لمصر عام (٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) أمر بترحيل أفواج كثيرة من صفوة علماء الفقه الإسلامي وأصوله، والصناع بحيث أفقد مصر أكثر من خمسين صنعة.

(١) الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج ١، ص ٦٤ - ٦٥.

إن هذه الثروة البشرية وترحيلها واقعة صحيحة أوردها ابن
 إياس (١) وكثير من المؤرخين وفي ذلك يقول : (وفيه (أي عام ٩٢٧ هـ) قدم
 جماعة من إسطنبول ممن كان هناك من أهل مصر ، وأشيع أن السلطان
 سليمان نادى في إسطنبول بأن جميع الأسرى من أهل مصر يرجعون إلى
 بلادهم ، وكل من تأخر شق ٠٠٠ وفي رمضان سنة ٩٢٧ هـ أشيع أن السلطان
 سليمان نصره الله تعالى ، أعتق جميع الأسرى الذين كانوا بإسطنبول
 (٢)
 من أهل مصر ولم يبق بها سوى أولاد السلاطين ٠٠)

إن هؤلاء الصناع وأرباب المهن والعلماء والموظفين ممن
 سبق أن رحلوا إلى إسطنبول إبان سيطرة السلطان سليم الأول لمصر عام
 (٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) لم يطل بهم المقام في إسطنبول كما ذكر ابن إياس
 حيث مكثوا بإسطنبول ثلاث سنوات ، ثم أعيدوا إلى مصر في عهد السلطان
 سليمان القانوني عام (٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م) وإن الثلاث سنوات لم تكن
 بالمدة الطويلة التي تشل حركة التقدم والتطور في أي بلد من البلدان ،
 وإن مثل هذا يحصل في كثير من الدول التي في طور التقدم حيث تستقدم
 الخبرة الأجنبية والأيدي المدربة للاستفادة منها في شتى الميادين من
 خبراء وفنيين ومهندسين إلى غير ذلك مما تحتاجه الدولة من خبرات ، ثم
 بعد أن يحدث الإكتفاء لدى الدولة المستقدمة لهؤلاء الخبراء يعودون
 إلى بلادهم ، فحرمان البلاد العربية من عمالها المهرة والقول بنقل أعداد
 منهم ، ماهي إلا حملة تشهيرية بالدولة العثمانية أوردها المؤرخون
 الغربيون ليوغروا القلوب العربية في مصر والبلاد العربية وغيرها ممن

(١) ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ٥ ، ص ٣٩٧ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٩٧ .

الأقاليم الخاضعة للدولة العثمانية ، وبذلك تحقق الدول الأوربية أغراضها .

أما الحملة الثانية التي أراد الأوروبيون شنّها ضد الدولة العثمانية فهي الإدعاء بأنها عملت على عزلة البلاد العربية التي دانت لحكمها ، وإن الأحداث الدولية التي سبقت الفتح العثماني ولحقته كفيّلة بالرد على هذا الافتراء .

الدولة العثمانية ضمت بلاد الشام عام (٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م) بعد الانتصار على المماليك في مرج دابق ، ثم سيطرت على مصر بعد إحراز النصر على طومان باي في الريدانية عام (٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) ، وفي نفس العام دخل الحجاز دخولاً سلمياً تحت الحكم العثماني ، ونهج هذا النهج أمراء المماليك الذين كانوا يسيطرون على اليمن ، وسيطر العثمانيون على اليمن سيطرة تامة عام (٩٤٥ هـ / ١٥١٩ م) .

وهكذا دخلت خلال عام وبعض عام أربعة أقاليم عربية تحت السيادة العثمانية ، وظهرت الدولة العثمانية لأول مرة دولة من دول البحر الأحمر . قبل دخول هذه الأقاليم الإسلامية السالفة الذكر تحت الحكم العثماني وقبل أن تصبح الدولة العثمانية من دول البحر الأحمر بدأ الغزو البرتغالي تحت ستار الكشف الجغرافية ، وكانت تحملهم سفن مسلحة ، وتمكن

-
- (١) الشيخ عبدالواسع بن يحيى اليمني ، تاريخ اليمن ، ص ٢١٧ .
 (٢) ابن زنبيل ، واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني ، مخطوط رقم ٤٨ ، ص ١٤١ .
 (٣) نفس المخطوط السابق ، رقم ٤٨ ، ص ١٤١ .
 (٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٩٨ - ٩٩ .

البرتغاليون من السيطرة على الهند وساحلها الغربي سنة (٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م)
 قبل وصول العثمانيين لتلك البلاد، وكان شعار هؤلاء المسيحيين المليب
 (١)
 أو المدفع .

كان من أهداف البرتغاليين السيطرة على الهند وشرق الجزيرة
 العربية وجنوبها، والأقاليم المطلة على البحر الأحمر، والساحل الشرقي
 لإفريقية المطل على المحيط الهندي وجنوب شرق آسيا، وتطور الهدف البرتغالي
 إلى تكوين مراكز تجارية مسلحة، في احتكار تجارة الشرق وقد تمكنوا من
 إغلاق الطريقين التجاريين القديمين : أولهما طريق الخليج العربي والعراق
 ثم الشام ، أما الثاني عبر البحر الأحمر عن طريق السفن التي تتجه إلى
 السويس ثم تنقل البضائع على ظهور الإبل إلى القاهرة ومنها إلى الإسكندرية
 ورشيد ودمياط . (٣)

لذلك قررت الدولة العثمانية وضع خطة لحماية الولايات العربية
 الخاضعة لها، وتتمثل هذه الخطة في اتخاذ عدن بوابة البحر الأحمر
 خط دفاع ، وقاعدة عسكرية لضرب المراكز البرتغالية في شرق الجزيرة العربية
 وللسيطرة على البحر الأحمر، زاد نشاط الترسانة البحرية في السويس في بناء
 السفن الحربية الجديدة بناءً لأوامر السلطان سليمان القانوني حيث بعث
 بحملات بحرية منظمة من ميناء السويس إلى الخليج العربي لمواجهة الخطر
 (٤)

(١) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) Stanford Shaw, P, 83.

(٣) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٢ - ٦٣ ؛ محمد مصطفى

صفوت ، إنجلترا وقناة السويس ، ١٨٥٤ - ١٩٥٦ م ، ص ٣ .

(٤) دائرة المعارف مادة ببرزريس ؛ Subhi Labib, The era of Suleyman the Magnificent, P, 435 .

(١)

البرتغالي وسار على نهجه السلاطين العثمانيون حتى عام (١٥٥٨/١٥٨٩ م) وتنفيذاً لمخطط الدولة العثمانية العسكرية قررت الدولة كإجراء أمنسي (٢) داخلي وخارجي إغلاق البحر الأحمر في وجه السفن البرتغالية، وعمم هذا القرار على جميع السفن المسيحية ، فكان لايسمح لها بالإبحار في البحر الأحمر فيما وراء ثغر مخا جنوب ثغر الحديدية اليمني فتفرغ شحنتها، ثم يعاد شحنها مرة أخرى على سفن إسلامية تجوب أنحاء البحر الأحمر (٣) وتتردد على موانئه .

ويكمن السبب وراء هذا المنع للسفن المسيحية هو وجـود الأماكن المقدسة في الحجاز الذي يطل ساحله على البحر الأحمر ، وقد ظلت الدولة العثمانية حريصة على هذا المبدأ في إغلاق البحر الأحمر حتى القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي لتوفير الأمن والأمان للحرمين الشريفين (٤) .

لو نظرنا إلى عزلة البلاد العربية نظرة واقعية لوجدنا أن الدولة العثمانية كانت تحاول الإحتكاك بالعالم الخارجي عن طريق عقد المعاهدات التجارية التي أبرمتها مع الدول الأوروبية لتنشيط الحركة التجارية والتبادل فيما بينها وبين الدول الأوروبية ومن ذلك ما قام به السلطان محمد الفاتح بعد استيلائه على القسطنطينية عام (١٤٥٣/١٤٥٧ م)

-
- (١) اسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج ١، ص ٥٤٩ - ٥٥٠ تاريخ جودت ، ج ٣، ص ١٣٠ - ١٣١ .
- (٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٩٧ .
- (٣) أحمد عزت عبدالكريم وآخرون ، دراسات تاريخية ، ص ١٩١ .
- (٤) فريدون بك ، منشآت الملوك والسلاطين ، ص ٢٣٩ .

شجع السلطان التجارة مع المدن الإيطالية ، فقد كانت التجارة في أيدي المسلمين حتى القرن السابع عشر الميلادي ، وكانوا يشكلون أغلب التجار ويتعاملون مع أوروبا دون وسطاء ، على الرغم من وجود الذميين الذين كانوا أكثر عدداً فيما يتصل بالتعامل مع دول أوروبا وأكثر نشاطاً. (١)

وقد كان تشجيع السلاطين للإمتيازات الأجنبية داخل الدولة العثمانية يستهدف تنشيط الحركة التجارية ، ومن أمثلة تلك العلاقات التجارية العلاقة التجارية بين روسيا والدولة العثمانية حيث وصل إلى الدولة العثمانية أول سفير روسي إلى اسطنبول (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) ومعه جملة من الهدايا للسلطان العثماني بايزيد الثاني ، ثم وصل سفير آخر وعندها بدأت تتحقق المصالح الروسية ، إذ بمسعاها حصلت روسيا على بعض الإمتيازات التجارية لصالحها. (٢)

وفي أثناء إقامة السلطان سليم الأول في مصر في الثاني والعشرين من شهر محرم (٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) عقدت معاهدة بين الدولة العثمانية وجمهورية البندقية ، لتشجيع رعايا هذه الجمهورية على القدوم إلى الإسكندرية بسفنهم وبضائعهم ومباشرة نشاطهم التجاري في جو من الطمأنينة ، وقد كانت الدولة العثمانية حتى عام (١٥٦٩ / ٩٧٧ هـ) ترتبط تجارياً بالبندقية التي أعطي لها الإمتياز بانتاج النسيج في مانسيا المركز الوحيد للإنتاج. (٣)

-
- (١) أحمد عزت عبدالكريم وآخرون ، دراسات تاريخية ، ص ٢٠٦ .
 (٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٣٢-١٣٣ ، راشد البراوي ومحمد عليش ، التطور الإقتصادي في العصر الحديث ، ص ٣٠ ، ٣١ .
 (٣) علي حسن ، العثمانيون والروس ، ص ٦٣ - ٦٤ .
 (٤) أحمد عزت عبدالكريم ، دراسات تاريخية ، ص ٢٠٧ .
 (٥) Norman ، The Ottoman Empire ، PP, 133 - 134 ، راشد البراوي ، التطور الإقتصادي في العصر الحديث ، ص ٣١ .

كذلك أفاد الفرنسيون من معاهدات الإمتياز التي عقدوها مع السلطان سليمان القانوني (٩٤٣ هـ / ١٥٣٥ م) ومن ذلك الوقت وهم يتاجرون في كثير من أنحاء الدولة العثمانية ووصلوا بتجارتهم إلى الشرق الأدنى عن طريق غرفة التجارة بمرسيليا التي كانت تتركز فيها تجارة الشركة التركية والمغرب حيث كانت مرسيليا هي الميناء الذي كان يجري فيه الحجر الصحي على السفن من تلك الأنحاء .^(١)

كذلك حصلت فرنسا على امتيازات تجارية أخرى في ١٨ أكتوبر عام (٩٧٨ هـ / ١٥٦٩ م) وتشمل هذه الإمتيازات السماح بالنقل في كافة أنحاء الدولة ، وحصلت فرنسا بعد ذلك على مباني لها للسفارة في إسطنبول والإسكندرية ، وببيروت وطرابلس ولبنان ، وخصصت السفن الفرنسية لنقل الأقمشة من نورمندي إلى فرنسا ونقل القراطيس والمصنوعات المعدنية من ألمانيا وفي طريق العودة يحملون معهم الأقمشة من الصوف والقطن والحرير والعطور والبهارات .^(٢)

وفي القرن السابع عشر الميلادي كان لفرنسا مجالا كبيرا في تجارة الشرق الأدنى، حيث كانت لها ما يقارب من ألف سفينة تجارية وكانت الدول الأوروبية الأخرى تتاجر تحت راية العلم الفرنسي . وهذا ما أتينا على ذكره في موقف فرنسا من الدولة العثمانية .

كذلك حصلت بريطانيا على امتيازات تجارية داخل الدولة

Roger, B. M., Suliman the Magnificent, PP, 129-131 (١)

Norman, Op, Cit., P, 137. (٢)

Halil Inalick, Op, Cit., 137 . (٣)

العثمانية ففي عام (٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م) أعطى العثمانيون امتيازات جديدة لبريطانيا وعادت العلاقات بين الدولتين مرة ثانية، حيث رأت الدولة العثمانية في ذلك منفعة لها وفي عام (٩٨٩ هـ / ١٥٨١ م) تأسست الشركة بإذن من بريطانيا والحكومة العثمانية وقد خفضت الأسعار للبريطانيين إلى ٣ ٪ رغم أن الفرنسيين والآخرين من الأجانب كانوا يدفعون نسبة ٥ ٪ لذلك كان الهولنديون يتاجرون تحت العلم البريطاني إلى عام (١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م) حينما حصلوا هم أيضاً على امتيازات صغيرة .^(١)

كان التجار البريطانيون يبيعون الأقمشة من الصوف بأسعار زهيدة ، ويصدرون الصلب والصفائح إلى الدولة العثمانية ، وقد كانت تلك الأشياء مهمة للدولة العثمانية ، وقد فتحت بريطانيا السفارات في كل من اسطنبول ، وحلب ، والإسكندرية .^(٢)

مما سبق تجدر الإشارة إلى أنه لم تكن هناك عزلة بالنسبة للعالم العربي والدول العربية أو إبعادها عن الاتصال بالعالم الخارجي فعندما رأت الدولة العثمانية أن هناك خطراً يهدد المقدسات الإسلامية نتيجة للغزو البرتغالي لجنوب الجزيرة العربية ، قامت الدولة العثمانية بإغلاق البحر الأحمر كإجراء أمني وقائي للمحافظة على الحرمين الشريفين والمقدسات الإسلامية .

لذلك فإن هذه الحملة التشهيرية - حملة عزلة العالم العربي - مردودة كسابقتها، اعتماداً على الأحداث الدولية والمعاهدات والاتفاقيات

Norman, Op, Cit., P, 137.

(١)

Ibid, P, 138 .

(٢)

التي أبرمتها الحكومة العثمانية مع كثير من الدول الأوروبية كما
أسلفنا.

هذا إذا ما أضفنا أن اكتشاف رأس الرجاء الصالح كان له أثر
عميق في كساد الأمور الاقتصادية العابرة عن طريق مواني شرق البحر
المتوسط وبخاصة مصر بصفاتها ذات موقع استراتيجي متميز بين ثلاث
قارات ، آسيا وأفريقيا وأوروبا ، لذلك فإن ما قامت به الدولة العثمانية
من منح الامتيازات التجارية لفرنسا وما شابهها من الدول الأوروبية
الأخرى، ما هو إلا إحياء وتنشيط لحركة التجارة التي كانت منتعشة
ومزدهرة قبل اكتشاف رأس الرجاء الصالح ، وقيام الدولة العثمانية
بهذا العمل يدحض أي افتراء يقول بعزلة الولايات العربية عن العالم
لذلك فإن هذه الحملة مردودة كسابقتها.

لم تكف الدول الأوروبية بما الحقته بالدولة العثمانية من
أضرار جسيمة ، وذلك باقتطاع الكثير من ممتلكاتها والسيطرة عليها بل
عملت أيضاً على التشهير بها والنيل منها بشتى الوسائل، كما أشرنا سابقاً،
أما حملات التشهير بالدولة العثمانية فقد استمرت أوروبا في انتهاج
ذلك المسلك السيء حيث تمكنت بعد ذلك من تحقيق أهدافها الاستعمارية .

لم تكن الحملات التشهيرية السابقة كافية لأوروبا لتكف عن
الدولة العثمانية ولكننا نراهم في القرن التاسع عشر الميلادي يطلقون
عدة مسميات على السلطان العثماني فهو المريض الذي لا يرجى شفاؤه، ورجل
(١)
أوروبا المريض .

(١) جاك س . ريسلر ، الحضارة العربية ، ص ٣٧٦ .

وكان إطلاق تلك المسميات في البداية على نطاق ضيق في المجال الدبلوماسي المغلق ولكن لم تمض سنوات قليلة حتى أذيعت تلك المسميات في الخمسينات من القرن التاسع عشر الميلادي^(١) لقد انتقلت تلك المسميات إلى الدول الأوروبية ووقف عليها الرأي العام البريطاني واتخذت منها مادة للتشهير بالدولة العثمانية وسواء كان هذا التوجيه بإيعاز من الدول الأوروبية وحكوماتها، أو جاءت من تفكيرهم السليم وحقدهم فقد كان الهدف الرئيسي منها هو التشهير بالدولة العثمانية متمثلة في السلطان العثماني ، والإعداد المسبق لدى الشعوب الأوروبية بأن سقوطها (الدولة العثمانية) أصبح وشيكاً^(٢) وكان نيقولا الأول قيصر روسيا هو أول من صدرت عنه عبارة الرجل المريض ، نظراً لأطماعه التوسعية في أراضي الدولة العثمانية ، حيث وضع الخطط الكفيلة للإستيلاء على عاصمة الدولة العثمانية إسطنبول وتحويلها إلى عاصمة للأرثوذكسية المسيحية^(٣) ، ولم يكن ذلك التصريح من قيصر روسيا وصديقه إبرديمن هو الأول من نوعه فقد سبق وأن أعلن رأياً يتفق مع ذلك التصريح حين قال : (قيصر روسيا) عام (١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م) (ليس في استطاعتي أن أبعث الحياة في الموتى ، إن الإمبراطورية العثمانية دولة ميتة ليس لدي ثقة في أن يستمر هذا الجسم العجوز محافظاً على الحياة ، إنه في انحلال من جميع النواحي)^(٤)

واصلت روسيا وقيصرتها التشهير بالدولة العثمانية ، وأنها رجل مريض ، ففي عام (١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م) قبل حرب القرم صرح قيصر

-
- (١) على حسن ، العثمانيون والروس ، ص ١٠٩ .
 - (٢) عبدالعزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ٢ ، ص ٨٣١ .
 - (٣) محمد علي البار ، المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، ج ١ ، ص ٤٧ .
 - (٤) الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ٢ ، ص ٨٣١ .

روسيا في حديث له مع (سيرهاملتون سيمور) ، وأقواله هذه تدور حول اعتقاده أن السلطان العثماني مريض للغاية، وقد يلفظ أنفاسه في أي لحظة لذلك من الخير للسلام العالمي أن يفكر ملياً في توزيع ممتلكاتـــــــــــــــه قبل وفاته وكان تقسيمه لهذا الميراث بين روسيا وبريطانيا دون حرب

(١)

وقد قصد الروس من ذلك إيجاد أسباب الشقاق لإعلان الحرب بحجة مقبولة لدى الدول ، وقد سافر السفير الروسي من عاصمة روسيا إلى اسطنبول عام (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) بعد أن اتصل ببريطانيا ووضعوا الخطط المشتركة لتقسيم الدولة العثمانية وعرض الروس على بريطانيا التساهل معهم إذا ساعدوهم ، وذلك باحتلال مصر وكريت ، ولكن السفير البريطاني لم يعط جواباً شافياً ، وأجاب القيصر ، بأن الأولى معالجة الرجل المريض وتعهدده حتى يتم شفاؤه ليعود إلى سابق قوته ، لأن موته يسبب إهدار الدماء الغزيرة حين القيام بتقسيم تركته .

إن ما قامت به إنجلترا وتحفظها في موقفها مع روسيا
ومحافظتها على كيان الدولة العثمانية من الإنهيار لم يكن حباً لها
ولا محافظة على ممتلكاتها ، بقدر خشيتها من الإمتداد الروسي وتقدمه
في الدولة العثمانية لأن ذلك تهديداً لمصالحها في البحر المتوسط
ومستعمراتها في الشرق الأدنى .

وقد أقنع الفرنسيون بريطانيا بضرورة مقاومة الخطر الروسي
(٣)
المهدد للمستعمرات الهندية ، وطريق مصر .

(١) سليم قبعن ، تاريخ الحروب العثمانية الإيطالية ، ج ١ ، ص ١٨ .

(٢) على حسون ، العثمانيون والروس ، ص ١٠٩ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

عندما أدرك الروس عدم إصفاء بريطانيا لمطالبهم المحسوسا
للفرنسيين بالتساهل إذاً فلسطين ، ودعمهم إياهم لاحتلال فرنسا لتونس ،
وبلاد المغرب ولكن الفرنسيين لم يعيروا أذناً صاغية لذلك لأن اهتمامات
نابليون الثالث كانت منصبة على محاولة إرجاع مجد فرنسا السابق فـ (١)
أوروبا كما كانت في عهد عمه نابليون الأول .

أن إنجلترا رأت المحافظة على بقاء الدولة العثمانية ليس
حياً فيها ، أو إنقاذاً لها مما لحقها من الضعف ولكن الذي حملها على
الوقوف بجانبها و حمايتها هو : المحافظة على المصالح البريطانية
والحيلولة دون التوسع الروسي في الممالك العثمانية وعدم إفساح المجال
لفرنسا لمنافستها .

فبريطانيا ظلت محافظة على سياستها تجاه الدولة العثمانية
حتى عام (١٢٩٥ هـ / ١٨٧٩ م) ، ولكن هذه السياسة لم تلبث أن تغيرت
إذ قامت بريطانيا باحتلال جزيرة قبرص عام (١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م) ثم تلى
ذلك سيطرتها على مصر عام (١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م) في عهد وزارة جلاستون
الثانية ، وبذلك تكون بريطانيا قد ساءرت الدول الأوربية وعلى رأسها
روسيا وفرنسا في خطتهما التدميرية للدولة العثمانية . (٢)

(٣)
إن تعبير الرجل المريض ، أو المريض الذي لا يرجى شفاؤه

-
- (١) على حسون ، العثمانيون والروس ، ص ١١٠ .
(٢) عبدالعزيز نوار ، التاريخ المعاصر لأوروبا ، ص ٩٧ ، ٩٩ .
(٣) نفس المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

إنما هو تعبير سياسي ، للدلالة على ما أصاب الدولة العثمانية من
ضعف سياسي وعسكري ، بلغا بالدولة حد الإضمحلال في القرن التاسع عشر
الميلادي وهذا الضعف الذي انتاب الدولة ، كان للدول الأوروبية
الجانب الأكبر فيه والمسئولية العظمى^(١) كما سنأتي على ذلك في
الصفحات القادمة .

(١) الشاوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، ج ١، ص ٨٢٢ -

ان تفاؤل الوجود العثماني في أوروبا كان بسبب الحملات
التشهيرية التي تحدثت عنها في الصفحات السابقة ، ثم عوامل الضعف
الداخلية والخارجية •

أخذت عوامل الضعف التي انطوت عليها الدولة العثمانية
تعمل عملها حيث نشبت الفتن والإضطرابات الداخلية والخارجية وذلك
عندما بدأ نجم الدول الإستعمارية في الظهور، ونجم الدولة العثمانية
في الأفول •

ومن تلك العوامل الداخلية التي أسهمت في ضعف الدولة
العثمانية وتدهورها وفي مقدمتها عدم التمسك بالدين الإسلامي •

لقد اعتمدت الدولة العثمانية منذ تأسيسها على العلماء
واتخذت من الشريعة الإسلامية منهجاً وطريقاً ونبراساً تهتدي به، فقد
قرب السلطان عثمان مؤسس الدولة العلماء والفقهاء إليه مثل الشيخ
أده بالي وهو شيخ جليل تفقه على علماء الشام وقرأ التفسير والحديث
وكان السلطان يرجع في شئون الدولة الدينية (١) •

وقد سار سلاطين آل عثمان على هذا المنهج في تقريب العلماء
والاعتماد عليهم في الدين وأمور القضاء وباقي شئون الدولة فهذا العامل
الرئيسي - العامل الديني - عندما اعتمدت عليه الدولة عزت واتسعت
وفتحت باسم الدين الإسلامي، وعلت على الأمم ، ونشرت لا إله إلا الله
خفاقة في أصفاء جنوب شرق أوروبا ، وكان هذا العامل عاملاً من عوامل

(١) طاشكيري ، الشقائق النعمانية ، مخطوط رقم ١٥٠٨ ، ص ٦ •

البناء والإزدهار للدولة إبان قوتها ، ولكن عندما بدأت الدولة في التدهور وتركت الإلتزام بالشريعة الإسلامية وأحكامها ، وأصبح العلماء أداة طيعة لتنفيذ أوامر السلاطين والأمراء حينئذ تبدل الحال ، وبدأت الضربات تنهال عليها من كل حدب وصوب ، وكان التنكيل المصليبي والتخريب لإسقاطها واقتسامها وانتشر الإسراف والتبذير والبذخ ، وأصبحت الدولة تنوء تحت ثقل وعبء كبير من سلاطين وأمراء اعتادوا الترف والإسراف .^(١)

ومن تلك العوامل أيضاً اتساع رقعة الدولة العثمانية حيث حكمت الدولة العثمانية ولايات مختلفة الأديان والمذاهب والأجناس ، وحفظت نفوذها بحكمة وشدة ونشاط إبان قوتها وقوة سلاطينها الأوائل حتى عهد السلطان سليمان القانوني ، ولكن هذا التوازن لم يدم في عهد السلاطين الضعاف ، الذين تولوا عرش السلطنة ، حيث لم يكونوا على قدر من الكفاءة والقدرة فأضاعوا جهود من قبلهم ، وتقاعس البعض عن الخروج للحرب وقيادة الجيوش ، وتحجبوا في قصورهم وبذلك تمرد الإنكشارية الذين تعودوا على الخروج للقتال والسلطان في مقدمتهم ، وكان نتيجة هذا التحجب أن أصبح السلاطين في معزل عن معرفة حقائق وشئون الدولة وخصوصاً وأن الحاشية التي كانت تحيط بالسلطان كانت تعمل على ألا يصل إلى مسمعه إلا ما يوافق أهواءها ، وإن ضعف السلاطين وعدم خروجهم للقتال أدى إلى سقوط هيبتهم لدى الجند الذين شعروا بقوتهم

-
- (١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ص ٢٤ .
 - (٢) السلطان عبدالحميد الثاني ، مذكرات السياسة ، ١٨٩١-١٩٠٨ م ، ص ٧٨-٧٩ .
 - (٣) محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٩٠ - ٥٩٢ .
 - (٤) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ، ص ٢٣ .
 - (٥) نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

الذاتية فكانوا يرغمون السلاطين على زيادة مرتباتهم والمطالبة بالأعطيات وإذا منعت عنهم كان بإمكانهم عزل السلطان وتعيين آخر وقد أدى ذلك الترف الذي عاش فيه الإنكشارية إلى فقدانهم لصفاتهم الحربية التي تمتعوا بها.^(١)

كذلك نلاحظ أن هذا الجيش الإنكشاري الذي كان أحد الأسباب الرئيسية للفتوحات العثمانية في أوروبا وعاملاً من عوامل النصر ابان قوة الدولة أصبح وبالأعلى عليها في قرونها الأخيرة ، فكان تمرد الإنكشارية سبباً في زعزعة سلطة الدولة وقدرتها الحربية وضعف حكم الدولة فـفي المقاطعات التابعة لها.^(٢)

ومن تلك الأسباب الداخلية أيضاً انتشار التزوير في أنحاء الدولة وبخاصة في الأمور الإدارية ، على الرغم من العقوبة الرادعة وهي القتل إلا أن الرشوة انتشرت بين الكثير من الوزراء مما شجع على الخيانة والسرقات .^(٣)

وقد تفشت الرشوة بين الجند حيث أصبح ترفيع القواد وترقيتهم لا يتبع الكفاءة الشخصية والجدارة ، بل بمقدار ما يبذلونه من الرشوة للولاة وبطانة السلطان ، كذلك لم يدخل في الجيش من الإصلاحات ما يمكنه من مجارة الجيوش الأوروبية من استخدام الآلات الجديدة الخاصة

(١) محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٩٢ .

(٢) Enver Ziya , Op, Cit., Part 5, P, 7 .

(٣) Halil Inalick. P, 103 .

(١) بالقتال ، ولم يقتصر أمر الرشوة على الجند ، بل تعداه إلى الصدور العظام وهؤلاء الصدور العظام الذين كانوا يتولون الوزارة لـم يكونوا بعيدين عن الشبهات : فهذا بلطه جي باشا الصدر الأعظم في عهد السلطان أحمد الثالث (١١١٥ - ١١٤٣ هـ / ١٧٠٣ - ١٧٣٠ م) ، تقاضى رشوة من بطرس الأكبر قيصر روسيا (١٠٩٣ - ١١٣٨ هـ / ١٦٨٢ - ١٧٢٥ م) حيث ألقت عليه القبض الجيوش العثمانية وهو يسير جنوباً بمحاذاة نهر بروت فلم يجد بداً من طلب الصلح ، واستجاب بلطه جي محمد باشا لطلب القيصر ، وعقد اتفاق أو سلم بروت في ٢٣ يوليو - تموز (١١٢٣ هـ / ١٧١١ م) ووافق القيصر على هدم القلاع المعترض على إقامتها والتنازل عن آزوف وعدم التدخل في شئون القرم وبولندة وألا يعود بتعيين سفير في إسطنبول وعدم التآمر مع رعايا السلطان الأرثوذكس .

ومن تلك الخيانات خيانة أحد القادة يوسف باشا في حكم السلطان محمود الثاني (١٢٢٤ - ١٢٥٥ هـ / ١٨٠٩ - ١٨٣٩ م) وذلك بتسليمه مدينة وارنة الحصينة للروس الذين كانوا يحاصرونها والتجاء إلى بلادهم ومن ذلك خيانة أحمد باشا القبودان العام للأسطول العثماني وذلك بتسليمه لمحمد علي باشا والي مصر الأسطول خلال الحرب التي نشبت بينه وبين الدولة العثمانية في عهد السلطان عبدالمجيد (١٢٥٥ - ١٢٧٨ هـ / ١٨٣٩ - ١٨٦١ م) .

-
- (١) محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٩٢ .
 (٢) عبدالعزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٦١١ .
 (٣) محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٢٧ .
 (٤) نفس المصدر السابق ، ص ٢٢١ ، ٢٣٧ .

وان وجد هذا النوع داخل الدولة فقد وجد المالحون منهم
 مثل أحمد جانبي الدفتردار في عهد السلطان أحمد الثاني وكذلك حاجي
 علي باشا، وحسين باشا عموجة زاده في عهد السلطان مصطفى الثاني
 الذي كاد يعيد للسلطنة مكانتها لولا المؤتمرات ، وهذا كوبرلي حسين
 باشا في عهد السلطان مصطفى الثاني (١١٠٧ - ١١١٥ هـ / ١٦٩٥ - ١٧٠٣ م)
 الذي تنحى عن الصدارة خوفاً من المكائد والشُرور التي أخذت تحاك ضده ،
 ورامي محمد باشا في عهد السلطان السابق ، وكذلك داماد حسن باشا
 في عهد السلطان أحمد الثالث حيث خلعه السلطان تحت ضغط أصحاب الغايات ،
 وحكيم زادة ، في عهد السلطان محمود الأول حيث قام بالكثير من الإصلاحات
 فخافت روسيا منه وأفسدت مابينه وبين السلطان ، وهذا مصطفى باشا
 البرقدار ساعد السلطان محمود الثاني (١٢٢٤ - ١٢٢٥ هـ / ١٨٠٩ -
 ١٨٣٩ م) ففضى عليه الإنكشارية والقائد ناظم باشا والي بغداد أهـاج
 الإنجليز الشعب ضده لسياسته المتشددة ضدهم فعزل في عهد السلطان
 محمد الخامس (١٣٢٧ - ١٣٣٧ هـ / ١٩٠٩ - ١٩١٨ م)^(١)

كذلك من أسباب الضعف الداخلي الزواج بالأجنبيات حيث
 بدأت هذه الظاهرة منذ الأيام الأولى لتأسيس الدولة العثمانية وبدأ
 بذلك السلطان أورخان بن عثمان الذي تمكن من السيطرة على الشطر
 الآسيوي وجاور الدولة البيزنطية حتى حسب له ألف حساب وأرتعدت
 فرائصها ، ثم استنجد بأورخان الأمبراطور جان باليولوج عام (٧٥١ هـ /
 ١٣٥٠ م) ضد ملك الصرب وعرض أن يزوجه ابنته إذا قبل مساعدته ،
 فكان بذلك أورخان أول من تزوج بأجنبية ، ثم فش ذلك فيمن بعده
 حيث تزوج مراد الأول (٧٦٢ - ٧٩٠ هـ / ١٣٦٠ - ١٣٨٨ م) من ابنة

(١) تاريخ جودت باشا ، ج ١ ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

أمير البلغار ، بينما تزوج بايزيد الأول (٧٩٠ - ٨٠٦ هـ / ١٢٨٨ - ١٤٠٣ م) من شقيقة الأمير اسطفان بن لازر ملك الصرب واسمها (أوليفيرا) ، وقد كان هذا الزواج في عهد المؤسسين الفاتحين ذا أسباب سياسية ، غير أن من أتى من بعدهم اقتصرت غاياتهم على اقتناء الحسنات من الجواري والسراري ممن كن بلاء على الدولة حيث كان ذلك الزواج يوئدي إلى خلق عيون للدول الغربية في داخل الدولة العثمانية ، وكان من جراء ذلك مالحق الدولة من الهزائم المتلاحقة (١) في أوربا .

كذلك تعدد الزواج من الأجنيب والسراري كان له أضراره الخطيرة على السلطنة حيث أدى ذلك إلى التنافس بين الأمهات من أجل تولية أبنائهن للحكم فضلاً عن التنافر بين الأخوة . (٢)

ومن أسباب الضعف الداخلي كذلك تنافر الأسرة المالكة ، فلقد كان آل عثمان في الفترة الأولى من حكمهم يسودهم التضامن والألفة وبلغ هذا التضامن إلى الحد الذي نرى فيه أن علاء الدين وهو بكر السلطان أورخان الأول يتنازل لأخيه مراد عن السلطنة مكتفياً بالوزارة ولكن سرعان ما تحول هذا الحنو والألفة إلى بغض وقساوة لامثيل لها في تاريخ الأسر المالكة فهذا السلطان يأمر بقتل ابنه لمجرد وشاية ، وذلك لعدم أخوته وأولادهم معهم ليكون في مأمن من أي طامع بالحكم إنها فظاعة وقسوة ، فهذا السلطان مراد الأول يقتل ابنه صادوجي لأنه ثار عليه مع صاحب إبن عاهل القسطنطينية ، والسلطان بايزيد الأول يقتل أخاه لأنه كان مهاباً فخاف منه ، وذلك محمد الأول بن بايزيد

(١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ، ص ١١ - ١٢ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٤ - ١٦ .

يقتل إخوته كافة ماعدا مصطفى الذي احتفى بامبراطور القسطنطينية ،
والسلطان مراد الثاني قتل عمه مصطفى والحق به أخاه مصطفى ، بسبب
التنازع على العرش ، وذلك محمد الفاتح قتل أخاه أحمد الرضيع .^(١)

ولكن إذا أخذنا بهذا العامل كعامل من عوامل الضعف فقد
ينطبق على السلاطين العثمانيين في العهود الأخيرة من تاريخ الدولة
العثمانية، فهل هذا حقاً تاريخ الأسرة العثمانية قتل وإعدام وموءمة
ومكائد، هذا يقتل وهذا يشنق، لاهم للسلطان الحاكم إلا التخلص من أفراد
الأسرة واحد تلو الآخر، لا رحمة ولا شفقة تأخذه لا لكبير ولا صغير ورضيع
ليس من المعقول أن يكون ذلك صحيحاً قد تكون هناك بعض الحوادث
الفردية التي تخلص فيها السلاطين من الشائرين في فترة الحكم
والتأسيس ولكن هذا لا يعني أن يطلق ذلك ويعمم على جميع السلاطين
فيكون بذلك بوءة سوداء في تاريخ آل عثمان جميعاً.

يضاف إلى الأسباب الداخلية كثرة الأموال وتدفقها على الدولة
من جراء الفتوحات التي غيرت الحياة الاجتماعية، مما أدى إلى الترف
وتبذير السلاطين^(٢) فقد كان آل عثمان في بداية دولتهم شديدي التقشف
والإقتماد، وعلى شيء كبير من البساطة في العيش ، شأن الشعوب التي
هي قريبة عهد بالبداءة ، فلما توفي السلطان عثمان مؤسس الدولة لم
يترك سوى ثوبين وفرس ، ولكن بعد ما انتصروا على البيزنطيين
واستولوا على القسطنطينية كان من جملة ما تركه العثمانيون تقشفهم وذلك
الإقتماد في حياتهم ، حيث لم يمض عليهم جيل واحد في اسطنبول حتى
عم البذخ والترف ، ولكن السلطنة في تلك الفترة لم تتأثر بهذا البذخ

(١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ، ص ١٥ - ١٦ .

(٢) محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٩٣ .

(١) والترف والإسراف نظراً لاتساعها وكثرة فتوحاتها شرقاً وغرباً، ولكن ما أن شرعت الدولة في التدهور ، والإنحطاط ، وأخذ جيرانها الطامعون الحاقدون يشنون عليها الحرب المتواصلة ويشيرون الفتن والقلقل فـ في بلادهم الشاسعة حتى صارت تتأثر بهذا الإسراف والبذخ وتنوء تحت أثقال سلاطين وأمراء اعتادوا الترف والإسراف ، وموظفين خصوا أنفسهم بأعلى المرتبات ، ولم يجدوا مخرجاً من ذلك سوى مصادرة أموال الأغنياء وتخفيض مرتبات صغار الموظفين ، وتقليل رواتب الجند، مما أدى إلى شيوع الفوضى والإضطراب ، وبالتالي ، التدهور والزوال بسبب الأموال التي كانت تصرف من قبل السلاطين على قصورهم وأفراحهم وشعونهم الخاصة من لباس للسلطان ، وأسرتة من الفرو وكل من يقوم على خدمة السلطان والحرم السلطاني وأولاده ، والمطابخ والوكلاء على خيم السلطان ، وثياب الخدم والإسطبلات والأعلاف واللحوم والمآكل ذلك كان يقدر بملايين الاقجاية (عملة ذهبية) هذا كله في الوقت الذي كانت فيه الدولة تنوء بحملتها، وخزانة الدولة شبه خاوية . (٢)

ليس السلاطين وحدهم الذين تقع عليهم التبعية في التدهور فهناك من أوكل إليه مهمة المحافظة على هذه المسؤولية كالوزراء الذين أوكلت إليهم المهام والتبعية في الكثير من مجالات الحكم، وإن الحديث عن مفسد الوزراء وجهلهم لا يعمم على كل من أعتلى الوزارة، ولكن الغالبية العظمى من هؤلاء الوزراء كانوا سبباً من أسباب التدهور بجهلهم أو لأنانيتهم فالقرنين الأولين من تاريخ الدولة العثمانية الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين أزهى قرونها، ولكن في الفترة الثانية من تاريخ الدولة العثمانية حيث احتجب السلاطين في قصورهم وابتعدوا شيئاً

(١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ، ص ٢٤ - ٢٥

(٢) نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦ - ٢٨ .

فشيئاً عن إدارة شؤون الدولة كانت هذه فرصة سانحة للحاشية لتوزيع
(١)
المناصب فيما بينهم وإسنادها إلى المقربين إليهم .

قال جودت باشا كان منصب الصدارة لايسند إلا إلى الوزراء
الذين يثبتون جدارتهم بالكفاءة والأخلاق أولئك الذين تولوا تباعاً
المناصب الكبرى ، وتدرجوا من إمارة السنجق ، فإمارة الأمراء ، فإمارة
الأناضول فالروم إلى ، غير أن حضرة السلطان سليم خان حاد عن هذه
القاعدة الثمينة ووجه مقام الصدارة مباشرة إلى إبراهيم أغا (خاص
أوطة باش) رئيس غرفته الخاصة ونظراً لأن السلطان سليم كان رأس الدولة
وما الوكلاء إلا كآلات بيده لم يظهر أي أثر سيء في زمانه ، عن تولي
الصدارة رجل غير أهل لها ، غير أن الضرر لم يلبث أن ظهر من بعد
السلطان سليم حينما أخذ خلفاؤه يحتذون حذوه في تنصيب من يشاءون
على الوزارات من الشبان الذين لم تسبق لهم تجارب ولم يعرفوا شيئاً
من أصول الحكم وكان هؤلاء اعتزازاً منهم بما كسبوا من إقبال الحضرة
الشاهانية يتصرفون بالأحكام على أهوائهم دون الرجوع إلى أهل المعرفة
(٢)
ودون الاستناد إلى قانون .

(١) محمد جميع بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ، ص ٣١ - ٣٢ .
(*) السنجق : هو الحاكم المدني لمركز إداري هو دون الولاية وفوق
القضاء وكان السنجق متصرفه أيضاً ، فقد كان العثمانيون يقسمون
المراكز الإدارية إلى أربع مراتب الأولى هي : رتبة الوالي ومركزه
الولاية ، والثانية رتبة المتصرف ومركزه المتصرفية أو السنجق ،
الثالثة رتبة القائم مقام ومركز القضاء والرابعة رتبة مدير الناحية
ومركزه الناحية . (محمد فريد ، الدولة العلية ،
ص ٢٢٦) .

(٢) تاريخ جودت باشا ، ج ١ ، ص ١٠٣ .

وكان إلى جانب العوامل الداخلية الكثير من العوامل الخارجية التي أسهمت إلى جانبها في ضعف الدولة وإنهاكها .

ومن العوامل الخارجية التي ساهمت في تدهور وضعف الدولة العثمانية ظهور دولتين مجاورتين للدولة العثمانية وعلى قدر من القوة هما الإمبراطورية النمساوية الهنغارية ثم روسيا ، وذلك خلال القرنين الحادي عشر الهجري والسابع عشر الميلادي (١) .

أما الإمبراطورية النمساوية فقد كانت تتوق للأخذ بالشار من الدولة العثمانية ، وما الحقته بها من ضربات موجعة ومتلاحقة في فترة قوة الدولة ، وقد رأينا كيف أن الدولة العثمانية وصلت في فتوحاتها إلى وسط أوروبا ودقت أبواب فيينا (١٥٢٩ م) وهددتها أكثر من مرة وكادت أن تقع في أيديهم .

وللنمسا العديد من المواقف العدائية من الدولة العثمانية ومن ذلك حربها عام (٩٣٩ هـ / ١٥٢٢ م) حيث اتحدت النمسا مع كل من أسبانيا والمانيا والبابوية ، ثم عقد الصلح قبل أن يتم النصر لأي الفريقين وكان الموقف العدائي الثاني عندما حقق النمساويون مع حلفائهم الألمان إنتصاراً على العثمانيين عام (١٠٧٤ هـ / ١٦٦٣ م) وتوالت تلك التحالفات النمساوية ضد الدولة العثمانية ، ففي عام (١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ م) اتحدت النمسا وبولونيا في حرب برية انتصر فيها العثمانيون وطاردوا الجيوش النمساوية وحلفاءها حتى حاصروا فيينا ، واهتزت أوروبا وارتعدت لذلك الإنتصار وبادرت إلى نجدة

(١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ ، ج ٢ ، ص ٧١ .

(١)
النمسا فارتد العثمانيون عنها وخسروا معركتهم (١) وفي عام (١٠٩٦هـ / ١٦٨٤م) اتحدت النمسا وبولونيا والبندقية ورومانيا مالطة والبابا وروسيا ضد الدولة العثمانية وكانت حرب برية وبحرية هائلة استمرت إلى عام (١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م) إنتهت بانهازم العثمانيين وجلائهم عن المجر .
(٢)

أما روسيا في الفترة ما بين (١٠٨٠ - ١١٣٨ هـ / ١٦٦٩ - ١٧٢٥ م) كان يحكمها القيصر بطرس الأكبر ، وكانت روسيا إلى ذلك التاريخ تعتبر دولة شرقية ، ولكنها بعد ذلك أخذت تفتح أبوابها في وجه الحضارة الأوروبية ومنها بدأ الصراع بينها وبين الدولة العثمانية حول حقوق التجارة الروسية في البحر الأسود (٤) الذي كان بحيرة عثمانية ، وقد أدى ذلك إلى حروب استمرت أكثر من مائتي عام ففي عام (١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م) ، إعتدى الروس على بلاد القفقاس، فتمكن العثمانيون من صددهم . ولم يرتدعوا حيث عادوا سنة (١١٠٨هـ / ١٦٩٦م) واعتدوا على بلاد القفقاس مرة أخرى مستغلين إشغال الدولة العثمانية في حروبها مع بعض الدول الأوروبية ولكن الدولة انتصرت عليهم وكاد العثمانيون يأسرون القيصر الروسي سنة (١١٢٣هـ / ١٧١١م) .
(٥)

ثم توالى التحالفات الروسية ضد الدولة العثمانية تباعاً

-
- (١) محمد جميل بيهم ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٧٣ .
 - (٢) نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٧٣ .
 - (٣) هربرت فشر، في أصول التاريخ الأوربي ، المجلد الأول ، ص ٣٧٥ .
 - (٤) فيليب حتي . موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٤ .
 - (٥) محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني ، ص ٧٥ .

ففي عام (١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م) اتحدت روسيا مع النمسا ضد العثمانيين بسبب بولونيا، ولكن العثمانيين إنتصروا عليهم ، وفي عام (١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م) إنتصر العثمانيون أيضاً ، ثم تجددت الحروب مرة أخرى عام (١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م) وانتصر الروس في هذه المرة ، ووقعت معاهدة كوتشك كينارجي والتي بموجبها دفعت الدولة العثمانية ضريبة باهظة وسمحت بمرور السفن الروسية في المياه العثمانية ، وحماية طائفة الأرثوذكس الذين هم من رعاية السلطان .^(٢)

هذه الحروب التي خاضتها الدولة أنهكت قواها وشغلتها عن الإهتمام بالكثير من المهام العسكرية الأخرى ، وكانت من أسباب ضعف الدولة وتدهورها .

ومن الأسباب الخارجية الأخرى مساندة الدول الأوروبية لدول البلقان الشائرة ضد الدولة العثمانية^(٣) وكان ذلك الإتحاد الذي تم بين جميع الدول الأوروبية - بعد انقضاء الحروب الدينية التي كانت بين الكاثوليك والبروتستانت - ضد الدولة العثمانية .^(٤) كذلك من هذه العوامل ظهور طائفة من القواد العظام في المجر وبولندا واتحادهم جميعاً في الوقوف والتصدي للدولة العثمانية ، ومنعهم إياها من الوصول إلى وسط أوروبا حيث كان هذا أحد الأسباب في انحسار المد الإسلامي نحو وسط أوروبا .^(٥)

(١) محمد جميل بيهم ، ص ٧٦ .

(٢) علي حسون ، العثمانيون والروس ، ص ٨٢ - ٨٤ .

(٣) هربرت فشر ، في أصول التاريخ الأوروبي ، المجلد الأول ، ص ٣٧٥ .

(٤) محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٨٩ ؛ ومصطفى حلمي ،

الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية ، ص ٥٨ .

(٥) موفق المرجة ، صحوة الرجل المريث ، ص ٤١ .

كذلك تقدم الدول الأوروبية بمقتضى إحياء حركة العلوم في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي على إثر سقوط القسطنطينية (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) فقد تقدمت أوروبا في العلوم والصناعة والتجارة والملاحة ونظام الحكم ، في حين جمدت الدولة العثمانية في أواخر عهدنا ولم تلحق بركب التقدم .^(١)

وهكذا عملت العوامل الداخلية والخارجية عملها في إضعاف الدولة والإجهار عليها ، وإذا ما أضفنا إلى ذلك تكالب الدول الأوروبية على الدولة العثمانية زيادة في إنهاكها والإجهار عليها والتعجيل في انهيارها ، وذلك باقتطاع أملاكها وتوزيعها غنائم وأسلاب فيما بينها مما أدى في النهاية إلى انهيارها وسقوطها ، وهنا بدأ التفكك في الحكومة والمجتمع وطريقة الحكم .^(٢)

كانت الدولة العثمانية قبيل الحرب مع روسيا عام (١٨٧٧ هـ / ١٣٦٥ م) تضم البلدان الآتية في أوروبا وشبه جزيرة البلقان حتى الدانوب وأمارتي الأفلاق وبغدان ، وبسارابيا ، والمجر وترنسلفانيا ، يودوليا ، وجميع الشاطئ الشمالي للبحر الأسود بما في ذلك شبه جزيرة القرم وآسيا الصغرى وأرمينية وغربي كردستان ، والعراق والجزيرة الفراتية وسورية ، والحجاز والأحساء واليمن ، وفي أفريقيا تضم كل من مصر وطرابلس ، وتونس ، والجزائر ، ومن جزر البحر المتوسط ، جزيرة قبرص وكريت ، كما ضمت بلاد جورجيا وداغستان وأذربيجان .^(٣)

(١) هربرت فشر ، في أصول التاريخ الأوربي ، المجلد الأول ، ص ٣٧٥ .

(٢) Robinson, Op, Cit., PP, 99 - 100 .

(٣) هاملتون ، جب وهارولد بورون ، المجتمع الإسلامي ، ج ١ ، ص ٣١ - ٣٢ .

كل تلك المناطق السالفة الذكر كانت تحت السيادة العثمانية
أبان قوة الدولة وعظمتها ، حيث بسطت نفوذها على تلك الدول فسي
القارات الثلاثة آسيا وإفريقيا وأوروبا ، ولكن بعد ذلك أخذت الدولة في
الضعف وبدأت تفقد ممتلكاتها .

ومن ذلك الحين بدأت الدول الأوروبية ترنو ببصرها نحو أملاك
الدولة العثمانية وتنتهز كل فرصة للإنقضاض عليها ، فهذه روسيا توجه
نظرها وأطماعها نحو المضائق للخروج من عزلتها ، وبريطانيا نود الوصول
إلى الهند عبر أملاك الدولة العثمانية ووسيلتها إلى ذلك هو استعمار تلك
البلاد ، أما النمسا والمجر عملت من أجل الوصول إلى أغراضها عن طريق
إشارة دول البلقان والتحالف معها ضد الدولة العثمانية ، وهذه فرنسا^(١)
عن طريق دورها كحامية للأقليات المسيحية في الشرق ، حيث استولت على
كل من الجزائر وتونس سنة (١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م) وأقصت تركيا عن البحر
المتوسط ، وساندت إنجلترا فرنسا في الدور الاستعماري حيث احتلت كل
من قبرص ثم مصر سنة (١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م) وشاركت إيطاليا أخواتها
في هذا المضمار حيث وجهت أنظارها نحو شمال إفريقيا واستولت على
طرابلس سنة (١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م) ومن ثم برقة وجزر الدوريكائينر^(٢)
وبذلك عزلت تركيا عن البحر المتوسط الشرقي وسبق ذلك فقدان الدولة^(٣)
العثمانية للدول الخاضعة لها في أوروبا حيث استولت البندقية على
المورة سنة (١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) ، وفي نفس العام تنازلت الدولة^(٤)
العثمانية عن المجر وفي سنة (١١٣١ هـ / ١٧١٨ م) تخلصت ألبانيا^(٥)

(١) سليم قبعن ، تاريخ الحروب العثمانية الإيطالية ، ص ١٨ .

(٢) جاك س ، الحضارة العربية ، ص ٢٧٧ .

(٣) على حسن ، العثمانيون والروس ، ص ٥١ .

(٤) هاملتون جب ، المجتمع الإسلامي ، ج ١ ، ص ٣٢ - ٣٣ .

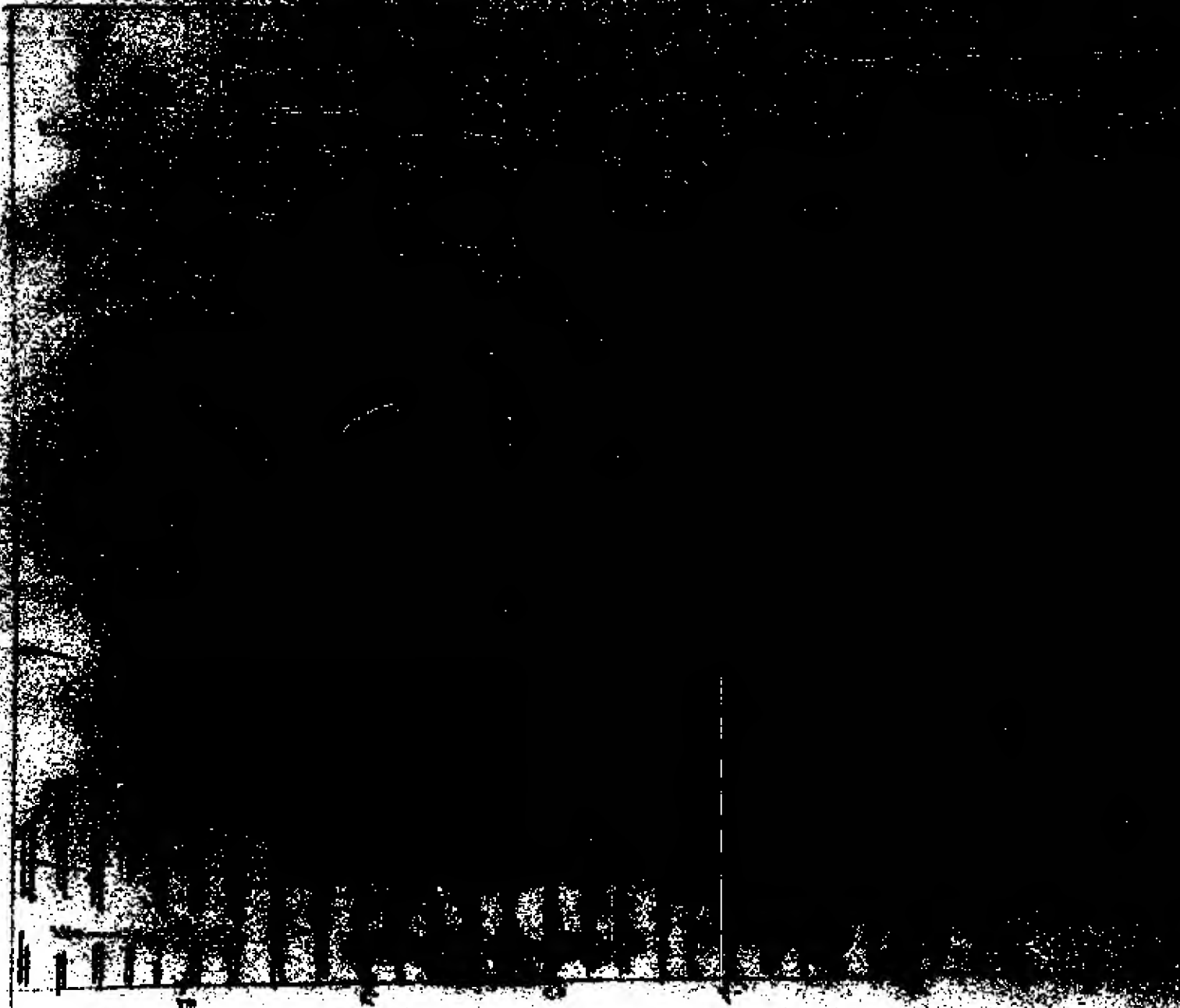
(٥) محمد فؤاد شكرى ، الصراع بين البرجوازية والاقطاع (١٧٨٩-١٨٣٨م) ، المجلد

وولاشيا ، والهرسك ، من الحكم العثماني ، تلى ذلك في سنة (١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م) وبعد موقعة نافارين فقدت الدولة العثمانية اليونان للأبد ومعها الصرب وملدافيا. ^(١) (انظر الخريطة ص ١٧٨) .

رأينا كيف بدأ العد التنازلي للدولة العثمانية وفقدانها لممتلكاتها الواحدة تلو الأخرى نتيجة لعوامل داخلية وخارجية مضافاً إليها النظرة الإستعمارية الحاقدة لأملك الدولة العثمانية والإستيلاء على تلك المناطق ، مما أدى في النهاية إلى ضعف الدولة وسقوطها واقتسام أراضيها أسلاباً رغنائم لمليبي أوروبا .

(١) جاك س ، الحضارة العربية ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(1YA)



الحائز
القبلة
١٤٠٩ هـ

الخاتمة :

لقد رأينا في سياق هذه الدراسة أن الدولة العثمانية اعتمدت منذ نشأتها وتأسيسها على يد السلطان عثمان على الدين الإسلامي، واتخذت من الشريعة الإسلامية نبراساً ودستوراً لها، كما أن فتوحاتها وجهادها في أوروبا كانت باسم الإسلام مما أدى إلى نشر الإسلام في أوروبا وخاصة في أقاليمها الجنوبية الشرقية .

وبنظرة عامة على محتويات هذه الدراسة أود الإشارة إلى أنني توصلت إلى النتائج الموجزة التالية :-

* أثبتت الدراسة أن الأتراك العثمانيين على الرغم من أنهم لم يكونوا من العرب إلا أنهم أسلموا وحسن إسلامهم ، وكانت فتوحاتهم من أجل الإسلام وبأسم الإسلام .

* كما برهنت الدراسة أن الموقف العربي الإسلامي كان موعيداً للموقف العثماني في نشر الإسلام يدل على ذلك أنه عندما فتح العثمانيون القسطنطينية قام سلاطين مصر بإرسال المبعوثين للسلطان محمد الفاتح مهنيين مستبشرين ، وأقيمت الزينات أياماً في القاهرة إبتهاجاً بهذا النصر للإسلام والمسلمين .

* برهنت الدراسة أن انتشار الإسلام في جنوب شرق أوروبا ، كان بواسطة التجار المسلمين الذين ارتادوا تلك المناطق ، بالإضافة لدور القبيلة الذهبية ، ومن ثم الفتوحات العثمانية لتلك المنطقة والعمل على نشر الإسلام، وتدعيمه ببناء المساجد والجوامع ، في جنوب شرق أوروبا .

* وضحت الحقائق التاريخية أن الانتصارات التي حققتها الدولة العثمانية في أوروبا لم تكسبها بسبب ضعف شعوب البلقان كما ادعى الأوروبيون بل يرجع ذلك إلى قوة الإيمان والرغبة القوية عند المسلمين في نشر الإسلام والجهاد من أجل رفع راية التوحيد إلى أبعد نقطة ممكنة ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور .

* كما أثبتت الدراسة ، أن الدولة العثمانية عندما وصلت فتوحاتها إلى فيينا ، وتمكنت من وضع النظم الكفيلة بتنظيم شؤون تلك الشعوب ، مما أدى إلى دخول الكثير من أهلها في الإسلام والدليل على ذلك وجود الأقليات الإسلامية ، في جنوب شرق أوروبا إلى وقتنا الحاضر ، كما عملت الدولة على تعبيد الطرق ، وبناء المستشفيات ، والمدارس في البلاد المفتوحة .

* برهنت الدراسة على أن السياسة التي اتخذتها الدولة العثمانية - تجاه رعاياها في جنوب شرق أوروبا المتممة بالسماحة الدينية - أدت إلى اعتناق الكثير للإسلام وجعلت الإسلام ينتشر انتشاراً كبيراً بين تلك الشعوب لما يتمتع به الإسلام من الرحمة والرفقة ، والعدل والمساواة ، التي لم تعهدها تلك الشعوب إلا في عهد الدولة العثمانية .

* كما أثبتت الدراسة أن المواقف الأوروبية (الصليبية) من الدولة العثمانية - سواء كانت تلك المواقف فردية أم على المستوى الدولي - استهدفت القضاء على الإسلام في شخص الدولة العثمانية ، حاملة لواء الإسلام ، والتي كانت تفتح المناطق الأوروبية باسمه .

* والذي يهمننا في هذه الدراسة ، أنه على الرغم مما حدث للدولة العثمانية من الضعف والتفكك ، الذي تسببت فيه الدول الأوروبية ، فإن الدولة العثمانية أسهمت في نشر الإسلام في جنوب شرق أوروبا وأصبح الأذان يرفع على المآذن في مناطق متعددة ، من أقاليم جنوب شرق أوروبا ، يشهد على ذلك الآثار الإسلامية الموجودة هناك مسنن مساجد وجوامع •

* وأخيراً وصل البحث إلى حقيقة هي أن العالم الأوربي بمففة عامة لا يحلو له أن يرى انتشار الإسلام يأخذ طريقة في مناطقهم ومن ذلك رأينا في سياق البحث مواقفهم المختلفة من عسكرية وغير عسكرية ، كل ذلك لتحاشي الفتح الإسلامي وضرب أي جهة تتبنى نشره والجهاد فسي سبيله •

الملاحق

عناوين الملاحق

ملحق رقم (١)

صورة عن نشرة الفتح الملكي لحضرة مراد خان غازي التي أرسلت إلى المالك المحروسة والتي تحتوي نعر قوس اوه وهزيمة حاكم العرب .

ملحق رقم (٢)

صورة عن الرسالة الملكية التي كتبت من دار أبو الفتح والمغازي السلطان محمد خان غازي إلى عزيز مصر ليُرسل إلى شريف مكة المكرمة وذلك في شأن فتح استانبول وجوبه .

ملحق رقم (٣)

صورة عن نشرة الفتح الملكية المختمة لمدينة بلغراد التي صدرت وأُرسلت إلى الممالك المحروسة .

ملحق رقم (٤)

وثيقة رقم (٩) صفحة (٨٩) حكم رقم (٣٣١) بتاريخ ٢٤ شوال ٩٧٧ هـ ، وذلك بشأن مساعدة الدولة العثمانية لمسلمي الأندلس .

الملحق رقم (١)

صورة عن نشرة فتح الملكى السلطان حضرة مراد خان غازي التي
أرسلت إلى الممالك المحروسة والتي تحتوي نمرقوس اوه وهزم
مراد خان غازي حاكم صرب مع خمسين نفس

الحمد لله الذي يستحق الحمد والشكر وهو الرزاق على الإطلاق ومقتح
الابواب الذي منح لواء السعادة أن يتترف في أوج العالم بواسطة السلاطين
ودمر بلاد الكفار وأعداء المسلمين برماحهم وسهامهم وجعل أبنائهم هباءً
منثوراً ومزقهم شر ممزق والحمد لله الذي فرض الجهاد على المسلمين
(يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة
والإنجيل والقرآن) وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من غز
غزوة في سبيل الله أدى إلى الله جميع طاعته) وأخبر الله إن الذين
يجاهدون في سبيله هم الفائزون (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل
الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ببشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وحنان ولهم فيها نعيم مقيم خالد في فيها أبداً
إن الله عنده أجر عظيم) (وقال رسوله الكريم) : (لا يجد شهيد من ألم القتل
إلا كمن القرمصة) وهم أحياء عند ربهم يرزقون (ولا تحسبن الذين قتلوا في
سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله
من فضله) (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا حرّم الله على النار)
وهذا الحديث يشير أنهم لا تحرقهم النار .

وحينما وصل الخطاب الملكي الرفيع إعلموا أن المعركة قد بدأت في
عام ٧٩١ في شهر شعبان في ميدان قوس اوه . وأخبر أن أحزاب المشركين

عليهم العنة الله والملائكة والناس أجمعين جرحوا مسلمين وقطعوا أيديهم وعلى حسب الآية (وعسى أن تكرهوا شيئاً فهو خير لكم) جهز المسلمون أنفسهم بعد صلاة الصبح للقتال وعين يلدرم بايزيد في جانب الأيمن وبعده أمير الأمراء : وأمير روم ايلي تمرقاش باشا وكذلك أورنوس بك وطورجه بلبان ولاشاهين وعيسى بك ويخشى بك ومستجاب ضوباس ، وفي الجانب الأيسر يعقوب بك وبجنه أمير أمراء أناطولي سارجه باشا وابنه بك صوباشى والوزير نظير على باشا يسر الله له ما يشاء وكل منهم أخذ مكانه على رأس الجنود وكذلك جهز الجيش في ميدان القتال مهيباً للشهادة في سبيل الله كانوا يقفون كسد منيع أمام العدو ومعهم الجيش الإنكشاري كذلك . وقبل ابتداء الحرب قاموا بالمال وتنظيم الجيش ثم الوزير الأعظم على باشا دخل ميدان القتال وهو على حصانه فبدأ يحارب قوادهم ورؤ سائهم ومنهم بوركيل بعناية الله استطاع أن يغلب عليه ويقطع رأسه وبعده ذلك بدأ الفرار في صفوف الأعداء وبعد ذلك جاء إبنى يلدرم خان وساعدهم في القتال وهزم أحزاب الأعداء وقطع رأس ابن ولاس وهو من رؤ ساء الأعداء فبدأ الفرار والسرور في صفوف المسلمين حيث أنهم غلبوا الكفار . وجنود الكفار بدأوا يهربوا أمام قوات المسلمين (كأنهم حمر مستنقرة فمرت من قسورة) . والمسلمون حمدوا الله ، وشكروه حق شكره لانهم يعرفون بأن هذا النصر من الله (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) .

و اما شهداء المسلمين فهم في جنات نعيم خالدين فيها يرزقون بنعم الله وبعد انتهاء الحرب بدأوا في توزيع الغنائم بين جنود المسلمين

ثم شرعوا فى الرجوع إلى الخيمة الملكية وحينئذ كتب هذا الخطاب
(فتح نامه) وأرسل إلى الممالك المحروسة • ولابد أن تقوم بفتح
الفتح وتظهروا السرور حينما يصل إليكم هذا الخطاب •

وقد كتب هذا فى شهر شعبان عام ٧٩١هـ بموقع قوس اوه •

فرار از اندوختن کز خفته چنانچه آیین امانت دار نیست سر بمهر بتدبیر دلپذیر مشا فیهنت
براز کرد. در هنگام باز نمودن نسیم ختامه مسک پشام انس و جان رسیده دماغ
همکنار مجر و معطر ساخت و جواهر الحکایات نفیسه اش که دال بود بر شعله افروزی
شمع دولت آن نور چراغ سعادت و فیروزی بجای کوه شجره دره التاج اکلیل
کامکاری نموده هر نقطش چو در تمکین بجای کوشواره در کوش خرد کشیده شد و معانی
نفیسه اش را چون روح ثانی بمد حیات جسمانی انکاشته نشسته آب خضر و نمونه جام
جم پنداشت و چون مشعر بود بتسلط و استیلاء آن ملاذ اسلام بر قلاع و بلاد کثیره
از ممالک اعدای سقر مقرر بد اندام و انتقام کستان قمرانیان بد سرانجام سپارش ملک علام
ادا نموده گفت * یت * چو بر تافت تابع زمشروع روی * یقین شد بلیه بلا مرک پوی *
مع هذا در باب عفو و امان آن آنکه شایسته لطف و احسان شاهانست بجای آورده اند
جزاکم الله خیر جزاء امید که همواره اعدا سر نکون و مخالفان زار و زیون کشته
چون مهر منیر ظالمکیر باشند باقی حالات را از رسول مشارالیه استخبر فرموده علی
التعاقب فرستاده این مخلص قدیم نیز بصرب صواب غماز وجه شناسد ان شاء الله تعالی
حق جل و علا وجود شریف خداوندی را در اوج عزت مہمہد داشته دولت بکام و کینی
غلام باد بمحمد و آلہ و صحبہ الامجاد بیورت اوجان

* جنمکان سلطان مراد خان غازی حضرت نوری بلطفه الباری قوس اوه صحرانده *
* صرب حاکنی اقرانی اولان التي نشر باله بوز دقدن صکره وقوصبولان نصرتی حاوی *
* ممالک محروسه شاهانه به یازمش اولدیغی قحطنامه هما یونک صورتیدر *

تینا بدکره الاعلی و اله الامماء الحسنی * قل اللهم مالک المملک تؤتی المملک من تشاء وتزع المملک
من تشاء وتزع من تشاء وتذل من تشاء یسک الخیر انک علی کل شیء قدیر * جذبی غایه
و شکر بی نهایت اول کریم و هاب و مقبح ابواب و غالب علی الاطلاق و رازق خلایق افاق
جنانیه لایق و سزادر که اوای سعادت انتقامی سلاطین اسلام مداری طراز صبح جہان
اقدوز کی مشارق دن مغار به مطرز و معلی قیلوب و سنجاع مهر درخشان اوج رفعت
و فیروزیدن اباعد و اقار به ارسال و القایدوب عکرا نیم مأثر سپهر مقادیر اهل دینک
مطاعن رماح و سہام شهاب ارتسامن اعدای شیطین نهاد رجومیعون برقی خاطف
مانندی ظلمت هیمای دیجور آورده روان ویران ایلدی و اجساد آنشی نژاد عنده عنده
اصنام کفار خاکسار حجیم مقام خذلایم الله و دمر هم اوزد لرینه جهادی ارباب اسلامه
فرض و لازم قیلدی و معرکہ قتالده ضرب و حرب ایدوب * یقیناتلون فی سبیل الله
فیقتلون ویقتلون و عدا علیہ حق فی التوریه والانجیل و القرآن * مضمون سعادت
مشکوئنه منظر دوشنری * من غزا غزوة فی سبیل الله ادی الی الله جیع طاعنه * حدیث
شریفه مغتم ایدوب * الذین آمنوا وهاجروا وجاهدوا فی سبیل الله باموالهم و انفسهم
اعظم درجہ عند الله و اولئک هم الفائزون یشرهم ربهم برجۃ منه و رضوان و جنات
لهم فیہا نعیم مقیم خالدین فیہا ابدان الله عنده اجر عظیم * آیت کریمه سبلہ درجات
عظیمه به فائز قیلوب و فی سبیل الله شہید اولئکه اشارت بر بشارت حدیث شریف
حضرت رسالت * لا یجد شہید من الم القتل الا کس القرضه * سهولتدن استنامت
و استراحت نصب ایلوب و فرمان حیات بخش * ولا تحسبن الذین قتلوا فی سبیل الله

امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله تحقیقین عمر ابدی وبقای سرمدی مرزوق ایدوب من قاتل لیکون کلمة الله هي العلبا حرمة الله علی انصار حدیث منی اوزره رات برات عذاب جیم احسان پیوردی لهذا اقضی قضاء المسلمین اولی ولایة الموحدين حجة الحق علی الخلق اجمعین وارث علوم الانبیاء والمرسلین المختص بمزید عنایة الملک المعین الخاکم العدل بقضاء بروسه دامت فضائله کما طابت شجائله توقع رفیع همایون واصل اولیحق معلوم اوله که سنه احدی وتسعين وسبعائة شعبانک اون دردی واقع اولان دوشنبه کوئی قوس اوه صحرا سنده اعدای خاکسار به معرکه غزاده صفوی قتال مهیا قیلنوب مجاری به آغا زنده ایکن اتصاف اعدا جانندن نوحا تعویفی ملاحظه اولمغین الخیر ما اختاره الله اوزره توقف اولنوب لکن طرفیندن قرا ولر چیقوب غفلت اوزره اولماغه بوجانندن اینجه بلان شیرزیان ویرغران کی اوخنازیرک قراولنده طوقنوب وایکی نفر برادر دلری کسبلن باشلرله مغرب نماز به قریب ایدی که رکاب همایون اوکنه الی بغلوا بر شدروب نکونسا قندقدن صکره خبر آئندی که احزاب مشرکین علیهم لعابن الله والملائكة والناس اجمعین اسلام عسکرینه شجوند تدارکن کور مشکن یورکیل نام بان شاید حاضر شکار یمزی کیجه ایله قاچورب الدن چقاره وز دیو کبر وعجبه توقف ایتدوش و بو خصوصک اصفا سندن عسی ان تکرهوا شیتا فهو خیر لکم خواسته قلوب مؤمنینه نوحا تسلی بولنوب و بالجمه غار و نیاز قیلنوب درگاه کریم کار سازدن استدعای فتح و ظفر اولنوب اجابتی امیده ایله اول کیجه صبحه دك هرکسنه اقدام اقدامی رکاب اهتمامدن ایرمیرب دیده به خواب غفلت حرام وحسام خون آشام فرق فرقی اعدانک قطعنه نیامدن خارج بی صبر و آرام ایدی که مادر ایام اللیل جلی منظومه سنی اوزره برانتون باشلر عنصر لطیف تولید ایدوب آباء افلاک اسم پاکن مهر بلند اختر و خورشید برج ظفر اطلاق ایدوب و بالجمه لشکر اسلام فریضه صبحدن صکره پیاده و سرار اعلام نصرت نکارک یمین و یسارنده الای الای و فوج فوج و فرقه فرقه ابریشوب آداب و خضوع و انقیادله حاضر اولوب طور دیرو ترتیب صفوفه شروع قیلنوب صباغ قولده فرزند ارچند دولتیار و قائم مقام سلطنت شعار المؤید من عند الله الملك المنان اوغلم یلدرم یایزید خان ادام الله تعالی ایام عزه و اقباله تعیین قیلنوب و اندن اشاعه امیر الامراء الکرام روم ایلی بکیر بکسی عمر تاش پاشا دام اقباله و امراء کرامدن اورنوس بک و اینجه بلان و طورجه بلسان و لاشاهین و عیسی بک و یحشی بک و مستجاب صوباشی و صول قولده فرزند سعادت مند عاتق دار اوغلم یعقوب بک طبال بقناه مقرر قیلنوب و انت یانجه امیر الامراء الکرام اناطولی بکیر بکسی صاروجه پاشا قوشوندی لشکر یله و قسطنونی و حید و منش و تکه بک زاده لری و صکر میان سپاهلریله اینه بک صوباشی و قره مقبل طوروب و ذات همایونم جسد ده روح کی قلب سپاهی به کوروب و وزیر لا نظیر علی پاشا یسرالله له ما یشاء مقدمة الجیش مر اسمن یرینه کتوروب کیتور مکه تقبل ایدوب علی وار شهادت میدا ننده سبقتی اختیار ایدوب مهیا ایدی و یکجری اغاسی محمد اغا عرصه سطر نجه شاه اوکند پیاده طور زکی برین بکلیوب فرزین بکدک منصوبه سنه استحکام و یروب وایکی بیک نفر تیرانداز دخی طوس و اشکبوس جنکینه معادل قبضه کاندن پنجه لری منک ایتوب خدنگ جان ستانی دشمنه حواله ایتک اوزره طور زردی مقابله دن دخی ماده انفساد اولان

اولی از سواران و اولی از پیاده‌ها و اولی از کمانداران و اولی از اسلحه‌داران و اولی از
 و از نبود وجه و له بالترین چنانچه مکسورینه الوب بویندی نفر اعدای خاکسار
 باشو غزیه یدی باشلو از درها کبی زمره اسلام قصدینه باش بر کدوب
 جله آهن پوش و تیغ بردوش بر حرکت کلوب آهنگ جنک و جدال و آغاز حرب و قتال
 بلند در حال بوجانیدن آتش غیرت اشتعال بولوب اولان وزیر اعظم علی پاشا مبدانه آت
 صالوب اعدادن شبخون تدبیرین منع ایدوب قراولری اولان بورکیل ایله جنک و جدال
 ابتدکنده بعنایه الله تعالی مزبورک باشن کسب رکاب همایون اوکنه سرنگون
 راقدقه اعلام نصرت انجام فتح و ظفر اهتر از ایله خرامه باشلوب و بریر کوس حربی
 و نقاره و طبل چالوب و بوری و سورا صداسی فلک اطلسه پیوسته اولوب صباغ
 و صولدن صواش و اوغراشه باشلوب و طوب و تنسکر اتیلوب هوایر براندن نهان و زمین
 خون یلاندن رنگ ارغوان مانند اولوب کثرت غباردن شمس تابان کور غیوب هر یکادن
 قاشمه و دودر شمه ظهور بولوب آخر الامر اعدا تک الای نکیت خماسی غلبه شکننده
 قلب همایونه هجوم قشیکن اوغلم عین الدوله یلدرم خان دام ایام عمره و اقباله اطرافنده اولان
 عساکر منصوره ایله مدافعندینه اقدام تام و اهتمام تمام مبذول و مصروف قیلوب سیل روان
 و دریای پیکران کبی اوزدرینه بوریش ایتمکده رجع القهقری حزب اعدا تک یوزی عکسنه
 دولوب و لاس اوغلتک باشی کسب سنجاق معکوس و بیراق مکسور یله شم سمند مستنده
 خاکسار براغیلوب و عبیره لاولی الابصار نوک سخانه طاقیلوب ائک قلی اشهار بولیمق
 توابع شیطنت مائری کانه جرم مستغفرت من قسوره مشارالیه اوغلتک
 سطوت قهر قهرمان نیسندن متفرق و پریشان و منکسر و کمر یزان اولوب اولیای
 دولت منصور و اعدای حضرت مقهور اولدیلر الحمد لله الذی هدانا لهذا وما کنا لنهتدی
 اولان هدانا الله بوباید لسان دل و جان و ناطقه محمدت بیان سپاس و شکرانه مداومت
 کوسروب یولداشلقده بولتان وضع و شریفه بولوبولنجده ره ایتر قیلوب شهدای
 مسلمین رجته الله علیهم اجمعین حقیرینه تسلیم و انقیاد ملائکه اهلای علین دن اخلوها
 بسلام آمین خطاب مسرت آینه فردوس برینه دعوت اولوب شالیدین فیها ابتدا
 خلعتیه سرافراز لهنم فیها نعم نعمیه مغنم و مناز اولدیلر و بر تاج کون اول منازل
 متبرکده اقامت اولوب اسارای اعدا و غنیمت بی انتها کلی جمع و تقسیم اولوب و اوتاغ همایون
 عودیه آغاز قیلوب تخت بخت توجه اولندقه بوقیح نامده همایون یازیلوب ارسلان اولندی
 کرکدرکه وصول بولدقه مراسم بشارت قانون قدیم اوزره برینه کتوریلوب
 عمده الاقران سنان چاوش زید قدره ایله اطراف و اکافه اخبار مسرت آتاری شایع ایدوب
 دوام دولت ابد پیوندم ادعیه سنه اشتغال کوستره سز و بوندن خبری ائده خاصه خرج امینیه
 کور یله جک مهمسات میری ایچون حکم شریفم در کبسه کوندلشدر اوغروب کال
 بصیرت اوزره تدارک کوره سز شویله یله سز علامت شریفه اعتماد قیله سز تحریراتی واسطه
 شهر شعبان المعظم سنه احدى و تسعین و سبعمائه بیورت قوس اوه

چنگکان سلطان مراد خان غازی حضرت تارینک شهادت لری وقوعیه نعل رحمت
 نقش لری نک کوندلدیکنی مبین یلدرم یازید خان حضرت تازی طرفندن بروشه
 قاضیسیله خاصه خرج امینی سلیمان بکه اضداد و ارسال بیورلش اولان
 فرمان همایونک صورتیدر

ای صفا

فكانها ثعبان له سبع رؤس من قلاعها المشتهرة اوتلك القلل سبع رؤس شامخات تحصنه
رفيعة مهيبه بامر الله عز وجل لمقر الخلافة الاسلاميه ومرزوقه لنا بتقدير الحكيم
السيجاني ولاشك انها سلطان البلاد والاخريان من جنبيها يمينا وشمالا كخادمين في طرفي
السلطان فلما توجهنا وعزمنا عليها هجم علينا الكفار المملوء فيها خارجا وذاخلا
وحاربوا معنا فقام المحاربة بيننا وبينهم قريب شهرين بعد ابايهم عن اعطاء الجزية
الشرعية ثم عجزوا عن القتال وهربوا من الجبال فاهزجهم اهل الاسلام وبجاهد كل
من المجاهدين عن البرز والبحر حق الجهاد فقربوا من السور وسعدجهم كثير من الكفاة
الموحدين فوق منافع جدرانها المدرسة من المجهنق والعرادة فدخلوا في نفس هذه
البلدة المتبركة المنورة بقدم الموحدين بالكبير والتهليل يوم الثلاثاء والعشرين من شهر
جادي الاولى فقطع في مبداء الاول رأس رأس هذه الملاحين اعني الكفار والعين
اولحق بجيهم مع سائر المقتولين من المشركين فخر بواوؤرهم وكسر واصلبانهم واغاروا
خزائينهم واموالهم وانسروا ذراريتهم وصلبانهم وجعلوا معايدهم القسسية مناجد
الامة المحمدية وجع المنة الاحدية وظهر تلك المواضع عن الارجاس الزهانية والانجاس
النصرانية ففقطع دابر القوم الذين ظنوا والحمد لله رب العالمين بحم واما بقية السنيوف
فعفرنا عنهم وقطعنا عليهم الجزية السنوية تسعيا لبيت المال فلما تشرف منابر الخطب
بشرف القضاة العلية الباهرة وتزين وجوه الدارهم والدنا بيز المسكوك بزيانة اسمائنا
الجليلة الطاهرة جهزنا الى خدمتكم الشريفة فخير المقربين وزين محتاج الحرمين خواججه
حاجي محمد الزيتوني حفظه الله في الذهب والاياب ورزقه الوصول والمعاودة بالخير
والصواب لتبليغ الرسالة ورسيل البشارة فاما مول من مقرر عنكم الشريفة ان يبشش
بقدم هذه المسرة العظيمة والوهبة الكبرى مع سكان الحرمين الشريفين والعلماء
والسادات الميتمدين والزهاد والعباد الصالحين والشافخ الامجاد النواصلين والائمة
الاخير المتقين والصغار والكبار اجعين المتسكين باذبال سرادقات بيت الله الحرام
التي كعروة الوثقى لانقضاء المشرفين بزمرهم والمقام والمعتكفين في قرب جوار رسول الله
عليه التحية والسلام واعين لدوام دولتنا في العرفات متضرعين من الله نصرتنا
افاض الله علينا بركاتهم ورفع درجاتهم بالنبي النبي وآله وذويه وبعثنا مع اشار اليه هدية
لكم خاصة التي فلوري من الذهب الخالص التام الوزن والعبارة المأخوذ من تلك الغنيمة
وسبعة الاف فلوري آخر الفقراء منها الثمان لاسادات والبقاء والائف للخدامات الخصوصية
بالحرمين والباقي للممكنين المحتاجين في المسكة العظيمة والمدينة المسكينة زادهم الله
شرفا والمزجومتكم التقسيم بينهم بمقتضى احتياجهم وفقدهم واشعار كيشية السير
الينا وتحصيل الدعاء منهم لنا دائما بالمطف والاحسان ان شاء الله تعالى
والله يحفظكم ويقيمكم بالسعادة الابدية والسيادة السرمدية الى يوم الدين
آمين يارب العالمين وصلى الله على سائهم الانبياء والمرسلين وآله وصحبه اجعين

جنتكان ابو القح سلطان محمد خان غازي حضر تلي در كاهن دن استنبول فتحه دارمكة
مكرمه شريفه كوندريك اوزره عزير مصره كوندريش اولان نامة همايونك صورتي در

اعز الله تعالى انصار المقر الكريم العالي الكيرى العالمى العادلى المجاهدى المزابنى
الغبائى المهدى المشيدى الزعيمى الظهيرى الناصرى معز الاسلام والسلمين ناصر الغزاة

ذكر المجاهدين ملجأ الفقراء والمساكين زعيم جيوش الموحدين محمد الدول مشيد الممالك
 حامى الشعوب الإسلامية غياث الأمة المحمدية ملك الملوك والسلاطين عضد أمير المؤمنين
 وهذا بهذا القمع الذى جاء الاطياب فى بلاغته وجيرا وابتهل كل موحده واعلم
 بسورة القمع ونلا **﴿﴾** ونصرك الله نصرا عزيزا **﴿﴾** لازالت وجوه النصر ترى فى مرآة
 صفحه وثمرات النصر تيجنى من اعصان رماحه وغروض الجهاد بشيوقه المستنونة فى كل
 وقت تقام وبلا ده الاسلامية بحر وسعة بالجناب المحمدى عليه السلام وهمزات عوامله
 بصدور الكفار موصولة والسفن سيوفه بشعور بلادهم من رشف ارحاق دماهم ببلولة وهم
 ابطله منتظمة فى نصرة دين الله كالعقد النظيم **﴿﴾** وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم **﴿﴾**
 ولا برحت عزماته تحلى من اعداء الاسلام المتعاند وتعل منهم المعاقدة وتخلو اعليهم مواقف
 الحرب مستقرة المواقف وتصلح فى سماء القمع من سيوفه نيموما وقادة وتشهد على الكفار
 فى محضر العز وما يعجز وكيف وذلك الموطن بحل الشهادة فيهم بحمد الله ماسلك خلف
 الكفار برا الا **﴿﴾** قاتوا لقد بقينا من سفرنا هذا نصبا **﴿﴾** ولا خاض عباب بحرا **﴿﴾** لا اتخذ
 سبيله فى البحر نجيا **﴿﴾** اصدرنا هذه المقارضة الى المقر الكريم معربة عما نحن منظرون عليه
 من التهاى بهذا القمع الذى وضع على جبين الصباح بشره ورجح على ميزان الكواكب
 قدره ونخصه بسلام يتأرجح عرفا ويقلج وصفا ويكاد يمازج النسيم لطفا ونساء وجلل
 ملايس الاكرام واضنى واعذب مراد الوداد واصنى قد اتخذ نفحات المسك طليعه واجل
 زده المياك نفوذه وتوشيعه وانتشر به بناء الحب الذى استورد عنه من الصدور الرسائل
 بحفظ الله هذه النوبة ونبدى نعله الكريم ورود كذبه الكريم وخضابه الذى ازرى بالدر
 التنظيم على يد المجلس السامى الاميرى الكبيرى الاوحى الاكلى المؤتمنى المقرئ الجلالى
 يوسف القاينى الناصرى احسن الله وفادته ويسر الى المقر الكريم اطاعة فاكرمناه حين
 قابلناه ورفعنا محله لماننا وثنا واستنشقا المسك لما مضىناه وابتهجناه ابتهاج الظمان بورده
 ونظرنا منه الى احسن من برودار وض اذا حل الندى ازرار وروده فشمنا بخايل النصر
 من سضوره وزهنا النواظر فى رياض منظره ومشوره وتلمعنا من خطه وخضابه ماهوا زهى
 من زهر الخمايل عند مر النسيم ورجدناه مشملا على انواع البراعة محاسن وشى الرقيم
 مخويا على بديع الانفاذ التى سحبت ذيل البلاغة على سحبان فى الزمان القديم متضمنا
 بما من الله به ويسره على المقر الكريم من هذه النصرة على اهل الكفر والعناد وبلوغه
 من ارضام اعداء الله ورسوله نى الاصفر اقصى المراد واتهيننا الى ما اشار اليه من مسيرة
 على القسطنطينية العظمى بعساكره الاسلامية وجنوده المحمدية وانهم احد قوايسا
 فكانوا اليها اصفاذا وزلوا ارضها بجيا دخيل وقفت صابرة فكانت اوتادا **﴿﴾** وانه ارسل
 اليها فى البحر جوارى كالاعلام ومد ما فى النج سوار كانها معلقة بالايام ورمها بفرسان
 من البر واقدم على منازلها بمن اطاع الله وبره وحظيها بكر افتمعت واطالت فى التحنى
 فترفت فلما تحققت عظم امرها فى النفوس ورأت كثرة ما اتى اليها من نثار الرؤس ضجت
 الى الاحصان بعد انشور عمت ان الامتناع من قبول الاحسان لا يجوز فامكنت زمامها
 من يد خاطبها وامتنعت على رغم انف مراقبها وانشد لسان الحال **﴿﴾** شعر **﴿﴾** خطبها بكرا
 وما امهرتها **﴿﴾** الاقيا وقواضيا وفوارسا **﴿﴾** من كانت السمير العراى مهرة **﴿﴾** جلبت له
 بعض الحصون عرايسا **﴿﴾** الله اكبر ما جنب ثمارها **﴿﴾** الا وكان ابوك قبلك غارسا **﴿﴾** هذه كلها
 بفرام لم يشبها فى الحرب نكول ولا تفصير فكان بحمد الله جمعه جمع سلامة وجمع الاعضاء

جمع تكبير فآخذهم أحد القرى وهي ظالمية واعلمهم ان السيوف الاسلامية لم تترك لهم
بقوة الله بدا في الحروب مبسوطة ولا رجلا في المواقف قائمة فزول بعون اقدامهم ونكس
اعلامهم وقابل العدو وبصدره وقابل حتى افضى جديده يعضه وسمره وهبت نسيمات النصر
على جيوشه فقبل باخيل الله اركبي وباد النصر اكنبي وقام الحرب على ساق واضمى كل
من الاعداء الى حتفه بساق وشجرت سيوفهم الانغماد واقسمت انها لا تفر الا في الرؤس
والاسنة اسرعت والى انها لا تروى ثلماؤها الا من دماء النفوس والسهام قد انزلت انها
لا تلج كنيتها الا من النجور ولا تعرض عن جثا بالقسي بخبايا الاضلع الا نزعها لا نحل
الا في الصدور والدروع قد انزلت الا بطال قائمة لا تفارق الابدان حتى تنلى سورة الفتح المبين
والجبال حرمت وضيء الارض وقالت لفرسانها لانطاء الاجنة القتلى ورؤس المجاهدين
فعند ذلك اثبت سيفه الناصر الحق لانه القاضي في ذلك المجال ونفذ سهمها له لاجل
تصميمه فلم تمهل حتى اخذت دين الاجال وهو سال * شعر * الله اكبر هذا النصر
والظفر * هذا هو الفتح لان يزعم البشر * فظهر الله منهم تلك الديار وسلموا عند ما ايقنوا
بالدمار وصارت بحمد الله نجوم الضلال اقلية ومواطن الكفر بالاسلام اهله وعن الاذان
يعرب حيث كان الناقوس يضرب واصوات حسانكم الاسلامية بالتكبير والتوحيد بها
عالية فقد فهمنا ذلك وجدنا الله تعالى وقابلنا هذه البشارة بتكرار الشكر لله الذي جعل
جيوش الاسلام حيث سلكت ملكك وابن نجت من بلاد اسرت وفتحت فله الحمد
الذي ايدكم بنصره وجعل مهابة جيوشكم في قلوب الكفرة تقوم مقام هزيمة العدو
وحصره وظفركم على حزب المشركين الذين زرع هيتكم دانيهم وقاصيهم وانزل الذين
ظهر وهم من اهل الكتاب من صبا صبيهم وسدد سهم رأ بكم الذي دل على هلاك العدي
سرعة نظاه ووعدهم مغانم كثيرة تأخذونها فجعل لكم هذه وحكمكم في بلاد العدي
لتنشروا بها المهابة وتطوؤها واوورثكم ارضهم وديارهم وارضا لم تطووها ولقد ايدتم
هذا الدين الحمدي الذي وضع به طريق النجاة واسنار وفزتم بقوله عليه الصلوة
والسلام ما غيرت الله ما عبد في سبيل الله فتمه انبار وقوله صلى الله عليه وسلم ان الجنة مائة
درجة اعدها الله للعباده في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض
رواه البخاري ومسلم رضي الله عنهما فله الحمد على ما انعم به عليكم من النروات التي سطرت
اجورعا في صحايفكم وصحايف اسلافكم الكرام وصار خبرها غرة في جبهة الدهر
وحسنة في صحيفة الايام ولقد انشد شاعر حضرة نسا * شعر * كذا فليكن في الله
جل العزائم * والا فلا تحفرو بحفون الصوارم * كذا بك البحر اخضم جبا دها *
اذا ما نهادت موجبه المتلاطم * تحيط بنصرور اللواء مظفر * له النصر والتأييد عبيد
وخادم * فبانا نصر الاسلام بامن بغزوة * على الكفر ايام الزمان مواسم * نهن بفتح سار
في الارض ذكره * سرى الغيث يمدوه الصبا والتعائم * فعند ذلك امرنا باعلان البشارة واطهار
الزينة والسرفور بمالكنا الشريفة لما من الله به من هذه النصره واعد دناكم بصالح الدعاء
مع نضاعف المسرة واضمى المسلمون مستبشرين بهذه النعمة التي تسربل كل واحد منها
بابي لباس وتلاكل منهم ذلك من فضل الله علينا والانس وجهزنا امينكم مفر
النجاح والزوار زين الدين حاجي محمد الزيتوني زاد الله تقواه ويسر مناه مع الافلوريات
المسكوكة بالسكة الجيدة الجنديدة السلطانية المنبغثة الى شريف مكة المكرمة وفقراء
الحرمين الشريفين مع القافلة المصرية طامرجو من الله ان يصل الى المقصود وبالخير

سعود ان شاء الله تعالى واما ما اشار اليه الكريم من سروره وابتهاجه بمجلوسنا على سرير
ملكنا الشريف واذ كان جميع الرعايا لطاعتنا وامرنا المنيف من المشروف والشريف
وانه اخذ بالحظ الوافر من هذه البشري التي خصت الاسلام وعت امة سيدنا محمد عليه
الصلوة والسلام وانه امينا بدعائه ان الله يشدد ازرسلطاننا ويشيده ويجعل الرتبة ملكنا
الشريف مسجلة على مقاسنا ويخلد وما اشار اليه من انه عاقبة هذه الغزوة الشريفة
عن المكاتبة والابتداء بالخطابة لتحقيق بخواطرنا الشريفة تأكيد اسباب الوداد ونصحيح
على الاتحاد فقد فهمنا ذلك ونحقق ان المحبة لنا من هذا البيت الكريم مستدعة والمودة
بيننا وبينه كالاسلاف الكرام مستقيمة وقد تواردت الخواطر منا ومنكم على عقود المحبة
بجبل الاعتقاد وتأكد المودة بعزنا المخلص والوداد واما التهديدية التي شرفنا بارسالها فقد
وصلت وبالاقبال قبولت وشكرنا صدق محبة مهديا وثانيا على جبل موالاة التي لم نزل
في ملائكة ملكنا بنديبا وقواعدنا المجلس السامي الجلالي فاصدكم المشار اليه بعد ان هو مل
بمن يد الاكرام ووافر الاحسان وغرر الاحترام وارسلنا معه احدا امرانا واعز اخصائنا
المجلس السامي الاميري الكبير النذري المؤتمني الاخصى الاكثى المنقري الارحدي
السبي برودي الاشرفي ادام الله سعاده وكتب سلامته بما على يده من كتابنا الشريف
وخطابنا المنيف والهدايا والتحف التي تؤكد اسباب الوداد وجبل المصافات والاتحاد
وحبنا من السلام للمقر الكريم ما يتسم ثغر الدهر عند ادائه ويسفر وجه البشر عند ابدائه
وسيحيط علمكم التوسيع بما يحملناه من ذلك فتتحف بتجهيز رسله واخباره السارة من هناك
والله تعالى يمد باعزائه وانصاره ويخلد نعمه عليه بدوام ليله ونهاره بمنه وكرمه
كتب في اواخر شهر ذي القعدة اخرام سنة سبع وخمسين وثمانية الهجرة النبوية على
واضعها السلام

شريف مشار اليه طرفه من هدايا متبركة اليه براكش اولان جوا بانه من صور تيد

بقبال الارض في حضرت السلطان المخدومي المظفري المنصوري المجاهد المراهدي
الاغظمي المؤيدي المشيدي العرفي العرفي النصيري الناصري معين الاسلام والمسلمين
سلطان الملوك والسلاطين نورعيون المجاهدين نورحدايق لصف الله في الارضين قهرمان
الماء والطين محبي الشريعة الحميدة منبج الملة الاحمدية الفايق على اسلافه في الغزو
والجهاد المباهي بين اقرانه بالفتوح وتسخير البلاد الذي يفتخر بعهد الشريف السوابق
واللواحق من آل عثمان المشرف بشريف ان الله يأمر بالعدل والاحسان لا زالت
اوليائه منصوره واعدائه مقهورة وحصون الخصماء بصلايته مفتوحة ونواحي بلدانهم
وديارهم بمهاتته مضبوطة وما برحت نواحي احياء دولته في غداة غزواته مبيضة وشفا همهم
ضاحكة مستبشرة ووجوه المشركين عليهم اغبرة رهقها قزة اولئك هم الكفرة انفجرة وعساكره
المنصورة مؤيدة من عند الله العزيز المجيب واعلام نصره منشرة بكتايب نصر من الله
وقتح قريب ما قرنت الغبراء قرارها ودارت الخضر اوارها بالنبي النبوة وآله وذويه
وبعد يبدي لعليه العالي اعلاه الله وادامه بالدولة الابدية والسعادة السرمدية ان مشرفكم
الشريفة ومبشرتكم المنيفة وردت الى الخليفة الداعي بالاخلاص ومحبه المباهي
بالاختصاص هلي يد فخر الزار وزين الخجاج خواجه حاجي محمد الزينوني زاد الله تقواه
وجعل اخره خيرا من اوليه في احسن الاوقات واطيب الساعات فاستقبلناها بالتعظيم
وقبلناها بالاجلال والتكريم وقفناها بكمال الادب وقرأناها مقابل الكعبة المعظمة

بين اهل الجاز وانباء العرب قرأنا فيها من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وشاهدنا
من فجا وبها ظهور معجزة رسول الله خاتم النبيين وما هي الا فتح القسطنطينية العظمى
وتوابعها التي متانة حصنها مشهورة بين الانام وحصانة سورها معروفة عند الخواص
والعوام وجدنا الله تعالى يتيسر ذلك الامر العسير ويحصل ذلك المهم الخطير جدا يوافي
عنه وشكرا يكا في كرمه على ان ادائها فريضة مشكلة واحصاءها خارج عن الطاقاة
البشرية مقرين بالعدو والتقصير راجين الاعانة منه في طاعته انه على ذلك قد برحسب ماورد
في الاخبار من الاخبار الاخيار ان اعتراف العبد بصور خد منه لمولاه عند الغلة سهوا
او من عدم الاقتدار سعي معدود من احسن العبادات والقبول موقوف على رضائه حال
التضرع في الخلوات اللهم يا رب الكعبة والعرافات ويا نور الارض والسموات انصر
من نصر الدين واحفظ من حفظ المسلمين واكتب السلامة على كافة الغزاة وعامة المجاهدين
والحجاج والمسافرين في برك ومجرك يا رب العالمين وفرحنا بها نهاية المنيرة وبشئنا بذلك
غاية البشاشة وابتهجنا من احبائه مراسم آبائكم العظام والسلوك بمسالك اجدادكم الكرام
روح الله ارا واجهم وجعل اعلى غرف الجنان مكانهم في اظهار المحبة لسكان الاراضي
المقدسة من الفراق الاسلامية عملا بدلول والحب يتوارث واهدائكم لنا ولسائر السادات
والفقراء والصلحاء والعلماء المسرورين بما قال رسول الله عليه وسلم خيار امتي قوم بضحكون
جهرًا من سعة رحمة ربهم ويكون سرا خوف عذاب ربهم بالغداة والعشي في البيوت
الطيبة يدعون بالسنتهم رعبا ورهبا ويسألون بايديهم خفضا ورفعًا مؤتمهم هلى الناس
خفيفة وعلى انفسهم كعبه الحديث تسعة الاف افلوريات الجديدة بالسكة المحمدية
من انفال تلك البلدة العظيمة المعينة تقسيمها في مراسلتكم بالطفيفة فعلنا بحسب
الإشارة الشريفة فقبض كل واحد من المستحقين ككل القبض وقال الناظرون
عليهما الزجس الاصفر خير من الابيض وامتلأت اكف الفقراء من الذهب الاصفر
فضاروا كطالبي الاكسبر الواصلين الى الكبريت الاحمر واعين لكم بخلوص الجنان
راجين قبوله من الله الملك المنان كما قال عليه السلام دعاء المحسن اليه للمعسر لا يرد
حامدين لله على انعمه في الايام وساعاتها عملا بما قال عليه السلام الحمد على النعمة امان
من زوالها والمسؤل من فضل الله الكامل ان ينالكم خير الدارين العاجل والاجل
كما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم جنة عدن في السماء العليا لا يدخلها الا نبي
او صديق او امام عادل اخر الحديث والتمس من جنابكم السلامى ان يحيط عليكم على
احوال فقراء هذه الديار بالاصل والفرع ويزيد لطفكم على الضعفاء للتمكنين بواد
غير ذى زرع ابتغاء لمرضات الله يوم معاده كما قال عليه السلام خصتان ليس فوقها
شئ من الخير الايمان بالله والتفيع لعباده وبعثنا مع الحاجي زين الدين الشارابي قدوة
الصلحاء والمنورعين مولانا نجم الدين السيوطي زاد الله تقواه لينوب ثابنا في تسهيل
سدنكم السنية وتلثيم عنتكم العلية وتحفظ لخدمتكم برفع باب المسكة العظيمة والافقية
الهندية المتنوعة سبع طقوزات وعشرين شاشاة المبلولة بماء زمزم ورأس رمكة معلة
طائرة في الهوى كمامة الحرم فالمرجوم من نواب ابوابكم العالية الانعام بالقبول والعدو
عند كرام الناس مقبول اداكم الله وابدكم بالدولة القاهرة والسلطنة الباهرة الى يوم الدين آمين
﴿ جنم كان ابو الفتح سلطان محمد خان غازى حضر تلوى دركاهندن خواجه كريمى الشاسيله ﴾
ابراش شاهى جهانشاه ميرزا به اسنانبولك فحقى تبشيره كوندرايش اولان نامه هم ابونك صور تيدرم

ملحق رقم (٣)

صورة عن نشرة فتح بلغراد والتي أرسلت إلى قضاة الممالك المحروسة

مفاخر القضاة والحكام ومعادن الفضائل والكلام والمختصون بمزيد
عناية الملك العلام بإقضائى لممالك المحروسة حينما وصل إليكم هذا
الأمر تفكروا فى مضمون هذه الآية (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) .

والصلاة على عبدك الجميل الشفيع المشفع يوم التذليل والتبجيل
وعلى جنده الذين مثلهم فى التوارة والإنجيل ، أن تفعلوا أقدامكم فى
طريق الشريعة الإسلامية بموجب أمره (فاستقم كما أمرت) . وعلى
مضمون آيه (ولئن شكرتم لأزيدنكم) علينا الشكر على النعمة التى منحنا
وعلىنا كذلك التمسك بأمر الله تعالى (قاتلوا المشركين كافة) لكى
نسقط الوجوب عن كافة المسلمين لأن من قاتلنا فيتوجب القتال على الجميع
والله يساعد من قاتل لأجله كما قال الله تعالى: (والذين جاهدوا فىنا
لنهديهم سبلنا) إنه دولتنا قد شيعت من آذاهم إلى الهزائم ولم تكن
بقاياهم النتيجة العفو والتسامح من أسلافنا إذا قدرت على عدوك فاجعل
العفو شكراً للقدره . وهذا نتيجة لعفو الملك ومن لم يشكر العبد
لم يشكر الله . ولكن إن مالخولباي من شدة غفلته وبلادته لم يحسب
حساباً جيداً فظن أن العالم خالى من الأبطال ، ولم يراعاقبته وأوقدنار
الفتنة والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها وهو لم يفكر فى هذا .

وحينما بدأت الفتنة أرسلنا عليهم فرهاد باشا ليقطع دابراهم
(ولئن كفرتم إن عذابى لشديد) فيحنما تحرك جيش فردها باشا وهو

مركب من عساكر أناتولي فهاجم الجيش العدو ، والعدو لم يتحمل القتال لمدة طويلة فبدءوا يفروا من ميدان القتال (حمر مستنفرة فرت من قسورة) ولكن لم يستطيعوا أن يتخلصوا من الموت (إن الموت الذي تغرون منه فإنه ملاقيكم) وجهز الجيش من عساكر روم آيلي ، فوصل الجيش إلى موقع القتال في زمن يسير ، وكان على رأس الجيش من يسمى أحمد باشا وقد فتحوا قلعة (بكوردلان) وكذلك تسمى بقلعة (باطوب) وتمكن الجيش في موقع ساحل نهر صاوه فجعلوا هذا الموقع معسكراً لهم وفتح قلعة بلغراد كان أصعب من كل شيء ولهذه القلعة أهمية كبيرة ، ولفتح هذه القلعة قد أرسل وزير أعظم بير محمد باشا حيث أنه كان رجلاً عاقلاً وقائداً عظيماً ليس له مثيل في العالم . ونهبوا وسلبوا ما كان موجوداً حول نهر صاوة وذلك حول قلعة بلغراد (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) وأصبحوا مهزومين أمام قوة محمد باشا . كأنهم (كان لم يكن شيئاً مذكوراً) وبعدما حصلوا على الغنائم من أموال ونساء وغير ذلك بدأوا يتحركوا نحو قلعة بلغراد . فأرسل الوزير مصطفى باشا لفتح القلعة فهاجموا بالمدفعية ودارت المعركة بينهما فرجموا القلعة بالمدفعية كرجم الشياطين وجعلوا عاليها سافلها ، ولم يكن لهم مفر (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) (كل نفس ذائقة الموت) وأخيراً بعض منهم قد ندموا والتجؤوا إلى صفوفنا (فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (من يهدي الله فهو المهدي) وبعضهم لم يلحقوا بنا (من يضل الله فلا هادي له) وأعرضوا عن الإسلام وقبلوا أن يدفعوا الجزية وطلبوا الأمان ، وبعضهم كان يظهر من

سيماهم أنهم من العماة والأشقياء ، فقتلوا وأرسلوا إلى نار جهنم
وصغارهم قد أرسلوا إلى دار الإسلام حيث أن كل مولود يولد على فطرة
الإسلام . وأما شيوخهم وعجائزهم لم يقتلوا إنما أرسلوا إلى وسط بلاد
المسلمين . وذلك ملكهم وجمع أمرائهم للاستفادة منهم وأرسلوا إلى
دار الحكومة .

تحريراً في أواخر شهر رمضان المبارك سنة سبع وعشرين وتسعمائة
بورت قصبة بلغراد .

فلیه قوناغنه اجد پاشایه بروجہ استعمال کلدہ سز دیونیشہ آدم کتشییدی بوکون کلوب
اردویہ ملاقی اولدی یوم الاثنین فی ۵ توقف یوم الثلثا فی ۶ توقف یوم الاربعاء فی ۷ یوم الخمیس
فی ۸ قبلو قریہ سنہ کہ در بند در یوم الجمعة فی ۹ سمر جہ قریہ سنہ یوم الاحد فی ۱۰ نفس
جرمن قوناغنه یوم الاثنین فی ۱۱ شهر ادرہ یوم الثلثا فی ۱۲ توقف سعادتہ شکارہ سوار
اولدی یوم الاربعاء فی ۱۳ بابا اسکینی قوناغنه یوم السبت فی ۱۵ قارشدان قریہ سنہ
یوم الجمعة فی ۱۶ عربلو قریہ سی قوناغنه یوم السبت فی ۱۷ سلوری قوناغنه دولتو خد اوئد کار
قوناغنه کلد کلدہ بر مقصدار آرام ایدوب بعدہ قابغہ بنوب مدینہ استانبولہ روانہ اولوب سعادتہ
سرای عامرہ یہ وصول بولدی

مملک محروسہ قاضیلرینہ کوندر یلان بلغراد قحنامہ سی صورتیدر

مناخر القضاة والحکام معادن الفضائل والكلام المختصون بمزيد غناية الملك العلام
مملک محروسہم قاضیلری زیدت فضائلہم توقیع رفیع ہمایون واصل اولیحق معلوم
اولہ ککہ چون آیت وافیدہ الہدایہ ﴿قُلْ اَللّٰهُمَّ مَا لَكَ الْمَلِكُ تَتَوَلَّى الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءُ
وَتَتَرَعَّ الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءُ﴾ وکئذ واخبرہ اللہ لاندہ تقیح القلاع وتطقی نارہا وتضع الحرب
وتعطل دارہا فی الاجراح من وراء نار ولا حجارة وتبحر عن الاوجاع من دون غسل
ولا عصارة مضمون یلوب والصلاة علی عبدک الجلیل الشفع الشفع یوم التذلیل والتجلیل
وعلی جنسہ الذین مثلہم فی التوراة ومثلہم فی الانجیل ہر تاجدار کہ بر حسب ﴿فاستقم
کما امرت﴾ قدم ہمن جادہ شریعتہ راست قویوب ﴿اجیبوا داعی اللہ﴾ مقتضا سجدہ
اجابت دعوات رجائی بسبب ظلال غفران وامثال اوامر یزدانی موجب زوال عصیان
بیلہ لاجرم بر مقتضای فحوائی ﴿لئن شکرتم لازیدنکم﴾ الایہ سابع دولتی عامہ ربابا وسایبان
حشمتی کافہ برابا اوزریتہ ممدود اولوب عکس سم سمند کیتی نور دندن صور اقرار کمرانی
وبرتو علم عالم اراستندن مثال شمس شادمانی ظهور ایدوب ناصیہ سعادت نماستندہ نور
نصرت واضح وجہرہ دولت افراسندہ ستارہ رفعت لایح اولور فلذلک چون فحوائی
کشور کشای ﴿قَاتِلُوا الْمُشْرِکِیْنَ کَافَّةً﴾ الایہ صدر نشینان سریر ﴿اِنَّا جَعَلْنَاکَ خَلِیْفَةً
فِی الْاَرْضِ﴾ شانندہ شامل بل عامہ منشینان دامن ملت اجد وکافہ متمکان عروہ وثناء
شریعت محمدی بابندہ متاول اولوب بناء علی هذا ذم مسلیندن بالطول والعرض ازالة
واجب واسقاط فرض اتمک ایچون رکاب ہمت وضان عزیمت غزو وجهاد جانبہ مصروف
طومتی امرندہ حرکات فکریہ الیہ تتبع طوائف ارباب ظلال ایدیجک بر موجب ﴿وَالَّذِیْنَ
جَاهَدُوا فِیْنَا لَنَهْدِیْہُمْ سَبِیْلًا﴾ الایہ مرشدان فتوحات غنیہ ومنہمان فیوضات لاریبہ
انکروس مأیوس کہ اباعن جد غدا ی شیر دولت وطعمہ شمشیر فتمت انزلہ اعصاب وعظام
وخوم اعضای عقوبت انجاملرندن پرورده اولشدن انظر طرفہ راست ایدوب اما سابقا
سردار سرکشان کروہ اشقا جانبردی باغی کہ جلاء بقایای شمشیر در جہا نکیر مزایدی
اذا قدرت علی عدوک فاجعل العفو شکرا للقدرة موجبہ تربیت عفو شاہی الیہ
نشوونما بولشیکن من لم یشکر العبد لم یشکر اللہ مضمونندن غفلت کو ستروب وسوسہ
شیطانہ اعوجاج جلستہ تقویت اتمک کاسہ دماغی شرور وخروردن مملو اولوب یابان
غفلتہ تخیل ابتدوی ماخلولبای فاسدہ سی ﴿کسر اب بقیعہ بحسبہ النصیان ما﴾ الایہ
قیلندن واقع اولوب غایت عبادت ونہایت بلاد تشدن غروب آفتاب مولد طلوع دیگر
وظہور ظلمت معدن نور آخر اوہ جفنی فہم ایتوب ملکی حفظہ ملتدن خالی خیال ایدوب

کفتی ترازوی کلمات حکمت مقاماتند خلقت ایست سببی ایله انجمنه من عمل الشیطان دامنه
تثبت مقامند انفرصه تمر مر السحاب کریاتنه متعلق اوندوخی اجلدن الفتنة نامة
لعن الله من اغضبها فواسیه عمل ایتوب اذارت غبار فتنه وایقاد نار فساد ایتکه مباشرت
ایدیجت وثن کفرتم ان عذابى لشدید ایله مقتضا سنجه کفرار عالمی انک خار وجورندن
نیرید ودامن جهانی نیاست عینندن تطهیر ایتک واجب اولدیغی سیددن بند کسان
درگاهمزدن بعضی ایله اناطوی عسکرینه افتخار الوزراء الشکرام وزیر صاحب تدبیر
نصرت بشیر دولت مشیر فرهاد پاشا که خلق شیرین شاه عادل هراسیله دلاورنک میدانی
بیاننده سودا زده قهر اعدای دولت اولدقده خسروان کوره وفار و دلاوران خصم شکار
مقابله سنده پادار و نطق قبیل محال اتدندر فلذک نشکر مذکوره سر از ایدوب هدم اساس
ارباب عدوان و قطع عرق انحساب عصیان ایتک قصیدینه مترجه اولیجق عند تقابل
انصفین زمره جمهور باغیان معرکه قتالنده بار کران کر زینه تحمل ایده میوب عثر کسم
مستغفرة فرت من قسورة ایله جاده فرار اختیار ایتک کورنده منشور بجاتلرینه طغرای
متر ان الموت تنی تفرون منه فانه ملاقیکم ایله چکینوب غزالی واجب از و انک رأس
پراسی عتبه عتبه کندی و لشکر مذکور هنر زینسا کر نصرت شعارمه ملحق اولدین
متر من یوکلی علی الله فهو حسبه ایله مقتضا سنجه ترتیب عسا کر کران بی کران و جمع
جیش مانده و فرزان ایتک سوزن عتبه عتبه امده حاضر بولشان خاص قوللرم ایله مجرد
روم ایلی عسکرین غزایندنه تکمیل ایدوب چون امواج ییم و یاسیل عرم تزل و دهان و شواخ
اضراردن گذر قلوب مدت بسیره مسافه کثیره قطع ایدوب دار کفانه مشرت سرحده
قریب موضعدن روم ایلی عسکرینی سر لشکری احمد پاشا ایله که شهنشوار معرکه سربازی
وسر رشته سلسله سرفرازیدر کوبدروب بکر ردلان دیمکه معروف قلعه باطوب و فذک
یک حبه خسروانی ایله فتح ایدوب عقبجه اردوی همایون لشکر مذکوره ملحق اونوب کنار نهر
صاوه که بیت اگر جمع اولنسه فرات ایله نیل میهاتنده اولن بونهره عدیل اصراف
وجواب نهر مذکور مجیم اردوی لشکر منصور واقع اونوب مدتی چند برای عبور از نهر
مزبور وضع قنصره امرینه اشتغال کوستریلوب بیت بونهریله بویلدن اولنور نشان
نمایله اوستنده کی کهکشان و بلغراد نام قلعه که پای اساسی پنجه کیر ساقی سمت و قه
قه سی پاپوس فرقدان فک رکوشی رازدار اسرار اهل سما و مبع بناسی سرکوب پایه سریر
عنبر سا اولوب قوت دست انسان بل زور بازوی امکانه دایره تصرف ابنای زمانده واقع
اولسی خرط قتاددن اصعب و خرق معتاد دن ابعد ایلی لیکن همت شهریار سعادت
شعاره عزون ربانی دستگیر اولوب کیفیت تحصیلنده خارجدن تطهیر ظاهر اولدین اول
سور معسور محصور و قلعه محتاط محاط اولمق ایچون مقدما افتخار الوزراء انضمام
وزیر اعظم پیر محمد پاشا که حامل تدابیر جواهر ایم و کامل مصالح اکابر و اصاغر بنی آدم
مرآت جلال قوانین عثمانی کنجینه درر معارف و معانی دل مشکل کشاسی فک تاسع کی
واسع و طبع عالم آراسی عقل عاشق کبی حاضر در واروب کاخاطه الهیاله علی القمر احاطه
واحصار ایتدی و نهرین عجیبین بل بحرین مهیبین توبه ایله صاوه ماییننده سرواقع
اولان سرم اظهسی که معنوره دیار عساک کفاردند از سر تا پا مرة بعداخری نهب و غارت
اولنوب مکرک ترکوا من جنات و عیون و زروع و مقام کریم ایله انلرک باینده ظهور بولوب
اطه مزبوره واقع قلاع و رسوم محل کلاغ و بوم واقع اولوب مکرک کسان لم یکن شایدا

مذکور است که الایه قلندی و افراد عسا کر منصوره دن هر فرد تفخعات کلزار امانی و نسایم
غنائم فراوانی و غلامان غلبان شریشت و کثیر کان رشک حور بهشت ما حاصل از عین
و بساط ظهور خبول بل رهگذار مور و مار از زاق بشمار و اموال مالا مال کفشار ایله ملو
اولوب خندان و فرحان اولدقدنصکره عنان عزت کیتی نورد و برق زفتار بلغراد طرفه
معضوف قلوب قلعه مزبوره ک هر طرفی رخنه دخول و تفتیه وصول قلوب اول همچونده
و ازوش قلعه قمع اولوب بعده مدبر امور احوال جهان و مری اهل زمین و زمان
صاحب العز و التکین مرغم انوف المردین و ذیرم مصطفی پاشا قلعه مزبوره ده یلدار
اولوب روز و شب کاه غفور عقلا به عقال امور صعبه ده کره کشای عقد اشکال اولوب
بیت که آفتاب رأی او کر سایه بر جرم افکند که ماه را عاید از خورشید کردن
اقتباس که کاه بجز طوب و تفتیکه عضر دماغ دادوری و کرد کرد معرکه ضرب و خرنی
توتای بصر بهادری ایدوب بیت که فیک مشام کسی خوش کند بنوی مراد که حال
معرکه باشد غیر غیر او که کفره مذکوره انواع مکرله کروه اسلامی دفع ایتک قصد
ایتد کربجه پاشای مشارالیه توابعیه که کانه بنیان مرصوص که الایه جاده همتنده
ثابت قدم اولوب زلازل طوب و تفتیکه کشاردن معرکه و مترزل اولوب ک کان افکار
صائبه سی مقتضای سبجه مواضع متعدد ده دن طوب و تفتیکه همچون مترسل و وضع ایدوب اصل
قلعه ک دخی که جمعنا عالمها سافلها که موجب به بعض دیوارن بدسیاری طوب
ساوی روی زمین قلوب و قله لیتک بعضی طوب لقامله تخریب و بعضی شرازه
آتش انفجامله تخریب قیاب چند روز طرفیدن متوالی و متابع ضاعتهای طوب و تفتیکه
و شرارهای آتش بی درنگه جوانب ست جهات بل همه اجزای جو کائنات چون کره
جدیدین آتشین اولوب شرارهای طوب و تفتیکه جهاتی قایلایوب باعث زلزله و شیب و لوله
زمین و زمان واقع اولدی و عسا کر منصوره دن بکیمیری طائفه سی که پشک افکنان کوه
داوری وصف شکستن میدان بهادری و شیران پیشه شجاعت و نهنگان بحر جلا دندر
برق و اراول قلعه آسمان اساک برج و بار و سینه عروج ایدوب که رجوما لشیاطین که الایه
اول طائفه طاعیه ک حیاتلرین خاکستر ایدوب و یا خود سمند و اربطبات هوادن کره ناره
صعود ایدوب بازوی بازی تیر منقار پنجه کیر نجیر هنی کفار واقع اولوب برسدیل که ایتمکونوا
بدر کیم الموت ولو کستم فی بروج مشبهه که الایه هیچ وجهله اول حصن حصین و حصار
منبه محصلری مفید اولوب ناصیه حیاتلرینه رقم که کل نفس ذائمه الموت که الایه چکیلوب
حفظ نمود و عصمت نموده ارحال ایتدیر و اهل اسلامدن قتل اولان شهیدان که ما عندک
ینفذ و ما عند الله باقی که الایه ملاحظه سیه که فی مقعد صدق عند مشیک مقتدر که الایه
دار حیان و جوار رحانده مقارن ساکن خلد برین و مشاهد شاهدان اعیان حور العین
واقع اولوب که کل نفس بما کسب رهینه که الایه شوای ان الله ملک یسوق الاهل
الی الاهل هر فریق شائنده صادر اولدی و طرفیدن هنوز قید حیاتله مقید اولور
ما یبندده مصادمات کیمیره واقع اولدقدنصکره صدق مضمون که لا یستضعون
حیله و لایستندون سیلا که اول مرده ملاعین حقننده واقع اولوب و بعد التیا و التی
کند و نفوس خسته زاده قوت مقاومیت و قدرت مدافعت فهم ایتمک بر موجب که قصص حوا
علی ما فعلتم نادمین که کفره مذکوره ک صیت و صدا و صوت و صلابت اصلندن
بعضی من تجار آسه فقدر یح میلکنه سلوک ایدوب که من یمدی الله فهو المهدی که

الایه موجب جبهه و رطه هلاک کفریدن بجایات بونوب نفحات کل از اسلامه دماغ قلبی معطر
 و رسجات باران ایمانه چهره زین منور قبض و بعضی ﴿ من یضل الله فلا هادی له ﴾
 مقتضا سجه قبول اسلامدن اعراض ایدوب جزیه قبول ایتنک اوزره طلب امان
 دامنیه تشبث ایدوب لیکن بوطائفدن به ضبسی ﴿ یعرف المجرمون بسبائهم ﴾ الایه
 دلالتی الیه فرات مرآتنده الشقی شقی فی بعض امله زمره سندن اولسی معلوم اولدوغی
 اجلدن ﴿ والذین کفروا اولیاءهم الضعوت ﴾ موجبیه اول مر جع مرده طاغیان
 اولان سرکرده نری طرفه اخاق اوتوب بعضی ککل مولود یولد علی فطره الاسلام
 مقتضا سجه الشقی قدیسعد ملاحظه اوتوب دار اسلامه کوندردی واکرچه تیغ خون
 آشام سیه کینه خواه خدام عینه عینه بوعدا ای عاد عناد و دشمنان نمودنهادنه
 قاترینه تشنه اعناق اعدای اصحاب دین و عراق دشمنان ارباب یقین مقصود و نغیدی
 فاما قاعده شرع مصطفی و قانون ضریقت اصحاب صفا ماء عبون ارباب بیضا واقع اوتوب
 امر طلب امان قتل اصحاب عدوانه جمع اوتوغین ائمه علماء دین تجوز ایتدکاری اجلدن
 اوزمره بجزیه رخصت و امان و بر بونوب رسد و نیت اسلامیه سورلدی و اصل و اعنه اکرمه
 اول جمیع سرکشکان بادی ضلالت و مرجع کمرشدن وادی غوایت قرال مغرورک سرنگون
 و مکسور اولسی ایدی فاما بر موجب ﴿ و شاورهم فی الامر ﴾ بودیارک امراء نامدار و کبرای
 کامکار اوزردن تفحص اولندقدده وقت طاردر ان شاء الله وقت وسعتده فرصت
 کوز دیسوب انتقام بهجت انتظام صورت تمام بویه بو اجلدن ﴿ فانقلبوا بنعمه من الله
 وفضل ﴾ موجبیه عنان عزیمت برقی رفتار جهت اسباحت لشکر منصور و تشریف
 مکت مشکور ایچون طرف دارا خلافته معصوف و منصرف قلندری تحریرا فی اوخر شهر
 رمضان المبارک سنه سبع و عشرين و تسعمه بیروت قصبه بفراد

﴿ ذوالقدر حاکمی علی بکه کوندردیلان بفراد قهنا مه سی صورتیدر ﴾

جناب امارتآب ایالت نصاب سعادت انساب حاوی محاسن الشیم مائک نواصی
 الام سائک افاضی الیهم حائر قصبات السبق فی مضمار الحکم و حکم الفکار
 بالتقدح المعنی من قدح الاحمدالات و اعز الاشیم و اتبعات و اکرم المختص بعناية
 المذک الباری ولی ولایت ذوالقدر علی دام اقباه و زاد اجلاله دعوات صاحبات یاد شاهانه
 اتخافدن صکره اعلام اوتنان اولدرکه چون آینه و اقیه الهدایه ﴿ قل اللهم مالک المک
 توتی المک من تشاء و تزع المک من تشاء ﴾ و کله و اخصه الد لانه عریب و تقیح القلاع
 و تعنی نارها و تصنع الحرب و تعطل دارها فترحل فی الاجراح من دراء نار و لا جاره
 و تبهر عن الالوجاع من دون عسل و لاعصاره مضمونسدن نصرت النبی ازنی و فرصت
 نامتاهی لم یزلی ایدوکی درجه و ضروحه ایشوب و الصلوة علی عبدالله الیمیل الشفع
 المشفع یوم التذلیل و التخیل و علی جنده ﴿ الذین مثلهم فی التوریه و مثلهم فی الانجیل ﴾
 الایه دیوهر تاجدار که بر حسب ﴿ فاستقم کما امرت ﴾ الایه قدم همتن جاده شریعتده
 راست قیوب ﴿ اجیبوا داعی الله ﴾ مقتضا سجه اجابت دعوات رجائی سبب ظلال
 غفران و امثال اوامر یزدانی موجب زوال عصیان بیه لاجرم بر مقتضای فحوائ
 ﴿ لئن شکرتم لازیدنکم ﴾ الایه سایه دولتی عامه رعایا و سایبان جسمی کافه برابا اوزرینه ممدود
 اوتوب عکس سم سمند کتی نور دندن صور اقرار کما فی و بر تو علم عالم ارا سندن مثال
 شمس شادمانی ظهور ایدوب ناصیه سعادت غما سنده نور نصرت واضح و جهره دولت

مهمة دفتری رقم (٩) صفحة ٨٩ حكم رقم (٢٣١) بتاريخ ٢٤ شوال ٩٧٧ م

أعطى الى خليل جاش في ١٠ ذي القعدة .

حكم الى أهالي الأندلس .

وصل الى آستانة سعادتنا عرض حالكم الذي جاء فيه بأن الكفار أصابهم
الدمار وجعل الضلالة لهم شعار قد سلبوكم أسلحتكم ومنعوكم من تحدث
العربية ، وأنهم يتعرضون لنشائكم ، ويمارسون كل أنواع الظلم والتعدي
عليكم . وتعلمون أنه يوجد حالياً لديكم ٢٠ ألف رجل مسلح كما أن هناك
١٠٠ ألف رجل قادر على حمل السلاح ، وعلمنا باستلامكم مقداراً من السلاح
من الجزائر وأن ذلك قد ربط على قلوبكم وتمكنتم بذلك من تكبيد الكفار
العديد من الخسائر فالحمد لله على نصر أهل السلام ، ويكتب لهم الفوز
على الكفار جعل الضلالة لهم شعار .

وقد عرض بالتفصيل كل ما جاء في حالكم من تحريرات وتقريرات على
سرير سعادتنا ، وأحاط علمي الشريف الملوكي وشمل كل ما يتعلق باحوالكم
وأخباركم وأن أنظاري منصرفة دائماً نحوكم ولكن كفرة جزيرة قبرص القريبة
من ممالك المحروسة والتي كانت على العهد والأمان منذ أجدادي العظام
أنار الله براهينهم إلا أنهم نقضوا تلك العهود واخذوا بالتعدي على التجار
وأهل الإسلام والمسافرين ، بحرّاً لطواف بيت الله الحرام وزيارة تربة حضرة
سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام بخلوص النية وصفاء الطوية وبذلك
فأنهم معرون على العصيان والطغيان لذا فبعد التوكل والإعتماد على علو عناية
الحق سبحانه وتعالى والتوسل والإسناد إلى المعجزات الكثيرة البركات
لفخر الموجودات ملوات الله عليه وسلامه ، وكذلك بالاستمداد بالأرواح الطاهرة
لسائر الصحابة الكرام عليهم رضوان الله تعالى أجمعين فقد استقرت نيتي
الملوكية على فتح وتسخير الجزيرة المزبورة في الربيع الأخير القادم
ونضرم إلى عبة حضرة الحق جل وعلا أن ييسر لنا فتح وتسخير تلك الجزيرة
وأن يبسط أيدينا عليها حتى تأهل بأهل الاسلام كما كانت عليه وكى تقام فيها
شعائر الشرع الشريف وحتى يأمن التجار ويسلموا في غدوهم ورواحهم وينصرفوا
للدعاء وثبات ومجد رفعة الدولة وبما أن الوضع على هذا الحال فإن إرسال
الأسطول الهايوني المظفر لحمايتكم سيتأخر ريثما يتم إيعال المراكب

للعساكر المنصورة للجزيرة المزبورة وسيتم ذلك إثر إنهاء الأسطول لمهمة
 بعناية الحق وقد أرسل أمرى الهمايوني الموكد إلى أمير أمراء الجزائر
 الذي تتجـة أنظاره وافئدتـة نحوكم لإرسال النجدة والمعونة لكم إمبرسال
 العساكر المظفرة أو بإرسال العدة والعتاد ، وبموجب أمرى الشريف فإن
 أمير أمراء الجزائر سيكون خير معين وظهر لكم .

كما أننا نتوخى من خلال حميتكم الإسلامية المتأهلة في جيلتكم عدم
 التراخي عن إظهار غيرتكم على الدين المتين فلتظهروا أنواع اقدامكم
 وأصناف إهتمامكم في الحرب والقتال والجداول ضد الكفار الأذلاء والمأمول
 الا يضمن علماء وملحاء وسائر أهل الإسلام في تلك الديار بالدعاء ليل نهـار
 بتيسير الفتح والنصر للغزوة المظفرة ولا تتوانوا عن إعلامنا باستمرار عن
 أحوال وأوضاع تلك الديار .

تَبَيَّنَ الْخَضَاءُ وَالْمَرْجَعُ

أولا : الوثائق

- مهمة دفتری رقم ٩ صفحة ٧٧ حکم رقم ٢٠٤ ، بتاريخ ٢٣ شوال سنة ٩٧٧ هـ ، الأرشيف العثماني .
- مهمة دفتری رقم ٩ صفحة ٨٩ حکم رقم ٢٣١ ، بتاريخ ٢٤ شوال سنة ٩٧٧ هـ ، الأرشيف العثماني .
- مهمة دفتری رقم ١٤ صفحة ٢٠٠ ، حکم رقم ٢٨٤ ، بتاريخ ٣ صفر سنة ٩٧٩ هـ ، الأرشيف العثماني .
- وثيقة رقم ٣٦٢٥ سياسة روسيا الخارجية ج ١٢ ، صفحة باللغة الروسية موسكو : ١٩٢٨ م . (دار الوثائق القومية ببغداد) .

ثانيا : المخطوطات

- (١) ابن زنبيل : أحمد بن علي .
آخر المماليك واقعة السلطان الغوري مع
سليم العثماني مخطوط تحت رقم ٤٨ بدار الكتب
المصرية .
- (٢) البكري : محمد بن أبي السرور .
عيون الأخبار ونزهة الأبصار مخطوط بدار الكتب
بالقاهرة تحت رقم ٧٢ باسم تاريخ ، يتكون من
٢٠٣ صفحة هذا المخطوط مكون من تسعة عشر
باباً من بدأ الخليقة إلى أبناء ملوك العسرب
والفرس واليونان والروم ، وذكر الرسول صلى
الله عليه وسلم والأمويين والعباسيين
والبويهيين والسلاجقة والفاطميون والأيوبيين
والأتراك والجراكسة إلى خروج السلطان الغوري
إلى مقابلة السلطان سليم .
- _____ :
المنح الرحمانية في تاريخ الدولة العثمانية
مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم
١٩٢٢ تاريخ يقع في ١٩٣ صفحة .
- (٣) جودت :
تاريخ جودت باشا . مخطوط مصور تحت رقم
١٣٢٨ / ١٣٢٦ المكتبة السليمانية ، اسطنبول .

- (٤) السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن .
نظم العقيان في أعيان الأعيان ، مخطوط بدار الكتب
المصرية تحت رقم ١١١١ تاريخ تيمور مصور على
ميكرو فيلم .
- (٥) العيني : محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد (٧٦٢ - ٨٥٥ هـ) .
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، المعروف بتاريخ
العيني ، ٢٣ جزء ، ٦٩٠ مجلد تحت رقم ١٥٨٤ دار
الكتب القاهرة .
- (٦) زاده : طاشكيري .
الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية
مخطوط تحت رقم ١٥٠٨ تاريخ تيمور مصور على
٢٥٢ صفحة بدار الكتب المصرية .
- (٧) موللي : أحمد جواد .
الدورة النيرة في بيان ماجرى حين أغارت على
الجزائر جنوس الكفرة ، مخطوط رقم ٩٧٥١ بالمتحف
البريطاني ، باللغة العثمانية في ٥٢ ورقة ، جماد
الأولى سنة ثمانية وتسعين ومائة وألف .
- (٨) المقدسي : مرعي بن يوسف (المتوفي ١٣٠٢ هـ) .
نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء
والسلاطين ، مخطوط تحت رقم ٢٢٦٩ تاريخ مصور على
ميكرو فيلم بدار الكتب المصرية .

(٩) مؤلف مجهول :

تقليد نبوط إعانة الجرجي في حروب الدولــــة
العثمانية مع اليونان • لغة عثمانية • مخطوط
تحت رقم ٢٦٥٣ تاريخ تيمور • مصور على ميكروفيلم
بدار الكتب المصرية •

ثالثا : الكتب المطبوعة

- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ . الطبعة الثالثة . بيروت :
دار الكتاب العربي . ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- (٢) ابن اياس : محمد بن أحمد .
بدائع الزهور في وقائع الدهور . الطبعة الأولى .
المانيا : دار فرنشتانيو . ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- (٣) ابن أيوب : السلطان الموءيد عماد الدين بن الأفضل نور الدين
على بن جمال الدين .
تقويم البلدان . طبعة مدينة باريس : بدار الطباعة
السلطانية . ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م .
- (٤) ابن حنبل : أحمد .
المسند وبهامشه كنز العمال في سنن الأقبــال
والأفعال . المكتب الإسلامي للطباعة والنشر .
- (٥) ابن خلدون : عبد الرحمن .
المقدمة . الطبعة الرابعة : بيروت دار القلم .
١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- (٦) ابن سعد :
الطبقات الكبرى . بيروت : دار صادر للطباعة .
١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م .
- (٧) ابن عرشاه : أحمد بن محمد بن عبد الله .
عجائب المقدور في نوائب تيمور . القاهرة : دار نافع
١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

- (٨) ابن فضلان : أحمد بن راشد بن حماد .
رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك
والخزرو الروس المقابلة . سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م .
تحقيق د. سامي الدهان . دمشق : المجتمع العلمي
١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .
- (٩) ابن كثير :
البداية والنهاية في التاريخ . الطبعة الأولى .
القاهرة : دار الفكر العربي ١٣٥١ هـ / ١٩٣٣ م .
- (١٠) إبراهيم أفندي : (الطبيب الأول للعساكر الشاهانية) .
مصباح الساري ونزهة القاري . الطبعة الأولى .
بيروت . مطبعة إبراهيم أفندي . ١٢٧٢ هـ / ١٨٥٥ م .
- (١١) الألوسي : أبو الثناء شهاب الدين محمود أفندي .
نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول . ليس هناك
معلومات نشر ، موجود بمكتبة الحرم المكي .
- (١٢) أرسلان : شبيب .
حاضر العالم الإسلامي . القاهرة : مطبعة الحلبي .
١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م .
- (١٣) أرنولد : توماس .
الدعوة إلى الإسلام . بحث في تاريخ نشر القصيدة
الإسلامية . الطبعة الثالثة . القاهرة : مطبعة
الشبكشي بالأزهر . ترجمة : حسن إبراهيم
حسن وآخرون .

- (١٤) إسماعيل : عادل اسماعيل وأمیل خوري .
السياسة الدولية في الشرق العربي . طبعة
بيروت . ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .
- (١٥) أغلو : سليمان ملا .
جامع السليمانية إنشائه وخصائصه . طبعة
جوشكون أوفست . إسطنبول .
- (١٦) أنيس : محمد .
الدولة العثمانية والشرق العربي . من ١٥١٤ - ١٩١٤ م
القاهرة . طبعة مكتبة الأنجلو المصرية . ١٤٠١ هـ /
١٩٨١ م .
- (١٧) أومان :
الإمبراطورية البيزنطية . بيروت : دار الفكر العربي
١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م .
- (١٨) باتريك : ماري ملز .
سلاطين آل عثمان الخمسة . ترجمة حنا عفن . بيروت :
دار صادر . ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م .
- (١٩) البار : محمد علي .
المسلمون في الإتحاد السوفيتي عبر التاريخ . المطبعة
الأولى . جدة : دار الشروق . ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- (٢٠) بجوي :
تاريخ بجوي . كتاب في جزئين . إسطنبول : ١٤٠٠ هـ /
١٩٨٠ م .

- (٢١) البحراوي : محمد عبد اللطيف .
حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني
١٨٠٨ - ١٨٣٩ م . الطبعة الأولى ، القاهرة : دار
التراث . ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- (٢٢) البخاري : أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي .
التاريخ الكبير . بيروت : دار الكتب العلمية .
- (٢٣) بروكلمان : كارل .
الأتراك العثمانيون وحضارتهم . الطبعة الثانية .
ترجمة نبيه أمين فارس ، ثلاثة أجزاء : بيروت
دار العلم للملايين . ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .
- (٢٤) بردي : جمال الدين أبي المحاسن يوسف تغري .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . خمسة
أجزاء تحقيق : جمال الدين الشيال وفهيم شلتوت
القاهرة : ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .
- (٢٥) بيهم : محمد جميل .
فلسفة التاريخ العثماني أسباب انحطاط الإمبراطورية
العثمانية وزوالها . طبعة عام : ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .
- (٢٦) بيشون : جان .
بواعث الحرب العالمية الأولى . ترجمة محمد عزت .
بيروت . مطبعة الكشاف .

- (٢٧) الشقفي : يوسف على .
دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب
على مر العصور . الطبعة الأولى : مطبعة الصفا .
١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .
- (٢٨) جاويش : سليمان خليل .
التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية .
ثلاثة أجزاء . بيروت : دار صادر ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ م .
- (٢٩) الجبرتي : عبدالرحمن .
عجائب الآثار في التراجم والأخبار . الطبعة الأولى ،
القاهرة : البيان العربي ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .
- (٣٠) جبب : هاملتون وبورن هارولد .
المجتمع الإسلامي والعرب . ترجمة أحمد عبدالرحيم
مصطفى وأحمد عزت عبدالكريم . جزءان . القاهرة :
دار المعارف .
- (٣١) الجندي : أنور .
الإسلام وحركة التاريخ . القاهرة : مطبعة الرسالة
١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- (٣٢) جودة : أحمد حسن .
المصالح البريطانية في الكويت حتى عام ١٩٣٩ م .
ترجمة حسن علي النجار . بغداد : مطبعة الإرشاد .
١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

- (٣٣) جيبون : إدوارد .
إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ترجمته
محمد علي أبو درة ، في ثلاثة أجزاء . القاهرة :
دار الكتب .
- (٣٤) حنّى : فيليب .
موجز تاريخ الشرق الأدنى . ترجمة أنيس فريحية .
بيروت مطبعة دار الثقافة .
- (٣٥) حسون : علي .
تاريخ الدولة العثمانية . الطبعة الأولى ، بيروت ،
المكتب الإسلامي . ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- _____ :
العثمانيون والروس . الطبعة الأولى . بيروت ،
المكتب الإسلامي . ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- _____ :
العثمانيون والبلقان . الطبعة الثانية ، بيروت ،
المكتب الإسلامي . ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٣٦) الحمري : ساطع .
البلاد العربية والدولة العثمانية . الطبعة
الثالثة . بيروت : دار العلم للملايين . ١٩٦٥ م .
يوم ميلون : دار الاتحاد . بيروت .
- (٣٧) حقي : إحسان .
المسلمون أمام التحدي العالمي : الطبعة الخامسة .
بيروت . مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

(٣٨) حلمي : مصطفى .
الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية .
دراسة حول كتاب " النكير على منكري النعمة من
الدين والخلافة والنعمة " الطبعة الأولى .
الإسكندرية : دار الدعوة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

(٣٩) حليم : على بك .
التحفة الحليمة في تاريخ الدولة العلية . الطبعة
الأولى . القاهرة : ديوان عموم الأوقاف ١٣٢٣ هـ /
١٩٠٥ م .

(٤٠) حمادة : محمد عابد .
تاريخ الشرق والغرب من منتصف القرن التاسع عشر
حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . الطبعة الثانية .
دمشق : دار اليقظة ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م .

(٤١) خير الله أفندي :
تاريخي . الطبعة الأولى . إسطنبول : مطبعة سنده
١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م .

(٤٢) دحلان : أحمد زيني .
الفتوحات الإسلامية . القاهرة : مطبعة محمد مصطفى
١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م .

_____ :
خلاصة الكلام في أمراء بلد الله الحرام . جزءان ،
الطبعة الأولى . المطبعة الخيرية بمصر المحمية :
١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ م .

- (٤٣) الدسوقي : محمد كمال .
تاريخ أوروبا الحديث ، القاهرة : ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
_____ : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، القاهرة :
مطبعة دار الثقافة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .
_____ : تاريخ أوروبا الحديث ، القاهرة : ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- (٤٤) دقاق : باسل
تركيا بين جبارين . القاهرة : منشورات دار المكشوف
- (٤٥) الديراوي : محمد .
الحرب العالمية الأولى ، عرض مصور ، الطبعة الثانية :
بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- (٤٦) الرفاعي : عبد الرحمن .
عصر إسماعيل ، جزءان ، القاهرة : مطبعة النهضة ،
١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .
- (٤٧) الرفاعي : عبد العزيز .
قضية الجلاء عن مصر بين سنتي ١٨٨٢ - ١٩٠٧ م .
القاهرة ، دار القلم ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .
- (٤٨) رفعت : إبراهيم .
مرآة الحرمين ، جزءان ، طبعة بدون . بيروت :
دار المعرفة .
- (٤٩) رفيق : أحمد بيوك .
تاريخي عمومي إسطنبول . مطبعة إبراهيم حليمي ،
١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م .

(٥٠) راسم : أحمد .

رسملي وخريطة لي عثمانلي تاريخي . الطبعة الأولى .
إسطنبول : صاحب وناشري إقبال كتبخانه شمس مطبعة
سي ، محفوظ بالمكتبة السليمانية ١٢٢٨ هـ / ١٩١٠ م .

(٥١) رسم : أسد .

الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم
مع العرب . الطبعة الأولى ، بيروت ، دار المكشوف ،
١٣٣٧ م / ١٩٥٦ م .

(٥٢) ريسلر : جاك سي .

الحضارة العربية ، ترجمة غنيم عبدون ، مراجعة
د. أحمد الأهواني . القاهرة : الدار المصرية
للتأليف والترجمة .

(٥٣) الزركلي : خير الدين .

شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ، ثمانية
مجلدات . الطبعة الثانية . بيروت : دار العلم
للملايين . ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

(٥٤) زكي : عبد الرحمن .

المسلمون في العالم اليوم آسيا الإسلامية ٣ - القاهرة :
دار النهضة ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .

(٥٥) زيادة : محمود محمد .

دراسات في التاريخ الإسلامي من العصر العباسي إلى قبيل
العصر الحاضر ، القاهرة : مطبعة التأليف ، ١٣٨٨-١٣٨٩ هـ /
١٩٦٨ - ١٩٦٩ م .

(٥٦) السبكي : آمسال .

أوربا في القرن التاسع عشر فرنسا في مائة عام
الطبعة الأولى . جدة : عالم المعرفة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

(٥٧) السخاوي :

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مكتبة الحرم
المكي الشريف ليس هناك معلومات للطبعة وسنة
الطبع ومكان الطبع .

(٥٨) سرهنك : إسماعيل .

حقائق الأخبار عن دول البحار . الطبعة الأولى .
جزءان . القاهرة : ١٣١٢ هـ / ١٩٨٤م .

(٥٩) سلانيك :

تاريخ سلانيك ، القسطنطينية : المطبعة العامرة ،
دور سيده ختام أولمدر في رجب ١٢٨١ هـ / ١٨٦٤م .

(٦٠) سليمان : أحمد السعيد .

تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة . القاهرة :
دار المعارف ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م .

(٦١) شاكر : محمود .

العالم الإسلامي . الطبعة الثالثة . بيروت . المكتب
الإسلامي . ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م .

_____ :
المسلمون تحت السيطرة الشيوعية . الطبعة الثالثة ،

بيروت المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م .

- (٦٢) شكري : محمد فـوـاد .
مصرفي مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١ - ١٨١١ م .
القاهرة ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .
- _____ : بناء دولة مصر محمد علي . القاهرة : ١٣٩٧ هـ /
١٩٤٨ م .
- (٦٣) الشناوي : عبدالعزيز .
الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها .
ثلاثة أجزاء ، القاهرة : مطبعة جامعة القاهرة ،
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- (٦٤) شـلـبي : أحمد .
موسوعة التاريخ الإسلامي : الطبعة الثالثة ، القاهرة :
مطبعة مكتبة النهضة ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
- (٦٥) الشيخ : رأفت .
تاريخ العرب الحديث . القاهرة : دار الثقافة ،
١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- (٦٦) شينيني : ل . ج .
تاريخ العالم العربي . ترجمة محي الدين حفني ناصف
مراجعة على أدهم . القاهرة دار النهضة .
- (٦٧) عاشور : سعيد عبدالفتاح .
أوروبا العصور الوسطى ، القاهرة : مكتبة الانجلو
١٣٩٧ هـ / ١٩٧٦ م .
- _____ : الحركة الصليبية . القاهرة : مكتبة الأنجلو ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

- (٦٨) عبد الجبار : عبد الله .
الغزو الفكري في العالم العربي . الطبعة الثالثة ،
١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- (٦٩) العسلي : بسام .
الفتاح القائد ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار
النفائس . ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- _____ :
القانوني القائد ، الطبعة الأولى ، بيروت دار
النفائس ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٧٠) عسـه : أحمد .
معجزة فوق الرمال . الطبعة الثالثة ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- (٧١) عطا : زبيده .
الترك في العصور الوسطى وسلاجقة الروم والعثمانيون
بيروت : دار الفكر العربي .
- (٧٢) العظم : حقي .
تاريخ حروب الدولة العثمانية مع اليونان ،
الطبعة الأولى ، القاهرة : مطبعة الترقـي ،
١٣١٩ هـ / ١٩٠٢ م .
- (٧٣) عمر :
عمر عبدالعزيز .
تاريخ المشرق العربي (١٥١٦ - ١٩٢٢ م) بيروت :
دار النهضة العربية للطباعة والنشر .
_____ :
دراسات في التاريخ العربي الحديث والمعاصر . بيروت :
١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

(٧٤) عنان : عبداللّٰه .

مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام . ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

(٧٥) أبو غنيمة : زياد .

جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك . الطبعة

الأولى . عمان : دار الفرقان للطباعة والنشر .

١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م .

(٧٦) فاروق : طه زاده عمر .

تاريخ أبو الفاروق . سبعة أجزاء . اسطنبول :

مطبعة الآمدى ، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م .

(٧٧) فريدون بك : أحمد .

منشآت الملوك والسلاطين . إسطنبول المكتبة

السليمانية ، أوائل شهر جمادى الآخرة لسنة

١٢٦٤ هـ / ١٨٤٧ م .

(٧٨) فشر : هربرت .

أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية

حتى الثورة الفرنسية . ترجمة عصمت راشد وأحمد

عبدالرحيم ، مراجعة أحمد عزت ، القاهرة : دار

المعارف ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .

_____ : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ترجمة

السيد الباز العرينى ، الطبعة الثانية ،

القاهرة : دار المعارف .

- (٧٩) فهمي : عبدالسلام عبد العزيز .
السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر
الروم ، ٨٢٣ - ٨٨٦ هـ / ١٤٢٩ - ١٤٨١ م ، الطبعة
الأولى ، دمشق : دار العلم ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- (٨٠) قبسن : سليم .
تاريخ الحروب العثمانية الإيطالية ، القاهرة :
مطبعة التقدم .
- (٨١) الاقسكي : على همت .
العاقل العثماني أبو الفتح محمد العثماني ،
فاتح القسطنطينية وحياته العدلية ، القاهرة :
مطبعة السعادة ، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .
- (٨٢) كامل باشا :
تاريخ سياسي دولت عليية عثمانية . ثلاثة أجزاء في
مجلد واحد ، إسطنبول : مطبعة أحمد إحسان ١٣٢٦ هـ /
١٩٠٨ م .
- (٨٣) كوبرلي : محمد فؤاد .
قيام الدولة العثمانية . ترجمة أحمد السعيد
سليمان ، و أحمد عزت عبدالكريم . القاهرة : دار
الكاتب العربي للطباعة والنشر . ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- (٨٤) لبسب : حسين .
تاريخ الأتراك العثمانيين . ترجمة حسين لبسب ،
القاهرة : الهيئة العامة للكتاب .

- (٨٥) المحامي : محمد فريد بك .
تاريخ الدولة العلية العثمانية . الطبعة الأولى
والثانية . بيروت : دار النفائس ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- (٨٦) المرجة : موقف ينني .
صحة الرجل المريض . السلطان عبدالحميد الثاني
الكويت : دار الكويت ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- (٨٧) مسلم :
صحيح مسلم بشرح النووي . ثمانية عشر جزء . القاهرة
المطبعة المصرية ومكتباتها .
- (٨٨) المصري : حسين مجيب .
صلات العرب والفرس والترك . دراسة تاريخية أدبية ،
القاهرة ، مكتبة الإنجلو المصرية ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- (٨٩) مصطفى : أحمد عبدالرحيم .
أصول التاريخ العثماني . الطبعة الأولى بيروت : دار
الشروق ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- (٩٠) الميداني : عبدالرحمن حبنكة .
أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشراء الإستشراق ،
الإستعمار ، دمشق : دار القلم .
- (٩١) موءنس : حسين .
أطلس تاريخ الإسلام - الطبعة الأولى ، القاهرة ،
الزهراء للأعلام العربي ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

- (٩٢) ناتنج : أنتوني ، ولويل شاماس .
لورانسلغز الجزيرة العربية . بيروت مؤسسسة
المعارف ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- (٩٣) نشانجي: محمد باشا .
سير أنباي عظام وأحوال خلفاء كرام إسطنبول :
الدار العامر ، ١٢٩٠ هـ / ١٨٣٧ م .
- (٩٤) نعيما :
تاريخ نعيما . القسطنطينية : المطبعة العامرة ،
١١٤٧ هـ / ١٧٣٤ م .
- (٩٥) النهارولي : قطب الدين .
الإعلام بأعلام بيت الله الحرام . مكتبة الحرم
المكي . ليس هناك معلومات نشر عن الطبعة والمطبعة
ومكان الطبع وسنته .
- (٩٦) نوار : عبدالعزيز سليمان .
الشعوب الإسلامية الأتراك العثمانيون - الفرس
مسلمو الهند . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٣٩٢ هـ /
١٩٧٢ م .
- _____ :
تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق . بيروت ، ١٣٩٣ هـ /
١٩٧٣ م .
- _____ :
التاريخ المعاصر لأوربا من الحروب البروسية الفرنسية
إلى الحرب العالمية الثانية ١٨٧١ - ١٩٤٥ م . القاهرة .
- (٩٧) هونكة : زيجفريد .
شمس العرب تسطع على الغرب ، أثر الحضارة العربية
في أوربا . بيروت : المكتب التجاري للطباعة والتوزيع ،
١٣٩٧ هـ / ١٩٧٩ م .

(٩٨) اليماني : عبدالواسع بن يحي الواسعي .

تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث
وتاريخ اليمن . الطبعة الثالثة ، الدار اليمانية
للطباعة والنشر ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م .

_____ : السلطان عبدالحميد الثاني مذكراتي السياسية

١٨٩١ - ١٩٠٨ م ، الطبعة الخامسة . بيروت : مؤسسة
الرسالة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

(٩٩) مجهول: تاريخ تيمور لنك اسطنبول : المكتبة السليمانية

ليس هناك أي معلومات عن الطبعة والمطبعة وسنة
الطبع .

رابعاً : رسائل جامعية

بابكــــــــــــــــور : عمر .

حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين .
رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي من
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى .

رضــــــــــــــــوان : نبيل عبد الجي .

الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد
افتتاح قناة السويس (١٢٨٦-١٣٢٦ هـ / ١٨٦٩-١٩٠٨ م)
جدة : الطبعة الأولى ، مطبوعات تهامة - ١٤٠٣ هـ -
١٩٨٣ م .

شــــــــــــــــوط : المنتصر بالله إبراهيم .

جهاد العثمانيين ضد الدولة البيزنطية حتى فتح
القسطنطينية (٧٥٥ - ٨٥٧ هـ / ١٣٥٤ - ١٤٥٣ م) ،
رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي
١٣٩٩-١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩-١٩٨٠ م ، جامعة أم القرى .

صيرفــــــــــــــــي : نــــــــــــــــوال .

النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، رسالة لنيل
درجة الماجستير ، مطبوعات دار الملك عبدالعزيز
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، جامعة أم القرى .

خامساً : الدوريات

أ - المجلات

- التميمي : عبد العزيز .
إسطنبول جسر بين الحضارات عمره (٥٠٠ عام) مجلة
عالم السعودية . العدد الأول . المجلد الثامن .
يناير ١٩٨٩م .
- زيادة : محمد مصطفى .
نهاية السلاطين المماليك في مصر . المجلة التاريخية
المصرية . العدد الأول ، المجلد الرابع ، مايو
١٩٥١م .
- المصفاي : أحمد المرسي .
الدولة العثمانية والولايات العربية - مجلة
الدارة . العدد الرابع ، السنة الثامنة ، رجب
١٤٠٣ هـ / أبريل ١٩٨٣م .
- عبدالبخيت : نوري .
روسيا ومشروع سكة حديد بغداد . مجلة المشرق
العربي ، العدد الخامس عشر . ١٩٨٠م .

ب - الصحف

- جريدة أخبار العالم الإسلامي :

العدد ٩٢١ الإثنين في ٢٥ رجب ١٤٠٥ هـ الموافق
٥ إبريل مقال عن محنة المسلمين في بلغاريا ،
إعداد الشيخ بابكر درويش .

- جريدة المسلمون :

العدد الثالث والثلاثون ، السبت من ٧ - ١٣ محرم
١٤٠٦ هـ / ٢٢ - ٢٧ سبتمبر ١٩٨٥ م ، مقال - صفحات
من دفتر ذكرياتي بمكتبة الشيخ محمد محمود
الصواف .

- الشرق الأوسط :

يوم الأحد ٢٨ / ٧ / ١٩٨٥ م (مقال سورية في
القرن العشرين ، قلم نموج بابيل) .

- جريدة الندوة :

عدد ٩٠٨٧ الثلاثاء ١٨ جماد الأولى ١٤٠٩ هـ ، مقال
بعنوان تطور نظرة المسلمين إلى أوروبا ، بقلم
د . خالد زيادة .

سادسا : المصادر الانجليزية :

- Burke. Wilkinson,
Francis in All His Glory, New York :
Farrar, Straus and Giroux, 1st, Ed., 1972 .
- Cahun : L. N.,
L'introduction al'Histoire del, Asie,
1896 .
- Enver Ziya Karal ,
Osmanli Tariki, Ankara : 1983.
- Fischer Steplen agalali,
Ottoman Imperialism and German Pro-
testantism, 1521 - 1525, Cambridge Harvard Uni-
versity , Press 1959 .
- Halil Inalick ,
The Ottoman Empire and the Class-
ical Age, 1300 - 1600, Translated by, Norman
Itchowitz and Golin Imber , London, Weidenfeid
and Nicolson, 1973 .

- Ismail Hakki ,
Osmanli Tarihi , Vol 16, Ankara,
Turk Tarih Kurumu Basimeci, 1983.
- Itzkouitz Norman :
The Ottoman Empire and Islamic tra-
dition , New York , Alfred , A. Knopf prince
University , 1972 .
- Lewis Bernard ,
Istanbul and the Civilization of the
ottoman Empire, Norman , University of Oklahoma
Press.
- -----,
The Emergence of Modern Turkey London,
Press, 1966.
- Lewis Raphaela,
Everyday Life in Ottoman Turkey, B. 1.
Batsford Ltd London G.P. Pulman , New York .

- Roger B. M. ,
Suleiman the Magnificent 1520 - 1566,
Cambridge : Harvard University , 1944.
- Robinson J. Stewart ,
The Traditional Near East, Prince
Hall , Inc., Aspedrum Book Englwood Gliffs , N.
J. .
- Shaw Stanford J ,
History of the Ottoman Empire and
Modern Turkey 1280 - 1808 Cambridge University,
Press, 1976.
- Seton - Watson, Hagh,
The Russian Empire , Oxford at the
darendon Press, London, 1967 .
- Toynbee Arnold ,
A study of History , Vol. 3., Oxford
University Press, 1935.

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ

محتويات البحث

رقم الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
	الفصل التمهيدي
	النشأة والتكوين
٧	١- أمل الأتراك العثمانيين
١٠	٢- إسلام العثمانيين
١٢	٣- العثمانيون يوسعون رقعة بلادهم
	الفصل الأول
	الوجود الإسلامي العثماني في أوروبا
٤٢	١- دخول الإسلام إلى شرق أوروبا
٦٣	٢- الأوضاع السائدة في المناطق الأوربية
٦٩	٣- النظم العثمانية في الولايات الأوربية
٨١	٤- أثر سياسة الدولة العثمانية في نشر الإسلام
	الفصل الثاني
	موقف الدول الأوربية من الدولة العثمانية
٩١	١- موقف روسيا من الدولة العثمانية
١٠١	٢- موقف النمسا من الدولة العثمانية
١١٠	٣- موقف فرنسا من الدولة العثمانية
١٢١	٤- موقف بريطانيا من الدولة العثمانية

<u>المفحة</u>	<u>محتويات البحث</u>	<u>الموضوع</u>
		الفصل الثالث
		ردود الفعل الأوربية على الوجود العثماني في أوربا
١٣٥	١- الرأي الأوربي العام وآراء المؤرخين في الدولة	العثمانية
١٥٠	٢- الحملات التشهيرية بالدولة العثمانية	
١٦٣	٣- تضائل الوجود العثماني في أوربا	
١٨٠	الخاتمة
١٨٤	الملاحق
٢٠٧	ثبت المصادر والمراجع
٢٣٥	محتويات البحث